جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا
كلية الدراسات العليا
كلية اللغات

الشواعر الأندلسيات ودورهن في نهضة الشعر الأندلسي
(دراسة أدبية نقدية)

Andalusian Poetesses and their Role in Andalusia's Poetry Revival
(Arts and Criticism Study)

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة في اللغة العربية
(تخصص أدب والنقد)

إعداد الباحث
عامر يوسف محمد مصري

إشراف البروفيسور
حمد النيل محمد الحسن إبراهيم

فبراير 2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

{وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا }

النساء: ٦٦

صدق الله العظيم

الإهـــــــداء

إلى روح والدي له المغفرة والرحمة

إلى أمي-الحاجة/ عازة الماحي- التي لا تكف عن الدعاء لي بالتوفيق.

إلى التي صبرت وثابرت وآزرت وانتظرت هذه اللحظة أكثر مني، زوجي

"هـــــدى"

أبنائي محمد وموفق، ومنقذ، بنتي مأوى الذين أتوسم فيهم حب العربية

إلى إخواني وأخواتي وأبنائهم وبناتهم

إلى كل نفس طيبة وجدتُ منها حضاً كريماً

إليهم جميعاً ثمرة هذا الجهد هدية.

شكر وعرفان

إن أعظم لذات الحياة جميعها؛ هي لذة النجاح التي يحقق الإنسان فيها ما تتوق إليه روحه وتصبو إليه نفسه، فحريٌّ بنا في هذه اللحظة ونحن نقطف ثمار هذا النجاح أن نشكر أولاً صاحب الفضل والمنَّة؛ الله العليم الذي وفقنا على هذا العمل، وأقدم شكري الخالص وتقديري إلى البروفيسور **حمد النيل محمد الحسن إبراهيم**؛ على جميل صبره، وجهده المبذول في هذا البحث إشرافاً ومتابعةً وتصويباً، فضلاً عن أقواله وأفعاله المفعمة بالتوجيه والإرشاد، فإن كنت قد اقتربت من المنهج الأكاديمي السليم في هذا البحث فذاك بفضل إشرافه العلمي الصارم، فله مني التقدير والشكر الخالص الذي يليق بما بذله ووفَّره لنا –طلاب العلم– من إمكانات علمية، وإني لأشكره عن كل باحث قصده أو سيقصده، فما كان بابه مغلقاً، ولا عقله كان فارغاً، ولا قلبه كان قاسياً، ولا علمه كان ضيقاً ولا قاصراً، وإني لأرجو أن أكون طالبه الذي يفهمه، وأتقدم بجزيل الشكر والعرفان لأسر المكتبات بالجامعات السودانية وأخص بالشكر منهم: أسرة مكتبة كلية اللغات بجامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، وأسرة مكتبة الشنقيطي بجامعة الخرطوم، وأسرة مكتبة جامعة أمدرمان الإسلامية، وأسرة مكتبة جامعة القرآن الكريم، وأسرة مكتبة معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، وأسرة مكتبة جامعة الفاشر لما قدموا لي من خدمات مكتبية جليلة، كما أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى جميع زملائي وزميلاتي الذين أعانوني بتوجيهات سديدة وملاحظات دقيقة، والشكر موصول لكل من أسهم في هذا البحث حتى خرج بهذه الصورة التي نحسب أنها تضيف قطرة لبحر العلم والمعرفة، سائلاً المولى جل شأنه أن يحفظ الجميع ويجزهم عني خير الجزاء إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.

الباحث

المستخلص

هدفت الدراسة إلى التعريف بالشواعر الأندلسيات، ودورهن في نهضة الشعر الأندلسي من خلال معرفة مترابطات الحياة العامة في الأندلس، حيث جاءت أغراضهن متشابهة لما سادت عند الشعراء الأندلسيين والمشارقة معاً، وقد أسهمت الطبيعة في قريحة الشواعر ورفدها بالصور والأخيلة فتميزت بالعذوبة والرقة، وموائمتها للحضارة والبيئة، وأوضحت الدراسة أثر الحرية في المجتمع الأندلسي التي أدت إلى تنوع الأغراض، ووقفت على التمايز الطبقي والفني بين الشواعر الأندلسيات. اعتمدت الدراسة على الجمع بين مناهج مختلفة منها: التاريخي، والوصفي والتحليلي وذلك بعرض النص الشعري عن كل شاعرة في عصرها ودراسة جوانبه اللفظية والمعنوية وغيرها. وتوصلت الدراسة إلى نتائج منها: القدرة الفنية للشاعرة الأندلسية في مساجلة الرجل في الجد والهزل، وتوظيف البيئة الصامتة والحية وسهولة ووضوح الألفاظ والتراكيب والأساليب، والبعد عن الإغراق والصنعة. وبرزت شواعر ناقدات وشواعر الحوار والبلاط. أدت التغييرات السياسية إلى ظهور ثلاثة اتجاهات لدى شواعر الأندلس، لم ترفد المصادر بشعر المرأة الأندلسية إلا بالجزء اليسير أو بالإشارة إلى محاوراتها وإجازتها للشعراء والأدباء. للجواري شعر كثير ورقيق غير أن الرواة لم ينقلوه، وعدد الشواعر في الأندلس كثير غير أن إنتاجهن قليل. توصي الدراسة بدراسة الشعر النسوي الأندلسي والاطلاع على أخبار الشواعر وإيراده بصورة علمية، وإجراء موازنات لجميع أغراضهن من النواحي الفنية مع غيرهن في عامة العصور المختلفة.

Abstract

The study aimed to introduce Andalusian poetesses and their role in the revival of Andalusian poetry through knowledge of the interconnections of public life in Andalusia, their purposes were similar to what prevailed among the Andalusian and eastern poets as well, and the nature contributed to the poet's mantle and provided it with images, imaginations and was characterized by delightfulness and sentiment. They are identical to civilization and environment, and the study showed the effect of freedom on Andalusian society, which led to the diversity of purposes, and stood on the class and artistic differentiation between Andalusian poetesses. The study relied on combining various approaches including: historical, descriptive and analytical by presenting the poetic text on every poetess of its period and studying its verbal, moral and other aspects. The study has reached to the scientific results, including: The technical ability of the Andalusian poetesses to engage man in seriousness, humor and to employ the silent and living environment, ease and clarity of words, structures and methods away from dumping and workmanship, criticisms of poems and poetesses of dialogue and tiles emerged, leading to political changes leading to emergence of three trends among the feelings of Andalusia or by preferring to her conversation and its approval for poets and writers. Concerning maids have lots of poems and sentiments but the narrators didn't transmit it, the number of the poetesses in Andalusia is many, yet their production is few. The study recommends by studying of Andalusian feminist poetry and reading and its presentation in a scientific way expose it all their purposes from the technical aspects in comparison with others in different eras.

المقدمة

الحقبة الأدبية الأندلسية من أميز الحقب الأدبية العربية إذ ظلت بلاد الأندلس وعلى مدى ثمانية قرون مركزاً حضارياً متقدماً ومنارة إسلامية وعلمية تحمل في طياتها العلم والأدب والثقافة، فكل من يقلِّب صفحات من الجانب الأدبي الأندلسي يجد الخلود لأهله وللأمة الإسلامية، فحق لها العناية والتنقيب والتمحيص سيما وأن الظواهر التي تلفت النظر للعناية بالتراث العربي الأندلسي هناك لم تنقطع رغم مرور الزمان على غيابهم. وبما أن الشعر الأندلسي كان له قصب السبق في التراث العربي ببلاد المغرب فإن المرأة الأندلسية قد شاركت بإنتاج أدبي تضاهي ما أنتجه الرجل جودة، فظهرت لنا أغراض شعرية من إنتاجها وذلك لما أتاحت لها البيئة المحيطة من مكونات جعلتها تعبر عما يجيش بخاطرها حتى أصبح لها الدور الرائد والطليعي في كل ما من شأنها تطوير الشعر ببلاد الأندلس ونهضته، فأسهمت في الجوانب الاجتماعية والسياسية والثقافية بكل جرأة مما هيأ لمن بعدها من الشواعر في العصور التالية أن يحتذين حذوها لتكون أكثر حرية في المشاركة.

أسباب اختيار الموضوع:

الشواعر الأندلسيات ودورهن في نهضة الشعر الأندلسي عنوان يقدمه الباحث دراسة محدودة الإطار لأسباب دفعته لذلك منها:

1-الوقوف على شعر الشواعر الأندلسيات ودراسته وتحليله.

2-إبراز دور الشواعر الأندلسيات في نهضة الشعر الأندلسي.

3-عدم تناول الباحثين لهذا الموضوع – فيما أعلم –.

4-الرغبة في تقديم دراسة جديدة للمكتبة العربية.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في السؤال الآتي: ما هو دور الشواعر الأندلسيات ومدى مساهمتهن في الارتقاء بالشعر الأندلسي من خلال مشاركتهن في الحياة سياسياً، واجتماعياً، وثقافياً؟

أسئلة البحث:

1-ما تأثير البيئة الاجتماعية والطبيعة الأندلسية في نشأة الشعر النسوي الأندلسي؟

2- إلى أي مدى أسهم التمايز الطبقي في نهضة الشعر الأندلسي؟

3-ما جدوى مشاركة الشواعر الأندلسيات في الشعر العربي؟

4-ما دور المصادر الأدبية والرواة ودواوين الشواعر في إثراء المكتبة العربية؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

1-تقديم لمحة عن حالة الأندلس الحضارية وصلتها بالحياة الأدبية.

2-إبراز دور الشواعر في نهضة الشعر العربي وقدرتهن على إضافة مدلولات جديدة.

3-كشف الجوانب الفنية لدى الشواعر الأندلسيات وعرضه بشكل يؤكد فاعليتها في نهضة الشعر.

4-بيان أهمية مشاركة الشاعرة الأندلسية في قرض الشعر وإبراز دورها في بناء الإنتاج الأدبي والحضاري.

5-كشف الإرث الأدبي في إحدى عصوره الزاهية بتناول أدب المرأة وتنظيم أشتاته المتناثرة.

أهمية البحث:

تمثل أهمية البحث في مدى مساهمة الشواعر الأندلسيات في الحياة الأدبية والسياسية والاجتماعية و بيان قدرتهن في نهضة الشعر الأندلسي .

منهج البحث:

يتبع البحث المنهج التأريخي والاستقرائي، والوصف التحليلي، كل حسب مقتضيات الدراسة، أما التاريخ فيتناول من خلاله الشواعر حسب عصورهن، ولم أسهب في ذلك لأن الحواشي التأريخية ليست في شروط البحث من شيء، أما الجانب الوصفي فيساعد في تفسير دور الشاعرة الأندلسية في نهضة الشعر، وبالاستقرائي والتحليلي يتبين كل الجوانب الفنية والحكم على نصوصهن.

حدود البحث:

الإنتاج الشعري للشواعر الأندلسيات في الفترة ما بين 711م إلى 1492م.

الدراسات السابقة:

حسب علم الباحث لا توجد دراسة تختص بدور الشواعر الأندلسيات في نهضة الشعر الأندلسي لذا يبدو شعر المرأة الأندلسية بكراً، يحتاج إلى درس أدبي يقوم عليه، ويحلل ظواهره، ويكشف عن سماته الفنية، ويحدد مدى مساهمته في نهضة الشعر العربي عامة والعصر الأندلسي خاصة.

هيكلة البحث:

جاء هذا البحث في مقدمة وأربعة فصول وخاتمة. **الفصل الأول** عن الملامح العامة للحياة الأندلسية واشتمل على ثلاثة مباحث، ضمّن **المبحث الأول** على لمحة جعرافية عن الأندلس والمكونات العامة للطبيعة من عوامل ساعدت على تطوير ونهضة الشعر بصورة عامة. والملامح العامة عن الحياة الأندلسية السياسية وحالة إسبانيا قبيل الفتح وعصورها وما شهد من اضطرابات، وحالة الشعر في عهود الدولة الأموية بالأندلس وعهد إمارة قرطبة، ثم حالة الأندلس من الركود إلى الرقي والاستقرار. كما تناول **المبحث الثاني** الحياة الاجتماعية ومكونات المجتمع الأندلسي وحظ المرأة الأندلسية في مجتمعها وبعض الظواهر الاجتماعية المتعلقة بالنساء لعلاقتها الوطيدة بالأدب عامة والشعر موضوع الدراسة خاصة من ازدهار في الحِرَفِ والصنعة، وعاداتهم كحب النظافة وكراهية التسول وحسن تدبيرهم وحب الغناء، فيما تطرق **المبحث الثالث** إلى الملامح الحضارية والثقافية عند الأندلسيين؛ لما لهما من أهمية بالغة في النظام التربوي والتعليمي لحياة الأمم والمحافظة على مقومات الشخصية.

ولعل ما جاء من أخبار تاريخية في هذا الفصل هو التمهيد للدراسة الأدبية، ذاك أن الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية مرتبطة بالأدب تأثيراً وتأثراً.

أما **الفصل الثاني:** درست فيه الشواعر في العصر الأموي وملوك الطوائف، حيث اقتصر **المبحث الأول** على دراسة الشواعر الأندلسيات في العصر الأموي بالأندلس في عهوده الثلاثة: (عهد الولاة وعهد الإمارة وعهد الخلافة)، **والمبحث الثاني** لدراسة الشواعر في عصر ملوك الطوائف، والوقوف على الأغراض الشعرية التي تناولتها الشواعر الأندلسيات كل على حده.

وحوى **الفصل الثالث** على مبحثين؛ **الأول** لدراسة المرأة الأندلسية الشاعرة في عصري المرابطين والموحدين **والثاني** عن الشواعر في عصر الموحدين ودولة بني الأحمر(عصر سيادة قرطبة) وما لهذه الفترة من تحول في الأغراض الشعرية لما صاحبتها من تغيير في البيئة السياسية والاجتماعية.

أما الفصل الأخير من هذا البحث _**الرابع**_ فقد خُصص للدراسة التحليلية والفنية في شعر الشواعر الأندلسيات، فوقف **المبحث الأول** على الخصائص المعنوية لمضمون الأغراض الشعرية من غموض وإشراق الذي شكلته ثقافة الشواعر الأندلسيات، ومعرفة أهم المعاني الشعرية التي تناولتها شواعر الأندلس، كما جاء **المبحث الثاني** عن دراسة الصور البلاغية، وخصص **المبحث الثالث** لجانب الأسلوب وموسيقى الشعر، ولغة القصيدة ومطالعها وأوزانها وقوافيها، فإن حسن توظيف الصور البيانية والمحسنات اللفظية معيار لقياس قدرة الشاعر وإبداعه. وقد تعذر الحصول على شواهد شعرية كثيرة لبعض الشواعر.

وذُيل البحث بخاتمة حوت أهم النتائج وهي عبارة عن ملاحظات واجتهادات خاصة تم التوصل إليها من خلال التمحيص لتلك النصوص الخاصة بالشواعر الأندلسيات، وانتهى البحث إلى تنظيم المصادر التاريخية والأدبية والمراجع التي أسهمت في تذليل العقبات للباحث، وفهارس عامة.

ويشير الباحث إلى ثمة صعوبات اعترضته خلال هذا التنقيب يتمثل في: تعدد مصادر أشعارهن، فبيت من هنا وشطر من هناك واختلاف في الرسم

الإملائي وأخطاء ونقص وزيادة، هذا والغياب الكامل لدواوين الشواعر زاد الأمر صعوبة وتعقيداً وطلب جهداً وإرهاقاً مضنيين.

وأخيراً لا يدعي الباحث الإحاطة الكاملة بما اختاره من موضوع الدراسة ولكن حسبه أن يكون قد وُفق فيما اختاره، وأن يقع من القاريء موقع الرضا والقبول، فحديث الأدب حديث شهي للنفس، سواء كان من رجل أمْ امرأة، فكل هذا جهد باحث مقل، **(وفوق جهدك لا تلام)**، غير أنه يتحمل وزر هفوات هذا البحث، بعد ما قدم ما في طاقته، ورجاؤه أن يكون الخطأ قليلاً ليبقى نواة لصواب كثير لمن يأتي بعده للتوسع في هذا الموضوع.

ولله الحمد من قبل ومن بعد وإليه المصير.

الباحث

الفصل الأول:

الملامح العامة للحياة الأندلسية.

المبحث الأول: الملامـــــــــــــــح الجغرافية والحياة السياسية.

المبحث الثاني: ملامـــــــــح عن الحياة الاجتماعية.

المبحث الثالث: ملامح الحياة الحضارية والثقافية.

المبحث الأول:

الملامـــــــــــح الجغرافية والحياة السياسية.

سبب تسمية الأنْدَلُس:

(الأنْدُلُس)، بضم الدال وفتحها، وضم الدال ليس إلَّا: وهي كلمة عجمية لـم تستعملها العرب في القديم وإنما عرفتها العرب في الإسلام[1]، قال ابن سعيد: إنما سُميت بأندلس بن طوبال بن يافث بن نوح، وقال ابن غالب: أنْدَلُس بن يافث.[2]

ولم تُعرف شبه الجزيرة التي تشمل حالياً؛ دولتي إسبانيا والبرتغال باسم الأنْدَلُس، قبل أن تَعرف المسلمين، وإنما عُرفت في أقدم عصورها باسم إيبريا (Iberia)، نسبة إلى الإيبيريين Los Iberos، الذين كانوا أقدم من سكن هذه البلاد.[3]

ثم عُرفت شبه الجزيرة بعد ذلك باسم إسبانيا وقد أطلقه الرومان عليها حين حكموها، أما الجزء الجنوبي من إسبانيا فقد سمَّوها (بتيكاBetica)، ثم سُمي باسم فندليسيا (Vandalisia) حين سكنه الواندال، فلما جاء المسلمون أطلقوا على شبه الجزيرة جميعاً اسم الأندلس، وقد أخذ المسلمون هذا الاسم من (وَنْدَلُسْ) أو (وَنْدَال) وهم بدورهم قد سموا شبه الجزيرة بـــــ(فَنْدَلِيْسِيَا) نسبة إليهم.[4]

مما يُلاحظ أن المسلمين هم أول من سموا شبه الجزيرة الأندلسية باسم (الأنْدَلُسْ) فيما بعد مجيئهم، وكأنهم أضافوا البلاد إلى من قطنها في الزمن الغابر.

يمكن القول إن شبه الجزيرة الأندلسية قد مرت بعدة مراحل صوتية إبدالية منها: (فَنْدَلُس) و(وَنْدَلُس)، حيث حلت الواو بديلاً عن الفاء نطقاً ورسماً، حتى استقرت استحداثاً

1- الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي، معجم البلدان، تح، فريد عبد العزيز الجندي، دط، دت ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ص31

2- المَقرَّي التلمساني، أحمد محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح، إحسان عباس،دط، دار صادر، لبنان، ج1،ص125 وما بعدها.

3- الحميري، محمد عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، ، تح، إحسان عباس،ط1975،1م، مكتبة لبنان، ص32 / هيكل، أحمد، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دط، 1979م، مصر،دار المعارف، ص 13

4- المصدر السابق ص 32

عند المسلمين الفاتحين ب(أَنْدَلُس) ويُرى الهمزة بدل الفاء و الواو. وفي ذلك قال هيكل: فالهمزة تأتي أحياناً بدلاً من الواو في العربية، مثل: وُجُوه وأوجُه، جمع وجه.[1]

كذلك يُلاحظ أن (الأنْدَلُس) اسم أطلقه المسلمون على شبه جزيرة أيبيريا(أبارِيَة) تعريباً لكلمة (فَنْدَالِيْشِيَا) الإقليم الروماني المعروف بإقليم (باطِقَة Baetica) الذي احتلته قبائل الفندال الجرمانية.[2]

ويرى المقري التلمساني: أن تلك الجزيرة سميت إشبانية لأن عجم رومة قد ملكوها، وكان (ملكهم يسمى: إشبان بن طيطش، وباسمه سميت الأنْدَلُس إشبانية).[3]

بقي اسم الأنْدَلُس على شبه الجزيرة بعد خروج المسلمين ولكنه أصابه شيئاً من التطور في اللفظ والمعنى. أما اللفظ: فقد أصبح في اللغة الإسبانية (أنْدَلُثيَا Andalucia) بدلاً من الأنْدَلُس، وأما المعنى فقد صار جنوب شبه الجزيرة فقط بعد أن كان شبه الجزيرة جميعاً.[4]

وكثيراً ما يطلق على الأندلس اسم(جزيرة الأنْدَلُس) والواقع أنها شبه جزيرة وليست جزيرة، وإنما سُميت جزيرة بالغلبة، كما سُميت جزيرة العرب.[5]

ويلاحظ أن كلمة (الأنْدَلُس) في الشعر قديماً وحديثاً معرفة بالألف واللام غير أن بعض الشعراء يستعملونها مجردة من أداة التعريف حيث قال:[6]

إنّ للجَنّةِ بالأنـــــدلُسِ مُجْتَلى حُسْنٍ وريَـــــــــا نَفَسِ
فَسَنَا صُبْحَتِها منْ شَنَبٍ ودُجَى ظُلْمتِها مـــــــــن لَعْسِ
وإذا ما هبّتِ الريحُ صَبا صحِتُ وأشواقي إلى الأنْدَلُسِ

وقال آخر:[7]

5- المصدر نفسه ص32
2- االحميري، الروض المعطار، ص32 وما بعدها./ سالم، السيد عبد العزز، تأريخ الإسلام في الأندلس، دط، 1984م، مطبع الأسكندرية، مصر، ص5.
3- المقري التلمساني، نفح الطيب،ج1، ص167
4- هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دط 1985م، دار المعارف، مصر، ص14.
5- عتيق، عبد العزيز، الأدب العربي في الأندلس، دط، 1976م، دار النهضة العربية، لبنان، ص10/ معجم البلدان ياقوت الحموي، ج1 ص362
6- ابن خفاجة، أبو إسحق إبراهيم بن أبي الفتح، الديوان، تح، عبد الله سندة، ط1، 2006م، دار المعرفة، بيروت لبنان، ص 178 / ص75 طبعة جمعية المعارف / المقري التلمساني، نفح الطيب، ص170
- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1 ص311 7

سألتُ القومَ عنْ أنسٍ؟ فقالوا: بأنْدَلُسٍ وأنـــــــــــــــــْدلُسٌ بَعِيْدُ

وهنا يُلاحظ التباين بين هيكل الذي يطلق على الأقليم الروماني (باتيكا) والسيد عبد العزيز سالم وعبد المنعم الحميري اللذان يطلقان عليه(باطقة) واتفقوا في رسمها اللاتيني Baetica وهذا دليل على وجود هذه المنطقة على الطبيعة.

وكان نصارى إسبانيا الشمالية يطلقون على هذا الإقليم (إشبانية أو شبانية)، نسبة إلى مدينة إشبيلية (اشباليش)، Hispalis، كما كان العرب يطلقون أول الأمر اسم (أنْدلُس) على الإقليم الجنوبي، ثم أطلقوه عامة على شبه الجزيرة كلها، وعندما بدأت رقعة الإسلام في إسبانيا تتقلص أخذ هذا الاسم يُطلق على الأراضي التي بقيت في أيدي المسلمين حتى اقتصرت تسمية الأندلس على مملكة غرناطة، آخر معقل للإسلام في شبه الجزيرة.[1]

ظل اسم الأندلس مرتبطاً بالدولة الإسلامية وحدها مهما كان امتدادها: يتسع باتساعها، ويضيق بانحسارها، ولم يذهب بنهاية دولة الإسلام في الأندلس، [2]

ويرى الباحث أن هذا الاسم لم يذهب بنهاية دولة الإسلام في شبه جزيرة الأندلس، بل ظل في وجدان أصحاب الحضارة العربية الإسلامية مستعملاً للمعنى القديم كلما ذكر فن من فنوها، أو علم من أعلامها، أو أثر من آثارها سيما مئذنة الدوار أو الخيرا ألدا أو قصر كازارا أو مسجد قرطبة أو قصر الحمراء...الخ وهذا دليل على ما خلفه المسلمون من حضارة وثقافة إنسانية.

وقد أُطلق (الأندلس) على الجزء الإسلامي من شبه جزيرة إيبريا نسبة إلى الإيبيريين الذين سكنوا هذه البلاد، وتتكون في الوقت الحاضر من دولتي إسبانيا عاصمتها "مدريد" والبرتغال عاصمتها "لشبونة". ويرجح توفيق أن البربر سموا تلك الجزيرة بهذا الاسم بعد تحوير كلمة فندلس إلى أندلس من باب تسمية الكل بالجزء.[3]

1- سالم ، تاريخ الإسلام في الأندلس، ص5

2- الداية، محمد رضوان ، في الأدب الأندلسي، ط1، 2000م، دار الفكر، سورية، ص17

3- توفيق، عمر إبراهيم،الوافي في تاريخ الأدب العربي في الأندلس موضوعاته وفنونه، ط1، 2012م، الأردن، دار غيداء للنشر، ص 17

الموقع الجغرافي المساحة والمناخ :

الأنْدَلُس: أهي جزيرة أم شبه جزيرة ؟ أيكون للطبيعة وما تحويها من مكونات تأثيرٌ على الحياة الشاعرية عامة؟، وكيف يؤثر ذلك في شعر الشواعر؟

الأنْدَلُس: شبه جزيرة يَحُدُّها البحر المتوسط شرقاً، والمحيط الأطلسي غرباً، ويفصلُها عن فرنسة وسائر أوربة شمالاً جبال وعرة هي جبال البرتا(الأبواب).[1]

و تقع شبه جزيرة الأندلس في الجنوب الغربي من أوربا وتشمل حالياً دولتي إسبانيا والبرتغال، تحيط المياه بها عدا جانب واحد هو الشمال الشرقي الذي يربطُها ببقية أجزاء أوربا، وتحدها جبال البرانس (بَرْتَات)، فمن الشمال الغربي والغرب يحيطها المحيط الأطلسي، (بحر الظلمات أو البحر الأخضر)، ومن الشرق والجنوب البحر الأبيض المتوسط (البحر الرومي)، ثم مزيج من مياه البحر والمحيط في الجنوب حيث مضيق جبل طارق، ملتقى البحر بالمحيط والفاصل الضيق بين شمال إفريقيا وجنوب إسبانيا أي بين إفريقيا وأوربا.[2]

مناخ شبه جزيرة الأندلس:

خص الله تعالى بلاد الأنْدَلُس من الرَّيع وغدق السقيا، ولذاذة الأقوات، وفراهة الحيوان، ودرور الفواكه، وكثرة المياه، وتبحر العمران، وجودة اللباس، وشرف الآنية، وكثرة السلاح، وصحّة الهواء، وابيضاض ألوان الإنسان، ونُبْل الأذهان، وقبول الصناع، وشهامة الطباع، ونفوذ الإدراك، وإحكام التمدُّن والاعتمار، بما حُرِمَهُ الكثير من الأقطار مما سواها.[3]

وقال المقري في جغرافية الأندلس: (طول الأندلس ثلاثون يوماً، وعرضها تسعة أيام، ويشقها أربعون نهراً كباراً، وبها من العيون والحمامات والمعادن ما لا يُحصى، وبها ثمانون مدينة من القواعد الكبار، وأزيد من ثلثمائة من المتوسطة، وفيها من الحصون

1- الداية، في الأدب الأندلسي، ص 22

2- توفيق، الوافي في تاريخ الأدب العربي في الأندلس، ص 17./ هيكل، الأدب الأندلسي من السقوط حتى الخلافة، ص، 17/ الداية، في الأدب الأندلسي، ص10

3- المقري التلمساني، نفح الطيب، ج1، ص126

والقرى والبروج كثرة، حتى قيل: إن عدد القرى التي على نهر إشبيلية اثنتا عشرة ألف قرية، وليس في معمور الأرض صُقع يجد المسافر فيه ثلاث مدن وأربعاً من يومه إلا بالأندلس، ومن بركتها أن المسافر لا يسير فيها فرسخين دون ماء أصلاً، وحيثما سار من الأقطار يجد الحوانيت في الفلوات والشعاري[1] والأودية ورؤس الجبال لبيع الخبز والفواكه والجبن واللحم والحوت وغير ذلك من ضروب الأطعمة، وبها من الجبال سبعة وثمانون جبلاً).[2]

الحياة السياسية:

إسبانيا قبيل الفتح العربي:

ظلت شبه جزيرة إيبريا منذ أواخر القرن الرابع الميلادي حتى أوائل القرن الثامن مسرح صراع وقتال بين طائفتين من القوط؛ القوط الغربيين الزاحفين من وسط أوربا وغربها على شبه الجزيرة، والقوط الشرقيين المستقرين فيها، هم ومن معهم من قبائل السُويف والوندال المتبربرة.[3]

وقد خرج القوط الغربيون من هذا الصراع منتصرين، وبسطوا سلطانهم على شبه الجزيرة كلها، ووحدوها تحت سلطانهم، واتخذوا من "طليطلة" عاصمة لهم.

وهكذا بدأت " إسبانيا " تظهر كوحدة سياسية واحدة للمرة الأولى في التاريخ. وذلك أمر له خطره؛ لأن الإغريق حين أتوا إليها لم يعرفوا منها إلا الغرب والجنوب؛ ولأن الرومان إبّان تبعيتها لهم، كانوا يقسمونها ولايات، لا علاقة بين بعضها وبعض.[4]

كان الأمل يحدوهم ومن حكموهم، أن تنهض هذه البلاد وترتقي، ولكن حدث أن تضافرت على حكمهم عدة أسباب أدت به إلى الضعف تدريجياً، ثم الزوال. وتشير المصادر إلى أن هذه الأسباب تتمثل في:

1- الشعاري: جمع شعار وهي الأرض اللينة ذات الشجر الملتف / المعجم الوسيط
2- المقري التلمساني، النفح ج1 ص 226
3- عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص27
4- أمين، أحمد، فجر الأندلس، ط14، دت، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ص 6

1- تقسيم البلاد بين الأشراف ورجال الدين، ونزوع الفريقين إلى الترف، وسوء استغلال الطبقة العاملة والطبقة الوسطى، وإثقال كاهل عامة الشعب بالضرائب، واضطهاد رجال الدين لكل يهودي في البلاد امتنع عن اعتناق المسيحية.[1]

2- ميل نفوس الحكام إلى الدعة، والتمتع بخيرات البلاد الوفيرة، وتوكيل العبيد بأمور الحرب حتى زاد عددهم على الأحرار في الجيش، وكانوا يتحيّنون الفرص للتخلي عن الدولة وتركها لمصيرها[2]

3- تفشي الوباء في البلاد ثلاث سنوات متتابعة في أوائل القرن الثامن الميلادي حتى قضى على أكثرَ من نصف سكانها.

تلك هي حال إسبانيا قبيل الفتح العربي، في الوقت الذي كان فيه أهل شمال إفريقيا يتمتعون بحكم العرب، وينعمون بعدلهم. فلا عجب إذاما تمنّى الأسبان زوال الحكم القوطي والخلاص من نيره، غير آبهين بتغلب حاكم على حاكم.[3]

الفتح العربي للأندلس:

أهو فتح عربي أم إسلامي؟

قدم طارق بن زياد الليثي، أو طارق بن زياد عبد الله، أم طارق بن عمرو، كما يسميه المؤرخون اختلافاً، والذي لا شك ولا خلاف فيه هو أنه مولى لموسى بن نصير، وأن موسى وثق به، فقرّبه إليه، وأمَّره على بعض الجيوش، وجعله في مقدمة جيشه الذي فتح به بلاد البربر، وولاّه طنجة، ثم ندبه لفتح الأندلس، لما عرفه عنه من صدق العزيمة، وقوة الشكيمة، وشدة البأس وصلابة العود.[4] هذا إلى ما امتاز به من بلاغة الكلام وسحر البيان والقدرة على التأثير في قلوب سامعيه، وقد بعثه موسى بن نصير في سبعة آلاف من المسلمين، جلهم من البربر والموالي وليس فيهم من العرب إلا يسير.[5]

1- عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص 28
2- أمين، فجر الأندلس، ص 28-27
3- عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص28
4- المقري التلمساني، نفح الطيب، ج1، ص 217، 238
5- عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص 33

وقد شهد الفتح الإسلامي للبلاد الأندلسية على يد القائد طارق بن زياد انتصارات عظيمة وفتح مدن مهمة قد اقْتضب الباحث تلك الأحداث حتى لا يلبس البحث ثوب الدراسات التاريخية؛ ويكتفي بتتبع المراحل التي ترسم صورة واضحة لهذا الفتح الإسلامي وتاريخ الإسلام واللسان العربي في الأندلس بشيء من أحداثه وأبعاده وتطوراته لا على الحصر.

عصر الفتح الولاة: 95-138هـ (714-755م).

وطأت ثرى الأندلس أقدام الولاة الأمويين عام اثنين وتسعين من الهجرة، عندما حل طارق بن زياد بتلك الأرض، مخترقاً بحر الزقاق حتى التقى بجنده مع جيوش القوط وقتل" لذريق" ملكهم، وظلت قوافل النصر تنتقل بين المدن والأمصار حتى وصلوا إلى جبال البرانس، يحدوهم الأمل في اتساع رقعة الإسلام في عهدهم، والوصول من هذا المنطلق إلى آفاق وبلاد أرحب تعلوا فيها كلمة الله، وتنتشر بين ذويها لغة القرآن.[1]

الولاة: هم الولاة التابعون لبني أمية في الشام، ذكر شوقي ضيف: أن الولاة التابعين لبني أمية وقد تولوا أمر الحكم في الأنْدَلُس من قبل بني أمية أربعة وعشرون والياً في ما يقارب الست وأربعين سنة،[2] أو اثنين وعشرين والياً.[3]

يبدأ عهد الولاة في الواقع بولاية "**عبد العزيز بن موسى بن نصير**" الذي اتخذ من "إشبيلية" عاصمة للأندلس، ولقد أجمع المؤرخون على أنه كان من خيرة ولاة المسلمين على الأندلس، غير أن مدة ولايته لم تدم طويلاً إذ قتله الجند بتدبير من أبي عبيدة الفهري سنة 98هـ [716م] لأسباب اختلف المؤرخون حولها.[4]

فيما تذكر بعض المصادر ثمة اضطرابات كثيرة شهدتها هذه الفترة نتيجة لعوامل متعددة منها:[5]

1- غراب، سعيد أحمد، أطياف من تاريخ الأدب العربي ونصوصه في الأندلس، ط1، 2016م، دار العلم والإيمان، ص15.
2- عابدين، عبد المجيد، نماذج من الشعر الأندلسي، دط، دار الفكر، لبنان، ص 5
3- ضيف، شوقي تارريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، الأندلس، ط4،2007م، دار المعارف، القاهر، ص20.
4- سلامة، علي محمد، الأدب العربي في الأندلس، تطوره، موضوعاته، وأشهر أعلامه، الدار العربية للموسوعات، ط1، 1989م، ص16
5- ضيف،عصر الدول ولإمارات ، ص 21-22.

أ- كثرة عناصر الشعب في الأندلس، إذ كان منه أسبان مختلفو الجنسيات ويهود، وحلّ به بربر برهطيها "البُتر والبرانس"، كما حلّ به العرب "عدنانية مضرية، قحطانية يمنية" وكانت بينهما خصومات قديمة استعادوها في الأندلس، فأصبح البربر البُتر في صف العدنانية، والبرانس في صف القحطانية، فطبيعي أن يتعصب الوالي لقومه!.

ب-كثرة تعيين الولاة، فلم يكن الوالي يشعر بشيء من الاستقرار.

ت-بُعد الأندلس عن السلطة المركزية في دمشق، وتوكيل تعيين ولاتها لولاتهم على المغرب، على الرغم من ثرائها وكثرة خراجها، وقِدَم حضارتها، وكانوا يأنفون من هذه التبعية، والخليفة الوحيد الذي تنبه إلى ذلك هو **عمر بن عبد العزيز**، إذ فصل ولاية الأندلس عن ولاية المغرب وولّى عليها سنة مئة للهجرة "السمح بن مالك" فطبق سياسة الخليفة عمربن عبد العزيز في الإنصاف والمساواة في الحقوق بين الإسبان وبين المسلمين العرب والبربر.

هذه العوامل وغيرها مجتمعة من الطبيعي أن تسهم في إذكاء جذوة التعصب وانحراف الولاة والرعية عن المقصد الرئيس وراء الفتح، وإيقاف المد الإسلامي والعربي وحضارتيهما، والجري وراء المنافسة حول السلطة.

بينما يرى سلامة: أن روح المنافسة على السلطة كانت من أبرز سمات هذا العهد، إلا أن حروب المسلمين للفرنجة ظلت مستمرة وبضراوة، وكان النصر من نصيب المسلمين في معظم الأحيان، مما مكنهم ذلك من فتح مدن جديدة نحو: برشلونة، وقشتالة، حتى بلغوا شواطئ "الرون" ووصلوا قلب "فرنسة".[1]

ويُعَدُ عهد الولاة عهداً مضطرباً لا استقرار فيه، إذ قامت فيه ثورات بين العرب والبربر ، كما انتقلت مع العرب القادمين من المشرق العصبيات القبلية؛ فاشتد الصراع بين القيسية واليمنية، وكان يحرك ثورة البرابرة ادعاؤهم بأن فتح الأندلس تم على عاتقهم – وهو كذلك كما تشير المصادر–، كما أن قائد الفتح منهم، فهم أولى بحكم الأندلس من العرب!.

1- سلامة، الأدب العربي في الأندلس، ص16.

لهذا السبب كانت نجدات (هشام بن عبد الملك) للأندلسيين من الشاميين بقيادة (بلج بن بشر) ليحفظ التوازن بين العرب والبربر، وليقضي على تلك الثورات التي لا يستفيد منها إلا العدو، فنجح في ذلك، وكوّن الشاميون بوصولهم نواة مهمة كان لها الأثر الكبير في الحياتين السياسية والاجتماعية بالأندلس.[1]

الشعر في عهد الولاة:-

يرى الباحث أن هذا العهد قد اتسم بكثرة الحروب والمنازعات، حروب حول السلطة بين العرب فيما بينهم عدنانين وقحطانين، والمسلمين عرب وبربر، والبربر بُتر وبرانس، وحروب أخرى مع الفرنجة، ومطاردة الفارين والمناوئين، وكان مجتمعاً مضطرباً قلقاً، لا فراغ لتحريك قيثارة العاطفة وإذكاء قريحة الشعر.

كما يُلاحظ أن أغلب الداخلين إلى الأندلس جنوداً كانوا أم حكاماً كان هدفهم المعارك وما يكسبونها منها من غنائم وسبايا، والسلطة، لا العلوم ولا المعارف ولا الثقافة، سوى نفر قليل كانوا على حظ وقدر ضئيل من الأدب المشرقي، ولم تكن من بينهم امرأة إذاك!.

ونجد أبا الأجرب جَعُونة بن الصمة، وهو من العرب الطارئين على الأندلس، كان فارساً شجاعاً، يُدعى "عنترة الأندلس" اشتهر بالهجاء[2] والمدح، وقيل كان في مرتبة الفرزدق وجرير، شعره مفقود إلا أبياتاً قليلة منها:

ولقد أراني من هوايَ بمنزل عالٍ ورأسي ذو غدائرَ أفرَعُ
والعيشُ أغيدُ ساقطٌ أفنانُهُ والماء أطيبهُ لنا والمرتَعُ

وها هو الوالي الشاعر أبو الخطار حسام بن ضرار الذي وفد على الأندلس والياً سنة 125ه وهو الآخر أيضاً لم يعثر إلا على القليل من شعره، فمن ذلك قوله في ثأر أخذه لعزيز له بقوله:[3]

فليتَ ابنَ جوّاس يُخبِّرُ أنّني سعيتُ به سَعْيَ امرئٍ غيرِ عاقلِ
قتلتُ به تسعين تحسبُ أنّهم جذوعُ نخيلٍ صُرِّعت بالمسايل

1- أمين، فجر الاسلام، ص 345، علي محمد سلامة، في الأدب الأندلسي، ص17
2-المغربي، ابن سعيد، ذخائر العرب، المُغرب في حُلى المَغرب، تح، شوقي ضيف، ط4، القاهر، دار المعارف للنشر، ص 132
3- الحميدي، أبو عبد الله محمد بن فتوح بن بن عبد الله، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تح، بشار معروف عواد ومحمد بشار، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1975م، ص 292.

ولو كانتِ الموتىَ تباعُ اشْتريتُهُ بكفي وما استّثنيتُ منها أناملـــــــــي

يلاحظ على هذه الأبيات في هذا العهد الذي اتسم بقلة النصوص الأدبية عامة والشـــعر على الأخص، بعدم انتمائها للبيئة الأندلسية التي لم تتكون بعد، إلا أنها قيلت أو كتبت فـــي الأندلس من قبل شعراء كانت نشأتهم وثقافتهم مشرقية خالصة، حيـــث الثـــأر والتنكيـــل، والخشونة وطبائع البداوة، حتى نخيل المشرق لم تغب عن شعرهم!

عهد الدولة الأموية (المروانية)138-422هـــ:

استطاع عبد الرحمن" صقر قريش"[1] أن يدخل الأندلس، ويكـــون أول حـــاكم أُمـــوي، بذكاء خارق، وبتمهيد سُمعة الأمويين التي ما تزال ثابتة في الأذهان، وبتدبير أنصـــارهم. وقد أسس عبد الرحمن دولة أموية جديدة فتية تجمع فلول قومه، وتعيد سيادتهم على تلـــك الأرض الأوربية، حتى صارت الأندلس منارة إشعاع علمي وفكري وحضـــاري، حـــين كانت أوربا في ظل جهالة عَمْياء تلفُّ معظم أقطارها وبلدانها.[2]

وينقسم هذا العهد إلى عهدين، عهد الإمارة ويبدأ من (138- 316ه)، بينما يبدأ عهـــد الخلافة حيث انتهى عهد الإمارة في 316هـــ حتى 422هـــ، ولكل عهد خصائصه التـــي تميزه في كل المجالات والاتجاهات عن غيره.

عهد الإمارة (138- 316هـــ) إمارة قرطبة:

يبدأ هذا العهد بدخول عبد الرحمن الداخل[3] إلى الأندلس وتأسيس الإمـــارة الأندلســـية، وتميز حكمه(138-173ه)، وحكم ابنه هشام(173-180ه)، وحفيده الحكم(180-206ه)، ببسط هيبة الدولة الأندلسية، وتقليل المنازعات الداخلية والخارجية بتضعيف الأرستقراطية العربية باستخدام عناصر عربية، وظهور طبقة الموالي والمولدين من الأسبان المســـلمين واستعمال العنف المفرط في القضاء على ثورة المولدين في العاصمة "قرطبة".[4]

1- لقب أطلقه عليه أبو جعفر المنصور الخليفة العباسي بالمشرق في عهده / أنظر الأدب العربي في الأندلس، عبد العزيز عتيق، ص 52وما بعدها.

2- الداية، في الأدب الأندلسي، ص29-30،

3- هو: عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، وهو من القلة الأموية القليلة الذين نجوا من سطوة المُسوّدة العباسية، وسُمي بالمسودة لاتخاذ العباسيين الرايات السوداء بديلاً لرايات الأمويين البيضاء وفي ذلك أشار ابن حزم :
ومذ لاحت الرايات سُوداً تيقنت نفوس الورى أنْ لا سبيل إلى الرشد!

4- الداية، في الأدب الأندلسي، ص 45.

الأندلس من الركود إلى الرقي والاستقرار:

وضع عبد الرحمن الداخل الدولة على سكة التقدم العلمي والحضاري، والتوسع في أعمال البناء والعمران، فقد أسس مسجد قرطبة[1]. فشيد الدُّور والقصور، كما بنى مساجد في مدائن أخرى، وبدأ فدوَّن الدواوين، وفرض الأعطية، وعقد الألوية، وجنّد الأجناد، ...، واستقل له الأمر، وتشجَّع وقطع الدعوة للخليفة المنصور العباسي وآله من فوق منابر الأندلس،[2] وعرفت الأندلس في عهده لأول مرة فن الموسيقى والغناء، وذلك أنه استقدم الحسن بن نافع "زرياب" المطرب والمُجدِّد الاجتماعي،[3] إيذاناً ببداية فن التوشيح.

يتميز عهد عبد الرحمن الداخل بإنشاء الدور الصناعية في موانئ الأندلس مثل: بَلْقَنَة، والمَرِيَّة، وشَلَبْ، وإشبيلية، والجزيرة الخضراء، وأشْبُونة.[4] واستخدم الفنانات المشرقيات وأسس لهن داراً عُرفت بدار "المدنيات" لتعليم الموسيقى والغناء"، وبرزت شخصية المرأة الأندلسية التحررية، كما بدأت الحياة الثقافية تميل إلى التحسن بعد وفود كثير من الأمويين على الأندلس، وعودة أفواج الدارسين من الشرق، واستمرت الحلقات الدراسية في الجوامع على غرار المدارس والجامعات، والتحول إلى المذهب المالكي من الأوزعي، كما ظهر الجيل الأول من الأدباء الأندلسيين، مثل: الشاعر أبو المخشي، والشاعر عباس بن ناصح، والشاعرة حسانة التميمية، ومشاركة الحكام في قرض الشعر، فقد كان عبد الرحمن الداخل شاعراً مجيداً وناثراً بليغاً، وحفيده الحكم بن هشام شاعراً وناثراً.[5]

وبدأت الحياة التحررية للمرأة الأندلسية تتفتح أزهارها وتشتم عبق أريجها لمسافات، حتى صار يقصدها المتنزهون للتمتع بما جادت بها قريحتها الشعرية، وسالت الكلمات ماءً سلسبيلاً تروي ظمأ من أحبها.

1- ابن عذاري،أبي العباس أحمد بن محمد، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ، تح، بشار عواد معروف و محمود بشار عواد، ط1، 2013م، دار الغرب الإسلامي، تونس، ج2، ص341، الوافي ص46

2- عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص 52-53/ النفح ج1، ص 308.

3- سالم، تاريخ الإسلام في الأندلس، ص 14

4- المصدر نفسه، ص14

5- توفيق، الوافي في تاريخ الأدب العربي في الأندلس، ص46

عهد الخلافة (316-422هـ) خلافة قرطبة:

ظل الأمويون بالأندلس يكتبون لأنفسهم بالإمارة، فلما تولى عبد الرحمن الناصر لدين الله سنة 300ه، واستقامت له الأندلس، وساد الاستقرار السياسي، تلقّب بألقاب الخلافة سنة 316ه، وهي ذات الفترة التي لمس الضعف أركان الدولة العباسية بالمشرق.

الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله هو: أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي.[1] وفي يوم ولايته اقترن بظهور الهلال يقول ابن عبد ربه الأندلسي من قصيدة:[2]

بداَ الهلالُ جديداً والمُلكُ غضٌّ جديدُ

يا نعمة الله زيدي إن كان فيك مَزيدُ

إن كان للصوم فطرٌ فأنتَ للدهر عيدُ[3]

وقد بلغ من احتفاء الناصر لدين الله بأبهة المُلك أن بنى لنفسه وحواشيه وجنده مدينة الزهراء على سفح جبل العروس المطل على قرطبة[4]، وكسا جدرانها بلوحات الرخام المذهبة والفسيفساء (الموزايكو)[5]. وتأنق غاية التأنق في قصره، ولم ينشأ له ولد إلا بنى له فيها قصراً مقروناً ببستان واختار له بعض الكفاة للقيام بشئونه وبعض المعلمين لتربيته وتعليمه. وعُني بالمسجد الجامع في قرطبة، وعني بعمده وزخرفته وأقواسه وأقام به محراباً بديعاً، مما جعل الشاعر ابن رباح يقول في ثريا المسجد الجامع:[6]

تحكي الثريا الثريا في تألُقِها وقد لَواها نسيمٌ وهي تتقدُ

كأنّها لذوي الإيمانِ أفئدةٌ من التخشُّعِ جوفَ الليلِ ترتَعدُ

1- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد، الكامل في التاريخ، تص، محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان،1987م ج6، ص 476.

2- عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص 75

3- المقري التلمساني، نفح الطيب، ج1، 330

4- ضيف، شوق، تاريخ الأدب العربي،عصر الدول والإمارات، ص31

3- عباس، إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة، دط، لبنان، ص15

4- الشنتريني، أبو الحسن علي بن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح، سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، لبنان،2012م ج3 ص 541

ومن إنشاءآته الضخمة بناؤه مدينة سالم في الثغر الأوسط بمواجهة مملكتي نبارّة والجلاقة لتكون مركزاً للجيوش المجاهدة هناك، وبنى مدينة المريِّة على البحر المتوسط. ويعد عهده أعظم عهد مر بالأندلس، بما أتاح لها من الاستقرار والوحدة، أعانه على ذلك حنكته السياسية وتدبير الحكم وخبرته في اصطفائه الرجال واختيار القواد، كما أعانه خُلق إسلامي وعربي كريم من التسامح والعفو عند المقدرة، وطالت مدة حكمه إلى سنة 350هـ.[1]

وقد عرفت الأندلس في ظله الدعة والرخاء، والاستقرار والهناء، وأضحت "قرطبة" بحق مدينة العلم والأدب، والفن والحضارة.[2]

هذا دليل على ما وصل إليه الذوق الفني في قرطبة الخلافية، وأن النفس العربية بدأت في التغيير نحو التحضر والتمدن، وسوف يلاحظ هذه التغيرات تأثيراتها على الحياة الأدبية بصورة عامة وعلى الشعر على وجه الخصوص وما آلت إليها حياة المرأة الشاعرة على التخصص.

ويعد عصر الخليفة الناصر لدين الله ربيعاً للأدب والعلوم على اختلاف أنواعها من لغة وحديث ونحو وتفسير وغيرها، ولم يكثر الشعراء كثرتهم في أواخر هذا القرن إلا في القرنين الخامس والسادس، وكان من تأثير ذلك أن صار أكثر الفقهاء وسائر أصناف العلماء رواة للشعر والأخبار.[3] ومن أشهر شعراء عصر الناصر: ابن عبده ربه، وابن شهيد ، وابن جهور.

وخلف الحكم المستنصر أباه على الخلافة بقرطبة في الفترة من 350-366ه، الوقت الذي بلغ فيه الازدهار السياسي والاقتصادي في الأندلس ذروته. وفي عهده بلغت الحضارة الإسلامية أوجها، ووصلت قرطبة إلى قمة المجد والبهاء، وأخذت تنافس بغداد والقسطنطينية.[4]

1- ضيف، تاريخ الأدب العربي،عصر الدول والإمارات، دار المعارف، ط4، القاهرة، مصر، 2007م، ص31-32
2-سلامة، الأدب العربي في الأندلس، تطوره- موضوعاته وأشهر أعلامه، ص21
3- الرافعي، مصطفى صادق ، تاريخ آداب العرب، مر، عبد الله المنشاوي ومهدي البحقيري، مؤسسة هنداوي للتعلم والثقافة، دط، القاهرة، مصر، 2012م، ج3، ص884، سلامة ص21
4- عباس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة، د.ط، بيروت، لبنان، ص15

وكان المستنصر محباً للعلوم، جامعاً للكتب في أنواعها، وكان يستجلب المصنفات من شتى الأقاليم، باذلاً فيها ما أمكن من الأموال حتى ضاقت عنها خزائنه.[1]

أما الشعر في عصره فهو من نوع المناسبات يدور أكثره على مدح بعض أعمال الخليفة الحكم أو تهنئته بميلاد أولاده، ومن مشاهير عصره في الشعر: حاجبه جعفر بن محمد المصحفي، والرمادي، وعبد الملك بن سعيد، ومنذر بن سعيد البلوطي، ومحمد بن هانئ شاعر إشبيلية.[2]

وكان المنتصر نفسه شاعراً، مما ينسب إليه من النظم قوله متغزلاً:

عجبتُ وقد ودعتُها كيف لم أمتْ وكيف انثنت بعد الوداع يدي معي؟

فيا مقلتي اعبْرى عليها اسكبي دماً ويا كبدي الحَرَّى عليها تقطّعي [3]

لما تُوفي الحكم المنتصر سنة 366ه، وولى ابنه هشام المؤيد، وهو شاب في الثانية عشرة من عمره، تحركت الروم ضده، فجهز محمد بن عبد الله بن أبي عامر لدفاعهم، فنصره الله عليهم، وتمكن حبه من قلوب الناس[4].

وفي عهد الخليفة هشام المؤيد أصبح صاحب السلطان الفعلي هو الحاجب، وذلك ما يسمى في التاريخ الأندلسي باسم "الدولة العامرية".[5]

وبذكاء تمكن أبو عامر من السيطرة على الفتى، وكَسِبَ عطف وود أمه الملكة (صبح البشكنجية أو أورورا)، مما ساعده على تقلد المناصب العليا حتى وصل إلى وظيفة الحاجب، فيسر له هذا المنصب الاستبداد بشئون الدولة، مستغلاً حداثة الحاكم وعطف الملكة، واستطاع التخلص من مناوئيه، ولقب نفسه "بالحاجب المنصور"، وطلب الدعاء لنفسه على المنابر، ولم يترك للخليفة غير الدعاء له ليلة الجمعة![6].

1- المصدر نفسه، ص15
2-عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص85
3- المقري التلمساني، نفح الطيب، ج1 ص 372
4- عتيق،الأدب العربي في الأندلس، ص 86
5- عباس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، دار الثقافة، دط، دت، لبنان ص 11
6- سلامة، الأدب العربي في الأندلس، ص 22

ومع ذلك نهض الأدب في زمن المنصور حتى صار حُلية الشباب، وزينة الناشئة الأندلسية، والشعر الغالب في هذا العصر هو شعر المدح، والغزل، والوصف، والفخر بانتصارات المسلمين في غزواتهم، وشعر الاستعطاف من قبل بعض من سجنهم في المطبق، كالحاجب جعفر بن عثمان المصحفي، وكان المنصور بن أبي عامر شاعراً، ومن شعره في الفخر:[1]

رميتُ بنفسي هول كلّ كريهةٍ وخاطرتُ والحرُ الكريمُ يُخاطرُ

وما صاحبي إلا جَنانٌ مشيعٌ وأسمرٌ خطيُ وأبيضُ باترُ

وفي عهده عرِفتْ قرطبة للمرة الأخيرة مجداً يشبه الوهج المتألق الذي يغمر الأفق عند الغروب. وقد احتفظتْ قرطبة بهذا المجد في عهد ابنه عبد الملك 392- 399ه، الذي ورث صفات القوة والشجاعة عن أبيه، ثم خلفه أخوه عبد الرحمن وكان خسيساً مستهتراً ماجناً، إذ نقم عليه الناس، وانفض عنه جنده وقبض عليه المهدي وقتله.[2]

وفي هذه الفتنة ورد في ملحق كتاب ابن بسام الشنتريني أرجوزة لأبي طالب عبد الجبار وصف فيها تلك الفترة، وقال عن الفتنة الأولى بقرطبة:[3]

لما انقضتْ دولة آلِ عامرِ قامَ بها المهدي من آلِ الناصرِ

فوقَعتْ بينَهُمُ حروبُ لاح له من بينها الهُرُوبُ

فأظلمتْ في عصره الآفاقُ وعمّها الشقاقُ والنِّفاقُ

ويمثل ديوان ابن دراج القسطلي وقصائده المدحية صورة للواقع السياسي الذي مرت به البلاد في تلك الحقبة، مع الإشارة إلى أن ابن دراج كان شاعراً مادحاً، مدح معظم الحكام والأمراء أصحاب السلطة، وله في المهدي الذي ضرب قرطبة قصيدة مدحية تقول:[4]

قل للخلافة قد بلغتِ مناك ورأيتِ ما قرتْ به عيناك

1- عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص 89

2- سالم، تاريخ الإسلام في الأندلس، ص16

3- االشنتريني، الذخيرة ¼ ص 591

4- القسطلي، أبو عمر أحمد بن محمد، الديوان، تح، علي محمود مكي، المكتب الإسلامي، دمش سورية، ط1961،،1م، ص 63

مهدي أمة أحمد وكريـــــــــمُها وحليمُها يأوي إلى مأواك

ثم كانت الفتنة البربرية ومحاولات متكررة لاستبعاد السيادة الأمويـــة، وكلهـــا تبـــوء بالإخفاق، ويقتسم الطامحون مدن الأندلس ويحكمونها باسم ملوك الطوائف وتضيع ســـيادة قرطبة بذهاب الخلافة الأموية.[1]

وتبع ذلك عصر من الفوضى عانت فيه البلاد فتناً واضطرابات ما بين (399-422ه) عصر الفتنة، وتولى أمر الأندلس عدد من الخلفاء الأمويين الضعاف يزيد عـــددهم علـــى عدد من تولى الأندلس قبلهم من بني مروان طوال ثلاثة قرون.[2]

ومن آثار هذه الفتنة أن هاجر من قرطبة إلى مدن الأندلس المختلفة كثير من علمائهـــا، وهاجر معهم إلى تلك المدن كثير من الكتب العلمية التي كانت مختزنة في مكتبة الحكـــم وغيرها من مكتبات المساجد والمكتبات الخاصة.[3]

ويرى الباحث أن النزاع الذي دبَّ بين الأمراء الأمويين بعضهم، ثـــم بـــين الأمـــويين والبربر، والاستعانة بالمسيحيين في الشمال، باعثه هو الجلوس على عرش الخلافة، وثمنه التنازل من أرض المسلمين، وعن بعض الحصون والمدن وقد كان!

عصر الطوائف 424-484هـ

يُؤرِّخ لعصر الطوائف بزمان يمتد من(424 إلى484ه)، أي سنة سقوط دولـــة بنـــي عباد في يد يوسف بن تاشفين، وهو تقدير مقاربة.[4] فيما يرى أحمد هيكل: أن هذا العصر ينتهي باستيلاء المرابطين على الأندلس بقيادة يوسف بن تاشفين سنة 493هـ[5].

ويرى عتيق: أن عصر ملوك الطوائف قد بدأ قبل هذا التاريخ بنحـــو عشـــرين ســـنة، وعلى التحديد بعد ذهاب دولة المنصور بن أبي عامر سنة 392هـ، وقيام الصراع بـــين الأمراء المروانيين على الخلافة.[6]

1- عباس، عصر سيادة قرطبة، ص 11
2- سالم، تاريخ الإسلام في الأندلس، ص 16
3- ضيف، عصر الدول والإمارت، ص 67
4- الداية، في الأدب الأندلسي، ص34
5- هيكل، الأدب الأندلسي من السقوط حتى الخلافة، ص28
6- عتيق، الأدب العربي في الأندلسي، ص93

يرى الباحث أن انفراط عقد عصر ملوك الطوائف سنة 504هـ وهي السنة التي سقطت فيها أكبر الدويلات الطائفية " مملكة سرقسطة " التي ظلت سداً منيعاً أمام الممالك النصرانية. وطبيعي أن يقوم نظامان مختلفان لأمة واحدة ذات خصائص مشتركة في رقعة جغرافية واحدة وتاريخ واحد جنباً إلى جنب؛ "دولتي الطوائف والمرابطين".

عموماً فإن الوحدة السياسية الأندلسية قد تفككت عقب سقوط الخلافة الأموية بقرطبة، واستقل الأمراء والرؤساء من البربر والعرب والصقالبة بسائر المدن، وقسموا خطتها، وتغلب بعضهم على بعض، وقامت في البلاد على أنقاض الخلافة عدة دويلات صغيرة، واستقل كل أمير بدويلته، واستبد بأمورها... لذا أطلق عليهم المؤرخون اسم ملوك الطوائف.[1]

وكان من أعظم هؤلاء الملوك: بنو العبّاد بإشبيلية، وبنو ذي النون بطليطلة، وبنو جهور بقرطبة، وبنو حمود بغَرناطة ومالقة والجزيرة الخضراء، وبنو صمادح بالمَرية، وبنو الأفطس ببطَلْيوس، وبنو هود بسُرقسطة، وبنو عامر والصقالبة بشرق الأندلس[2]

وكانت دول الطوائف أو دويلاتها تتألف من مدينة وما حولها، أو مدينتين أو أكثر من ذلك بحسب المقدرة والنفوذ. وقد اتخذوا جميعاً شارات الحكم وأُبهة السّلطة، وجمعوا في بلاطاتهم الشعراء والكتاب والعلماء، وبددوا الأموال، وأغدق كثيرٌ منهم على الحركة الأدبية والعلمية.[3]

انتحل هؤلاء الملوك ألقاب الخلافة، من معتمد ومعتضد وموفق ومستكف و مستظهر ومنصور وناصر.[4]

وقد صور ابن رشيق هذه الدويلات بعد أن استنهضه ابن شرف الجزامي لدخول الأندلس فتردد وقال:[5]

مما يُزهِّدُني في أرضِ أندَلُسٍ أسماءُ مقتدرٍ فيها و معتضدِ

1- سالم، تاريخ الإسلام في الأندلس، ص17
2- سالم، تاريخ الإسلام في الأندلس، ص17
3- الداية، في الأدب الأندلسي، ص 34
4- سالم، تاريخ الإسلام في الأندلس، ص 17
5- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج6، ص 2637 / و نفح الطيب ج1 ص199 / و سالم، تاريخ الإسلام في الأندلس، ص 34 34

ألقابُ مملكةٍ في غير موضعها كالهرِّ يحكي انتفاخاً صَوْلَةَ الأسدِ

وارتقى فنا الموسيقى والغناء اللذان توارثتهما الأندلس في عصر ملوك الطوائف عن زرياب. وتقدم فن العمارة والزخرفة، وبالغ الفنانون في الحشد الزخرفي، وأسرفوا في التعقيد الجنوني، مما تشهد به آثار قصر الجعفرية بسُرقسطة، وقصر بني حمود بمالقة.[1]

و في عصر ملوك الطوائف تعددت مراكز الثقافة بتعدد عواصِمهم، وراح هؤلاء الملوك يتشبهون بالخلفاء في كل شيء حتى في انتحال ألقابهم مثل: المنصور والمعتمد، وكان أغلبهم شعراء من أمثال: المعتصم بن صُمادح، وعبد الملك بن رزين، وإدريس بن يحيى، والمظفر بن الأفطس، وأبي الحزم ابن جهور، والمعتمد بن عباد، والمقتدر بن هود[2] القائل:

قصرَ السرورِ ومجلس الذهبِ بكما بلغتُ نهاية الأربِ
لو لم يَحُز ملكي خلافكما كانت لديّ كفايةُ الطلبِ[3]

من خلال ما تقدم يُلاحظ أن دولة بني هود- دولة عربية – (400- 536ه) وعاصمتها سُرقسطة وهي البداية والنهاية للدويلات الطائفية، ثم دولة بنو رزين وهم من البربر(402- 497ه) وعاصمتهم شَنْتَمرية، ودولة بنو حمود وهم من العلويين (407-450ه) وقد تنقلوا بين قُرطبة، ومالقة، والجزيرة الخضراء، والدولة الزيرية وهي بربرية، واستقلت في غرناطة حتى 483هـ، وتأتي دولة بنو عامر و كانت حاضرتهم بلنسية، وهم من مولى بني عامر، وقد حكموا من سنة(413-487هـ)، ثم بنو الأفطس وينتمون في الأصل إلى بربر مكناسة، وحاضرتهم بَطليوس، وحكموا من سنة(413-487هـ)، وبنو عبّاد وهم ملوك إشبيلية وغرب الأندلس، حكموا من سنة(414-484هـ)، وبنو جهور وقد قامت دولتهم في قرطبة بعد سقوط الخلافة الأموية، وحكموا من سنة(422-463هـ)، ودولة بنو ذي النون في طُلَيْطُلة ودام ملكهم من سنة427 إلى سنة 487ه، وهم من أصل بربر المغرب.

1- سالم، تاريخ الإسلام في الأندلس، ص18
2- عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص 99-100
3- المقري التلمساني، نفح الطيب، ج1 ص442

وهذه الدويلات حكمها ملوك من المسلمين ينتمون إلى أجناس مختلفة، فبعضهم كانوا من العرب، وبعضهم من البربر؛ وهم من سكان شمال إفريقيا، وبعضهم من الصقالبة؛ وهم من العناصر القديمة في أوربا.[1]

(... وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (216))[2] على الرغم من أن الآية تشير إلى كراهية المنافقين للجهاد في سبيل الله لما فيه من مشقة، فإن أمّتنا قد كرهت الطائفية التي سادت بين المسلمين في الأندلس، ولكن الواقع فإن الأدب في تلك الفترة منذ مطلع القرن الخامس الهجري وحتى أوائل القرن السادس منه قد نهض بفضل ملوك الطوائف نهضة واسعة خاصة الشعر، فيُلاحظ أنهم راحوا يستميلون العلماء والأدباء والشعراء إلى عواصمهم، ويشجعون الحركات العلمية والأدبية والفنية في مقار حكمهم، ويستقدمون علماء المشرق.

وفي هذا قال عتيق: (وهكذا نرى الأندلس بفضلهم تنهض في القرن الخامس وأوائل السادس نهضة واسعة في أدبها من شعر ونثر، حتى ليُعدُ عصرهم من أزهى عصور الأندلس الأدبية.)[3]

ولم يفت بعض شعراء هذا العصر أن ينقدوا ملوكهم سياسياً واجتماعياً، وأن يأخذوا عليهم انشغالهم باللهو والمجون ومظاهر المُلك الكاذبة عن مقاومة أعداء البلاد الطامعين فيها.[4] منه قول عبد الله بن فرج اليحصبي المعروف بابن الغسّال في سقوط طُليطُلة:[5]

يا أهل أندَلُسٍ حُثُّوا مَطِيّكم فما المقام بها إلا من الغلطِ
الثوب ينسلُ من أطرافه، وأرى ثوب الجزيرة منسولاً من الوسطِ
من جاور الشر لم يأمنْ عواقبه كيف الحياة مع الحيّات في سَفطِ

ومنه قول الشاعر أبي القاسم بن الجد:[6]

أرى الملوك أصابتها بأندَلُسٍ دوائرُ السوء لا تُبقي ولا تذرُ

1- عابدين، نماذج من الشعر الأندلسي، ص6
2- البقرة من الآية 215
3- عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص 100
4- المصدر نفسه، ص100
5- المصدر السابق، ص 101 / كنون، النبوغ المغربي، ج1 ص 66
6- عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص 101

ناموا وأسرى لهم تحت الدجى قمرٌ هوَى بأنجمهم خسفاً وما شعروا
وكيف يشعر من في كفّه قـــــــدحٌ يحدو به مُلْهِياه: النايُ والوترُ؟

يُلاحظ على عصر ملوك الطوائف: أنه عصر تفكك واضمحلال سياسي واقتصـــادي واجتماعي كذلك، فكان من الطبيعي أن يؤثر ذلك سلباً على الأدب، إلا إنه كـــان عصـــر ازدهار للأدب وذلك لما كان يلقاه من شغف الملوك والأمراء، بل كـــانوا ضـــمن مكـــون الأدباء، فضلاً عن تشجيعهم للأدباء مما جعل العامة يعتنون به، وكذلك الاعتناء والاهتمام بهذا العصر من قبل النقاد ودارسي الأدب ومؤرخيه قديماً وحديثاً.

عصر المرابطين 493- 541هـ:

أعقب عهد المرابطين بالأندلس، عهد ملوك الطوائف الذي كانت البلاد فيه منقســـمة إلى عدة ممالك يحكم كلاً منها أمير مُستقل، من أصل أندلسي عربي، أو من أصل بربري أو من أصل صقلبي.[1]

ينتسب أمراء هذه الدولة إلى قبيلة(لمْتُونَة) من برابرة صنهاجة في المغرب، وكـــان مـــن عاداتهم أن يضعوا لثاماً على وجوههم لذا لقبوا بالملثمين.[2] يقول الدكتور عبد المجيد عابـــدين: إنهم خرجوا من الصحراء الغربية في إفريقية، وكانوا حديثي عهد بالإسلام، وعبروا البحر إلى الأندلس وكان أول ملوكهم على الأندلس يوسف بن تاشفين، ويطلق عليهم البربـــر الملثمـــون. وكان عصر تأخر وتدهور ثقافي.[3]

تنابذت الإمارات الطائفية وتطاحن ملوكها من أجل اتساع النفوذ على حساب الآخرين، الرغبة في التطاول على سواهم، فيستغل المسيحيون في الشمال هذه الفرصة للضغط على من يلجأ إليهم، أو توهمه بذلك خوفاً عليه من غيره.[4]

ثم يُحْكِمُ المسيحيون القبضة على رقاب ملوك الطوائف، منتهزين انغماسهم في الملذات والشهوات، والتخاصم والتنازع مع بعضهم تارة، ومع الآخرين تارة أخرى فتأخـــذ فـــي الانهيار أمام المسيحين بعض دول الطوائف، الأمر الذي دفع بعض ملوكها البـــاقين مـــن

1- عوض الكريم، مصطفى، الأدب الأندلسي في عهد المرابطين، دط، 1968م، ص1
2- سلامة، الأدب العربي في الأندلس، ص26
3- عابدين، عبد المجيد ، نماذج من الشعر الأندلسي، دار الفكر، د.ط .ت، لبنان، ص 7، 20
4- غراب، أطياف من تاريخ الأدب العربي ونصوصه في الأندلس، ص21-22

أمثال: المعتمد بن عباد، إلى الاستعانة بدولة المرابطين بمراكش في المغـــرب.[1] بعـــد أن عقد الفقهاء الأندلسيون اجتماعاً في قرطبة، اجتمع رأيهم فيه على الاستعانة بـــالمرابطين، وتوجه زعيمهم القاضي عبيد الله ابن أدهم إلى المعتمد بن عباد الذي عقد مؤتمراً اتخذ فيه قراراً بإرسال وفد من كبار القضاة يمثل مختلف الممالك الأندلسية للاستنجاد بالمرابطين، على الرغم من معارضة ابنه وتحذير ملوك الطوائف لعاقبة هذا القرار،[2] فرد عليهم: (بأنه يفضل رعي الجمال على رعي الخنازير، وإرضـــاء الله بالاســـتنجاد بـــالمرابطين علـــى إسخاطه في اللجوء إلى النصارى).[3] وعَدّ ابن تاشفين صريخ ملوك الطوائف دعوة إلـــى المشاركة في الجهاد والذود عن الدين المشترك،...، وجرت مراسلات بينه وبين أَذْفُونش الذي فك الحصار عن سُرقسطة واستدعى الجيوش من مختلف أنحاء إسبانيا النصـــرانية، وتدفقت عليه سيول الفرسان المتطوعين من جنوب فرنسا وإيطاليا، حيـــث عـــرض ابـــن تاشفين على أذفونش الإسلام أو الجزية أو الحرب، فاستشاط غضباً ورد على ابن تاشفين بكتاب غليظ يفيض بالوعيد.[4] فاكتفى ابن تاشفين بأن رد عليه كتابه ممهوراً بتلك العبـــارة المشهورة (الذي يكون ستراه)[5] أو رد عليه بقوله تعالى[6]: (ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَـــاغِرُونَ (37))[7]. فيســـرع المرابطـــون بالاســـتجابة، ويهزمون الأسبان في معركة "الزلّاقة"[8] على الأرجح سنة479هـــ. ويخرجُـــونهم مـــن الأندلس. ولكنهم يفضلون البقاء والاستيلاء على البلاد، وعزل من شـــاءوا مـــن ملـــوك الطوائف ثمناً لنصرهم على الإسبان.[9]

1- المرجع نفسه، ص 22

2- القيسي، فايز عبد النبي فلاح، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، الأردن، دار البشير، ط1، 1989م ، ص24-25

3- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان، دط تـ، تح، إحسان عباس، لبنان، دار الثقافة، ج7ص115/ الاحاطة، ج2ص109/ نفح ج4ص359 المصدر نفسه، ص25

4- القيسي، أدب الرسائل، ص 24-25

5- المقري التلمساني، نفح الطيب، ج4 ص361

6- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج7ص7.

7- النمل، 37

8- الزلّاقة: بطحاء من إقليم بطليوس في غرب الأندلس، وفيها حدثت المعركة (أنظر معجم، ياقوت بن عبد الله الحموي، لبنـان، ج3 ص146)

9- غراب، أطياف من تاريخ الأدب العربي ونصوصه في الأندلس، ص 22

دام حكم المرابطين في الأندلس ستين عاماً، نشط فيه الحركة الفكرية، وبـــرز أكـــابر علماء الفلسفة في عصرهم منهم: أبوبكر بن باجة، أبو الوليد بن رشد، وأبوبكر بن طفيل، واشتهرت معارفهم في عصر الموحدين، وأبو العلاء بن زُهر الطبيب الفـــذ.[1] وســـيتناول البحث الحديث عنهم بالتفصيل في المبحث المخصوص للثقافة في الأندلس.

عصر الموحدين 541- 668ه:

يرجع عصر الموحدين في نشأته إلى قبائل "المصـــامدة"، وقـــوام دعـــوتهم: الأمـــر بالمعروف والنهي عن المنكر.[2] وهؤلاء أيضاً عبروا البحر من شمال إفريقيـــا، وكـــانوا تحت قيادة المهدي بن تومرت، ودعوا إلى تعاليم لا تخلو من آثار التشيع،[3] واستولوا على على مراكش في المغرب الأقصى، ثم عبروا البحر وحكموا في الأندلس، وكان حكمهـــم خيراً من حكم سابقيهم.[4]

وتبقى الأندلس بطوائفها ملازمة لها حتى تضعف إمرتها، وتعود إلى المسيحيين قوتهم، فيأخذون من جديد في الاستيلاء على المدن الأندلسية، واحدة تلو الأخرى، ولا يبقى أمـــام نفوذهم غير تلك المملكة الأخيرة التي تقوقعت في جنوب البلاد، ومقرها "غرناطـــة" منـــذ عام 629هـــ.[5]

وقد دام ملك الموحدين نحو مائة وثلاثين سنة، وفي نهايتها تمكن النصارى من قهرهم وإخراجهم من الأندلس، والاستيلاء على أكثر إماراتها. ومن محامد الموحدين أنهم شجعوا العلوم والآداب، فبعض أمرائهم قد استقدموا الفلاسفة إلـــى بلاطهـــم وأكرمـــوا وفـــادتهم وشجعوهم على التأليف، ومن محامدهم أنهم عنوا بالعمارة والحضـــارة، ومـــن آثـــارهم الخالدة منارة الجامع الكبير في " إشبيلية "[6]

1- سلامة، الأدب العربي في الأندلس، ص19، 28
2- ابن خلدون، المقدمة، عبد الرحمن بن محمد، تق، محمد الإسكندراني، دط، 2005م،لبنان، دار الكتاب العربي، 753/2 /علي /علي سلامة ص 29
3- العبادي، أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، د.ط مصر، 2008م، ص329 وما بعدها.
4- عابدين، نماذج من الشعر الأندلسي، ص7
5- غراب، أطياف من تأريخ الأدب العربي ونصوصه في الأندلس، ص22
6- سلامة، الأدب العربي في الأندلس، ص 30

عصر غرناطة 665- 898هـ:

غَرْناطة بفتح الغين المعجمة، وسكون الراء المهملة، ويُقال لها (أغرناطة)، إلا أن الهمزة أسقطت منها.[1] وهي مدينة جنوب أسبانا الحالية، لم يتفق الباحثون في سبب تسميتها، فيرى بعضهم اشتقاقها من الكلمة اليونانية "Carnta" بمعنى "الرُّمانة" لكثرة حدائق الرمان بها، وبعضهم الآخر يرجح أن أصلها قوطي أو بربري اشتق من أسماء بعض القبائل.[2]

عموماً فبعد أفول نجم دولة الموحدين استطاع (محمد بن هود) صاحب بطليوس أن يبسط سلطانه على بعض المدائن الأندلسية حتى صار ملكه يشمل: بَطْلْيوس، وإشبيلية، وقُرْطُبة، ومَرْسية، ...، بل تمكن الفرنجة من الاستيلاء على المدائن والحصون حتى سقطت "قرطبة" بعد أن ظلت خمسمائة وعشرين سنة عاصمة للأندلس، وقُتِلَ "ابن هود" ولم يبق للمسلمين غير"غرناطة" و"المرية"، وما حولهما، وظهرت في "أرغونة" قبيلة عربية من بني الأحمر وعميدها "محمد بن يوسف النصري" المعروف بابن الأحمر سليل بني نصر الذين ينتسبون إلى "سعد بن عبادة" سيد الخزرج.[3] وكَوَّن قوة ضاربة استولى بها على بعض مناطق جنوب الأندلس، وكون مملكة "غرناطة" وأنهى حكم الموحدين بالأندلس، ووقفتْ هذه المملكة الصغيرة في وجه الأفرنج قرنين ونصف من الزمان، في الوقت الذي يتناحر ملوك إسبانيا على السلطة فيما بينهم، وتعاقب على عرش غرناطة "نحو عشرين ملكاً" من أبناء محمد بن يوسف وأحفاده في ظل حروب طاحنة ونزاعات مستمرة.[4]

وتشغل غرناطة رقعة مستطيلة في وادٍ عميق، يمتد من شمال غرب جبال "سيرا نيفادا" التي ينبع منها نهر شَنِيل ليحدها من الجنوب، كما يخترق هذه المدينة فرعٌ من نهر شنيل يُسمى نهر حَدُّره أو هدُّره، وكان النهرُ وفرعه كثيراً ما يفيضان بالماء، فيُضفيان خضرة على الضفاف، وجمالاً على الخمائل، حيث تعشوشب الأرض، وتتلألأ الأزهار. وقد شُبهت "غرناطة" بغوطة دمشق لجمال طبيعتها، إلا أنها تمتاز عليها بأن مدينتها تُشرف على غوطتها وهي مكشوفة من

1- ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة "غرناطة"
2- ابن الخطيب، الإحاطة ج1، ص169 وما بعدها.
3- المقري التلمساني، نفح الطيب، ج 1/ 447 / سلامة، الأدب العربي في الأندلس، ص 31
4- سلامة، الأدب العربي في الأندلس، 31

الشمال.[1] مما أدى إلى تعلق قلوب أهلها بها، وبروعة طبيعتها، واتصال بساتينها واعتدال مناخها، وكان ذلك من أسباب ثراء لون من الأدب العربي في الأندلس[2]

وقد تقلص ظل المسلمين واللسان العربي في الأندلس حتى انكمش في الجنوب في غرناطة، وكان بعض ملوكهم تابعين لملوك النصارى وأحوالهم السياسية كانت تؤذن بزوال حكمهم في هذه البلاد.[3]

وتبقى لدولة "بني الأحمر" القدرة على الصمود والبقاء في وجه كل التيارات المناوئة للإسلام، والراغبة في القضاء على هذا المعقل الحصين نحو قرنين ونصف من الزمان يدافعون عنها ببسالة، ويشيدون بها القصور ما بقي مخلداً لهم إلى الآن(قصر الحمراء في غرناطة) حتى تنفذ كل الحيل في الإبقاء على أمل المسلمين في تلك البلاد.[4]

وتُسلّم "غرناطة" إلى المسيحيين الأسبان، ويُولِّى باقي العرب والمسلمين وجوههم إلى بطاح المغرب عام 897هـ بعد أن ظلوا بها ثمانية قرون، بنوا بها صروح حضارة، وشادوا أمجاداً وتاريخاً.[5]

إذن يُعد هذا العصر من أسوأ عصور الأندلس لكثرة فتنِه وانقلاباته، غير أنه يُعد عصراً مزدهراً من الناحية الحضارية ففيه شُيدت قصور الحمراء، كما اهتم الحكام بالآداب والفنون.[6]

وفي سنة 898هـ / 1492م أي بعد نحو ثمانية قرون من الفتح الإسلامي للأندلس هاجم "فرديناند" بني الأحمر وهزموهم هزيمة مروعة، وسقطت "غرناطة" في 21 محرم سنة 898ه الموافق 25 نوفمبر 1492م، آخر معقل من معاقل الإسلام في الأندلس، وسلم أبو عبد الله آخر ملوكها مفاتيح المدينة إلى الغالبين وعلى رأسهم "فرديناند" قائلاً له: هذه المفاتيح هي آخر ما بقي من سلطان العرب في إسبانيا خذها ، فقد أصبح لك مُلكِنا وأشخاصنا كما قضت مشيئة الله تعالى، فتقبلها بالرأفة التي وعدت بها والتي ننتظرها منك، ثم انفصل عن الملكين، ومضى في طريقه حيث انضم لآل بيته على مشرف عالٍ يرى من خلاله "غرناطة" حيث ودعها الوداع

1- القلقشندي، أبو العباس أحمد، صبح الأعشى، دار الكتب المصرية، دط، القاهرة، مصر،1922م، ج5، ص217-218 القصيدة الصوفية، ص13

2- الرياني، محبوبة أحمد ، القصيدة الصوفية الأندلسية خلال القرن الثامن الهجري، ص13

3- نماذج من الشعر الأندلسي، عبد المجيد عابدين، ص7

4- غراب، أطياف من تاريخ الأدب العربي ونصوصه في الأندلس، ص22

5- المرجع نفسه،ص 22

6- شكيب أرسلان، خلاصة تاريخ الأندلس، دار مكتبة الحياة، د.ط، نيروت، لبنان، 1983، ص 283 وما بعدها

الأخير، وأثناء هذا الوداع ارتفعت أصوات المدافع إيذاناً بأن "غرناطة" قد دخلت في حوزة الإسبانيين. [1]

عندئذ لم يتمالك "أبو عبد الله" – وهو واقف على تل البذول الذي أسموه الإسبان: زفرة العربي الأخير el ultimo suspiro del morus_ [2] من هول ما رأى وما سمع إلاّ أن يقول: الله أكبر، ثم أجهش بالبكاء. فمشت أمه "عائشة الحرة" إليه وقالت كلمتها المشهورة التي تناقلها المؤرخون عبر الزمن: (أجلّ عليك أن تبكي بُكاء النساء على ما عجزتَ أن تُدافع عنه دفاع الرجال). [3]

هذه هي العصور السياسية التي مرت على الأندلس غير أن أحمد هيكل يقول: أن بعض الباحثين يُولد من تلك العصور عصرين آخرين، فيُجعل فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين عصراً ويسمى "عصر الطوائف الثاني"، ويجعل كذلك فترة ما بين عصر الموحدين والعصر الغرناطي عصراً آخر، ويسمى "عصر الطوائف الثالث"، كما أن بعض المؤرخين يضم الفترات الأولى من الدولة الأموية إلى فترة ما بعد الفتح الإسلامي، وهي فترة الولاة، ويسمى كل ذلك، عصر الإمارة ويعني بذلك كل ما قبل الخلافة، أو عصر الإمارتين، إمارة غير الأمويين ثم إمارة الأمويين.[4]

وبهذ يكون قد طوى المسلمون: عرب، وبربر، وموال صفحة مُشْرقة، من صفحات التاريخ الإسلام في أوربا بعد أن دانت لهم الحياة برغدها، وخلفوا من الحضارة والثقافة التي أنارت الطريق للأوربيين فمشوا على خطى سليمة حتى سَمُوا بها علينا في العمارة وغيرها، وأصبحنا نستعيرها منهم بعد أن كنا المُعيرين!!

وأن الغرض من هذه التقسيمات التاريخة والسياسية كلها –حسب رأي الباحث– معرفة المؤثرات والتغيرات التي طرأت على الأدب الأندلسي عامة والشعر – شعر الشواعر– على الخصوص، فربما هناك تغيرات في عصر واحد تجعل للشعر ميزات متباينة، وربما توافق بين عصرين، وستُكشف ذلك كله في الفصول والمباحث اللاحقة.

1- المصدر السابق، ص 285
2- سلامة، تاريخ الإسلام في الأندلس، ص 26
3- أرسلان، خلاصة تاريخ الأندلس، ص285
4- هيكل، الأدب الأندلسي، ص 29

المبحث الثاني:

ملامـــــــــح عن الحياة الإجتماعية.

الحياة الاجتماعية:

مكونات المجتمع الأندلسي:

ليس في العالم العربي إقليم اختلطت به الدماء والأجناس كما اختلط بالأنـــدلس، ... فتألف عناصر المجتمع الأندلسي من عناصر متباعدة فمنها الآســيوي كـــالعرب، ومنهـــا الإفريقي كالبربر، ومنها الأوربي الإسباني والإيطالي والفرنسي والألماني.[1] وبذا يتـــألف المجتمع الأندلسي من مكونات وعناصر وأعراق متنوعة ساهمت في بناء الحياة العامة في أجواء يسودُها التسامح والمحبة والاحترام والتعـــاون والمصـــاهرات الاجتماعيـــة، ممـــا ساعدت على بقائه وديمومته أكثر من ثماني قرون من الزمان.[2]

ويُرى التكوين البشري لسكان شبه جزيرة إيبريا امتزاجاً في غاية من التعقيد، إذ إنهـــا كانت تضم عناصر عرقية كثيرة، فقد ضمت الأصليين من الإيبريين وهم: (جـــنس مـــن البربر وقد أطلق عليهم اسم المُورِيين)[3]، ثم نزلتها عناصر فينيقية ويونانيـــة وقرطاجنيـــة ورومانية وجرمانية، ونزلها كثيرون من اليهود، ثم نزلها مع الفتح العرب والبربر.[4]

وقد تباينت العناصر الوافدة على أرض الأندلس منذ أحقاب بعيدة، قد ترجع إلى ما قبل الميلاد، حتى استولت عليها روما في أوائل القرن الثالث الميلادي، واتخذت أسبانيا أســـماً لها، واللاتينة لغة، والمسيحية ديناً.[5]

وجلب إليها حكام الدولة الأموية كثيرين من الصقالبة المنتمين إلى شرق أوربا وفرنسا وألمانيا، وبذا يكون تكوين المجتمع الأندلسي من أجناس القارات الثلاث القديمـــة: أوربـــا وآسيا وإفريقية، ودخل كثير من أهل إيبيريا في الإسلام وكانوا يُسَمَّوْن: "المسالمة" وسُمِّي

1- ضيف، شوقي، نوابغ الفكر العربي، ابن زيدون، دار المعارف، ط1، دت، مصر، ص7-8

2- العـامري، محمـد بشـير حسـن، مظـاهر الابـداع الحضـاري فـي التـاريخ الأندلسـي، دار غيـداء للنشـر والتوزيـع ،ط1 ،الأردن،2012م، ص 191

3- توفيق، الوافي في الأدب الأندلسي، ص 23/ فصول من الأدب الأندلسي، ص 35

4- العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص20

5- غراب، أطياف من الأدب الأندلسي، ص 23

أبناؤهم باسم المولدين، وظل كثيرون على مسيحيتهم مع اصطناعهم لحياة المسلمين وعاداتهم وتعلم العربية والتكلم بها وسُمُّوا باسم المستعربين.[1]

وعلى ذلك يكون المجتمع الأندلسي بعد الفتح الإسلامي مكوناً من: سكان البلاد من الإيبيريين واليونانيين والرومانيين والقرطاجنين والجرمانيين والقوط الذين أصبحوا خليطاً متجانساً بطابع روماني،[2] والعرب الذين دخلوا الأندلس على شكل موجات متتابعة سموا "طوالع" وأولهم الذين رافقوا موسى بن نصير، وطالعة مع بلج بن بشر القيسي واستوطنوا الأراضي الخصبة وسُمُّوا "البلديين"، وجاء بعدهم الشاميون، ... وقد نشب خلافاً بينهم أدى إلى تقسيم البلاد إلى أقاليم مثل: إقليم همدان اليماني، وإقليم بني سعد، وإقليم بني أوس، وأقاليم للبربر مثل: إقليم زناتة، وإقليم مصمودة وصنهاجة.[3]

وقد تميز المجتمع الأندلسي بصفات أهمها: نظافة المظهر والتأنق في الملبس فكان الواحدُ منهم يُفضل أن يبيت طاوياً ليشتري قطعة صابون![4] فتَبْصُرَهم في المساجد أيام الجمع كالأزهار المتفتحة في البطاح الكريمة تحت الأهوية المعتدلة،[5] وكانوا أشد ما يكرهون التسول إذا كان صاحبه قادراً على العمل، كما اعتادوا ترك العمائم، واعتادوا ارتداء الملابس البيضاء للحداد، أما أخلاقهم فحسنة عموماً، يميلون إلى التحرر وتجنب التزمت.[6]

وصفهم لسان الدين بن الخطيب فقال: "... وصورهم حسنة، معتدلة أنوفهم، بيضٌ ألوانهم، مسودةٌ غالباً شعورهم، متوسطةٌ قدودهم، فصيحةٌ ألسنتهم، عربيةٌ لغاتهم، يتخللها عرفٌ كثير وتَغْلبُ عليها الإمالة، وأخلاقهم أبية، والغناءُ بمدينتهم فاشٍ، ...الخ "[7]

1- ضيف، عصر الدول والإمارات، ص 46
2- توفيق، الوافي في تاريخ الأدب الأندلسي، ، ص24/ أمين، فجر الإسلام ص 366
3- توفيق، الوافي في تاريخ الأدب الأندلسي، ص 25/ فصول في الأدب الأندلسي، ص35 / كتاب البلدان ص354
4- المقري التلمساني، نفح الطيب، ج1 ص 223
5- الخطيب، لسان الدين الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، المكتبة السلفية، دط، القاهرة، 1347هـ، ص 27وما بعدها
6- الرياني، القصيدة الصوفية الأندلسية خلال القرن الثامن الهجري، ص 16
7- اللمحة البدرية، ص 27/ الرياني، القصيدة الصوفية الأندلسية خلال القرن الثامن الهجري، ، ص 16

ووفقاً للتغلبات والاضطرابات السياسية التي سادت الأندلس كان من الطبيعي أن تؤثر على الحياة الاجتماعية تقدماً ورخاءً، أو تخلفاً وانحداراً في جميع مناحي الحياة الاجتماعية والثقافية.

ويُلحظُ عدم التقدم والارتقاء في الفترات الأولى للعرب في الأندلس وذلك لأن الحكام والجميع يحاول إثبات المقدرة والكفاءة على إدارة شؤون العامة، والمجتمع في حالة من الاهتزاز وعدم الاستقرار، وعدم الامتزاج بين العناصر لغلبة العنصرية والعصبية، ولولا لطف الله لوقع المجتمع الأندلسي في اضطراب نفسي لم تقم له قائمة بعد!

أما الجمال الفاتن وإظهار المفاتن للإسبانيات والصقلبيات فقد أدّت إلى إعجاب الجنود الفاتحين واتخذوهن نساءً لهم حرائر وجواري، والتسامح الديني الذي بثه الإسلام جعل الكثير من أهل الذمة يعتنقون الإسلام.

ويُرى أن أخذ الأراضي من السكان الأصليين، والنزعة الوطنية والعصبية الضيقة للأصليين حَدَا إلى قيام ثورات ضد الإسلام والفاتحين مما أوقف المد الإسلام الذي كان من الطبيعي أن يعبر الحدود إلى البقية الباقية من أرجاء أوربا.

في نهاية القرن الهجري الأول حيث دخول المسلمين الفاتحين للأندلس رجالٍ من غير نساء، اضطروا إلى أن يتزوجوا بالإسبانيات[1]، ومن بين الجيش الفاتح عرب الشام الذين قدموا من الشرق وقطعوا مسافات بعيدة إلى أن وصلوا إلى الأندلس، فكان من العسير عليهم جلب نسائهم معهم، هذا هو الأمر الذي دفعهم إلى هذا التزاوج، ولو لم يكنْ كذلك لَمَا تزاوجوا في بادئ أمرهم لأنهم أهل تعصب للجنس والعِرق!

ويرى الباحث كذلك أن من أسباب التزاوج بالإسبانيات والبربريات الحاميات: هي ذات الصفات الخَلقية المختلفة عن المشرقية والجديدة عند العربي (اللذة في الجِدة)، من جمال بياض البشرة، واصفرار شعر وزرقة عيون. ويقول شوقي ضيف: "... إذ كان كثيرون من العرب والبربر يُؤثرون الإسبانيات الشقراوات وكان البيت الأموي يكتظُ بهن."[2]

1- شهاب، شعبان رجب، أثر اللغة العربية وآدابها في الأدب الأسباني والأوربي، ص 90 / الطائي، صالح محمود محمد، هوية الشعر الأندلسي بين الاستقلال والتبعية للمشرق، شعر القرنين الخامس والسادس للهجرة أنموذجا، المكتب الجامع الحديث، ط1، 2012م ص262

2- ضيف، عصر الدول والإمارات ص 46

على أن هذا التباين في تكوين المجتمع الأندلسي ما بين بربر وصقالبة وعرب – وعلى الرغم من كثرة الذميين – كان واضحاً جداً، وذلك بفعل معايشتهم لأخلاق العرب وقد كانوا على جانب من الانتظام أكثر مما كانوا عليه في أية بقعة إسلامية أخرى، وقد جرى بينهم وبين الفاتحين من الاختلاط والتأثير المتبادل الطويل ما لم يجرِ مثله في أي صُقع إسلامي آخر، ... وقد أظهر الإسلام تجاههم كثيراً من التساهل على خلاف ما عاملوا به العرب الفاتحين عندما زال سلطان الإسلام من تلك البلاد.[1]

وقد عاش إلى جانب المسلمين أبناء الديانات السماوية الأخرى في ألفة وانسجام، فقد تمتع اليهود والنصارى بقسط كبير من الحرية الفكرية والتسامح الديني، ومارسوا حياتهم العامة في الأرياف والمدن، كذلك فقد أسهموا في الحياة العلمية وألفوا في علومهم المختلفة[2]

وقد تميزتْ الحياة الاجتماعية الأندلسية بالفهم الصحيح للمسؤولية الاقتصادية والتدبير، وهذا الوعي قد حمى البيئة الأندلسية من الكدية، لسقوط الاتكال في نظرهم، وقصور الصدقات على المحتاج المعذور، واتجاههم للحِرف والصَنْعَة.[3]

ويخلُص الباحث: إلى أن عناصر الشعب الأندلسي التي سادت الأندلس هي: أهل الذمة من نصارى ويهود، والمولّدون، والموالي، و البربر، والعرب.

وهكذا امتزجتْ كل هذه العناصر والأجناس بعضُها ببعض امتزاجاً تسرب في عقولهم كما تسرب في دمائهم، فكانت لهم نزعة عقلية جديدة، ساعد على تكوينها بالإضافة إلى عملية الامتزاج، بيئة طبيعية غنية، حافلة بشتى المناظر وصور الجمال، وكان من إثر ذلك كله أن أصبحت لهم مميزات عقلية خاصة، وصفاتٌ لم تكن لغيرهم من العرب الخُلّص.[4]

1- السيوفي، مصطفى محمد ، تاريخ الأدب الأندلسي، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، ط1، مصر، 2008م ، ص26/ الركابي جودت ، في الأدب الأندلسي، ص38-41

2- فلاح القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص 47

3- عباس، احسان ، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، دار الثقافة، د.ط، لبنان، ص24

4- عتيق ، في الأدب الأندلسي،عبد العزيز ص 136

ويَلحظ الباحث أن كثيراً من الشعوب قد استقرت في شبه الجزيرة الإيبيرية مما يدلل على كثرة مراعيها الطبيعية، ووفرة خيراتها واعتدال جوها، وحيازتها على كل عوامل الاستقرار، ربما يكون لها الأثر الأكبر في الدراسة التطبيقية لموضوع البحث.

حظ المرأة الأندلسية في المجتمع:

وهي الهدف الأساس من وراء هذ البحث ففي ظل هذا المجتمع كانت المرأة الأندلسية واسعة النفوذ تتمتع بقسط كبير من الحرية – خاصة في عصر الدولة الأُموية – ولا تقل عن أختها المشرقية حتى في مدى النفوذ السياسي، فكانت "عَجَبُ"[1] ذات سلطان واسع، وكيف كان القاضي محمد بن زياد يخضع لامرأته "كِفَات"، وعبد الرحمن الأوسط يجعل "رسيس" – تعني لينة المس– تخرج معه في موكبه.

والطابع الثائر جعل الأندلسي يعتد بنفسه وبحريته، واعتدت المرأة الأندلسية معه بحريتها كذلك، فكان لها حريتها وهي حرية لا يعرفُها المجتمع المشرقي في بغداد وغيرها، وإنما يعرفها المجتمع الأندلسي في قرطبة وغير قرطبة، إذ نجد المرأة تحظى بتقدير المجتمع، ويكون لها مجلسها الذي تستقبل فيه أعيان عصرها وأدباءه، على نحو ما نعرف عن المرأة الفرنسية في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلادي، وليس معنى هذه الحرية أن أهل الأندلس كانوا منفكين عن التقاليد الدينية، فلم يكن لرجال الدين في قُطر من أقطار الإسلام ما كان لهم في الأندلس من هيبة وسلطان وجلال ووقار.[2]

كما عُرف الأندلسيون بخفة الروح، ووُصفت نساؤهم بالرقة وحُسن الجمال، وقد نلتقي قصائد جادت بها قريحة المرأة الأندلسية[3]

احتلت المرأة الأندلسية منزلة عظيمة فظهرت في ميدان الحياة العامة، وكانت تخالط الرجال وتجالسهم، ونالت حظاً وافراً من التعليم، فنبغ عدد كبير منهن في العلوم والآداب والفنون، وكان يعهُد إليهن بتربية أبناء الأمراء والأغنياء وتأديبهم،[4] وقد كثر عدد الإماء

1 - عجب: ملكة من ملكات الأندلس وهي زوج السلطان "روعة تأخذ الإنسان عند استعظام الشيء" / معجم المعاني
2- ضيف، نوابغ الفكر العربي، ابن زيدون ص 8-9
3- صبح الأعشى ج5 ص115 / اللمحة البدرية ص 29 / القصيدة الصوفية ص 16
4- فلاح القيسي، أدب الرسائل في الأندلس، ص 39

والجواري في القصور ودور الأغنياء، وكن يُثقّفن ثقافة خاصة تساعدهن على أداء واجباتهن، كرواية الشعر والغناء والموسيقى والرقص.[1]

وتولت المرأة المناصب أيضاً، فكانت "لُبْنَى" كاتبة – سكرتيرة –[2] للخليفة الحكم بن عبد الرحمن، وهي نحوية شاعرة بصيرة بالحساب عروضية خطاطة، وشارك بعضهن رواية الحديث فكانت غالبة بنت محمد المعلمة تروي الحديث، وكانت عائشة بنت أحمد بن محمد تمدح ملوك زمانها وتخاطبهم بما يعرض لها من حاجات، وقد جُمعت لها مكتبة قيمة، وصفية بنت عبد الله الريِّي، ومريم بنت أبي يعقوب الفيصولي، والغسانية الشاعرة التي كانت تمدح الملوك.[3]

ونسبة لامتزاج العناصر في الأندلس فإن مكانة المرأة عند البربر: الأم رأس الأسرة ينتسبون إليها وليس للأب، ويُورث المال والسلطة عنها، فوُضِعَ المرأة في المكان الأول في المجتمع.[4]

حياة الترف :

أخذت حياة الترف والبذخ التى عُرف بها خلفاء بني العباس تدبُّ في نفوس الخاصة من ملوك وأمراء وخلفاء الأندلس والعامة من رعاياهم، فتحولت العواصم إلى بغدادات تعجُّ باللهو والترف والبذخ والمجون، وصار التنافس في اجتذاب العلماء والأدباء والراقصين والراقصات والمغنين حتى في القصور.[5]

وقد انتشرت آيات الترف والبذخ والغنى في سائر جوانب المجتمع الأندلسي وتعددت مظاهرها وأشكالها، وقد ساعد على ذلك ما في جزيرة الأندلس من أسباب الغنى، فالأندلس كما قال عبد المنعم الحميري: (فالأندلس بقعة كريمة طيبة التربة كثيرة الهواء،

1- ابن زيدون، أحمد بن عبد الله، الديوان ، شر، الدكتور يوسف فرحات، دار الكتاب العربي، دط، 2015م، لبنان، ص 11
2- ضيف، عصر الدول والإمارات، ص 52-53
3- عباس، عصر سيادة قرطبة، ص 26 / أنظر الداية، تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، ص 103
4- الداية، دراسات أندلسية، تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، مؤسسة الرسالة د.ط ت، ص 104
5- القيسي، أدب الرسائل، ص31

وفيها معادن الذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد والزئبق واللازورد والشب والتُوتِياء والزاج والطفل[1].)[2]

ومن مظاهر الترف الذي ساد الأندلس وبخاصة القرن الخامس الهجري أن ملوك الطوائف كانوا في غاية الاحتفال ببناء القصور الخاصة بهم، ففي طُليطُلة كانت المباني الذّنونية -ما ابتنيت في عهد بني ذي النون- الجليلة، منها "قبة النعيم" التي صُنعت للمأمون بن ذي النون تتْسدِل فيها خيمة من ماء، يشربُ في جوفها مع من أحب من خواصه في أيام الصيف، فلا تصل إليه ذبابةٌ، وفيها القصر المُكرم الذي بناه واحتفل فيه، وأطنبت البلغاء والشعراء في وصفه، وقال فيها ابن وكيل:[3]

زادتْ طُلَيْطُلَة على ما حدّثوا بَلَدٌ عليه نضارةٌ ونعيمُ
اللهُ زيّنَهُ فوَشّحَ خَصْرَه نهرُ المجرّةِ والقُصُورُ نُجُومُ

ومن مظاهر الترف أيضاً اهتمام الأندلسيين بإنشاء المتفرّجات والمتنزّهات والجنائن، وفيها من ضروب الأزهار والرياحين والأشجار ما يسرُّ ويبهج النفوس، وكانوا يقصدونها للنزهة والراحة ولإقامة مجالس الأدب ومجالس الأنس والطرب.[4]

ومن أشهر المتنزهات والمتفرجات: مُنى عبدوس، ومُنى غسان، والنّجاد، وبركة الصُّفر، وعين النطية، وبرجة ودلاية،[5] ومنها: فحصُ السُّرادق، وهو (مقصود للنزهة يسرح فيه البصر وتبتهج فيه) وفيه قال أبو جعفر بن عبد الملك بن سعيد:[6]

ألا فَدَعُوا ذكر العُذَيْب وبارق ولا تسأموا من ذكرِ فَحصَ السُّرادق

ومتنزه السُّدِّ والمنبر بقرطبة، والرصافة ومُنية ابن أبي عامر وباب الحنش ببلنسية.[7]وفي رياض برجة يقول الشاعر أبو الفضل بن شرف القيرواني:[8]

رياضُ تعشّقها سندس توشّت مَعَاطِفُها بالزّهَر
مَدَامِعُها فوق خَدِّيْ رُبىً لها نضرةٌ فَتَنَتْ منْ نظَر

التوتياء:حجر كريم يكتحل بمسحوقها، الزاج:بلورات خضراء إلى الزرقة كبريتات الحديد والأبيض كبرتات النحاس،الطفل:طين أصفر صبغ بها الثياب 1
2- االحميري، الروض المعطار، ص 32/ فايز عبد النبي ص32
3- ابن سعيد، خائر العرب10، المُغرب في حُلى المَغْرب، ص9
4- القيسي، أدب الرسائل في الأندلس، ص 34
5- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج2 ص194
6- المقري التلمساني، نفح الطيب، ج1 ص 475
7- القيسي، أدب الرسائل في الأندلس، ص34/ نفح ج1 ص 475- 478
8- المصدر نفسه ص 34-38

وكلُّ مكانٍ بها جَـــــنّةٌ وكلُّ طريقٍ إليـــــها سقر

وقد ازدحمت قرطبة بالقصور المشيدة والمزينة بالحدائق والمجملة بالنـــافورات، والمـــزودة بالحمامات الوفيرة، وهناك قصور خاصة للعظماء ورجال الدولة، وبيوت على طـــراز موحـــد للعامة، ودورٍ للحرس والجند.

مجالس الأنس والطرب:

لما استقر الحال بالأندلس تحت ظل الدولة المروانية الجديدة التفت من بها إلـــى أســـباب الحضارة، ونشأ في قرطبة مركزاً جديداً كبُر مع الزمن فصارت عاصمة أخرى من عواصـــم العلم والأدب، فجُلب المغنون والمغنيات المشرقيات، وشاع الغناء وانتشرت مجالس الطرب في جميع الأمصار الأندلسية، وقد أضيفت شخصية الزامر بمثابة المظهر الملائم للغنـــاء.[1] وكـــان يدور فيها من شعر ونشيد وغناء فوق الحد المألوف!

ولم تقتصر مجالس الأنس والغناء على الأمراء والوزراء وحسب، بل شملت جميع طبقـــات المجتمع الأندلسي، وكثُرت الدعوات إلى مجالس الغناء والطرب، وما فيها من شـــراب ولهـــو وطرب، وظهر عدد من الملحنين، وعرف الأندلسيون عدداً من الآلات الموسيقية منهـــا العـــود والأورغن والرباب والقانون والبوق وغيرها.[2]

وازدهر فن الرقص مثلما ازدهر فن الغناء والموسيقى، وكان يقوم بـــه الجـــواري والقيـــان والغلمان وموزعو الخمر.[3] وهي فنون ربما كانت أنسب شيء إلى ظروفهم النفســـية المطالبـــة بنوع من التنفيس.[4]

وافتتن الشعراء الأندلسيون في وصف الراقصين والراقصات، وقد وصـــف ابـــن حمـــديس راقصة وبيّن حركاتها وما تشير إليه بأناملها وهي ترقص إلى كل عضو وما يحلُّ به من تعذيب الهوى بقوله: الطويل[5]

وراقصةٍ بالسحر في حـــــــــركاتها تقيمُ به وَزْنَ الغنـــــــاء على حَدِّ
وتحسِبُها عمّا تُشيرُ بأنمـــــــــلٍ إلى ما يُلاقي كُلّ عضوٍ من الوجدِ

1- الداية، تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، ص 25وما بعدها.
2- القيسي، أدب الرسائل في الأدنلس، ص43-44/ المقري التلمساني، نفح الطيب ج3 ص213
3- فايز فلاح ص 44
4- هيكل، الأدب الأندلسي، ص 52
5- ابن حمديس، عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد، الصقلي السرقطسي، الديوان، تص، جلستينوسيكاياريللي، طبع في رومية الكبرى،1897م ص84.

بنا لا بها ما تشتكي من جَوَى الهوى وأدمُعِ أشواقٍ مُخَدَّدةِ الخدِ

فمن ناحية فن الموسيقى والغناء والطرب، فقد كان أمراً طبيعي أن يحرص علـــى إيجـــاده الولاة الأمويين، وبخاصة بعد فترة القلق والاضطراب الاجتماعي، حيـــث يُحضـــر المغنيـــات والمطربات من المدينة ويُنشئ لهن داراً في القصر (دار المغنيـــات)، (دار المـــدنيات لكـــون المغنيات جلبن من المدينة).[1] من أمثال: فضل، وعلَم، والعَجْفَاء، وقَلم.[2]

وقد استُدعي "زرياب" تلميذ إسحق الموصلي البغدادي ليُؤسس أول مدرسة أندلسية في فـــن الموسيقى والغناء، وتعليم جموع من الأندلسيين لهذين الفنين، بل وقلدوه في مَلابِسه لفرط أناقته، و طرائق تصفيف شعره، وعودهم على طرائق تصفيف الطعام في الموائد، ولـــبس الملابـــس البيضاء الخفيفة في الصيف والأردية الثقيلة والفراء في الشتاء[3]

الظواهر الاجتماعية:

من الظواهر الاجتماعية التي جدت في البيئة الأندلسية: انتشار ظاهرة التغزل بالغلمـــان ، وقد أسرف الشعراء الأندلسيون في تصويرها، ومن أشهرهم ابن عمار وابن الأبار، وأبو الصبغ بن عبد العزيز، وقد أورد ابن بسام كثيراً من مساجلاتهم الشعرية التي دارت بينهم حول وصف الغلمان.[4]

وكذلك انتشر الخمر والشراب لدى سائر الناس وخاصة في مجالس الأنس والطرب، وكان الملوك والوزراء يستهدونه ويهدونه ويَنْعمون بشربه، وقـــد ذكـــر المقـــري التلمســـاني: أن ذا الوزارتين أبا عامر بن الفرج كتب إلى أحد غلمانه يستهديه خمراً:[5]

ابعثْ بـــــــــها مثْل وُدِّكَ أرقّ منْ ماء خـــــــدَّك

شقيقةَ النفسِ فانضح بـــــها جَوَى ابني وعَبْدِك[6]

يُرى أن شيوع اللهو والمجون وما يترتب عليهما من شرب الخمور والتغـــزل بالغلمـــان، والمثلية النسائية، هي نتيجة طبيعية لانتشار فن الموسيقى والغناء والترخيص بعصير الكـــروم، وتحسن البيئة الاقتصادية وكثرة الجواري والغلمان والقيان، ولم يقتصر هذا المجون على العامة فقط

1- هيكل، الأدب الأندلسي، ص 77
2- المقري التلمساني، نفح الطيب ج1، 191 \ غراب، أطياف من تاريخ الأدب العربي، ص 27
3- غراب، أطياف من الشعر العربي، ص 28
4- الشنتريني، الذخيرة، ج2، ص 65 وص233وما بعدها/ ج4،ص27/
5- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ،ج2 303/ النفح ج3 408/ الذخيرة ج3 ص 65، وفيه: (أرسِل) بدلاً عن (أبعث)
6- نضَح: رشَّ شرب دون ، جوى: تطاول المرض

وإنما تورط فيه الحكام وخاصة عبد الرحمن الأوسط ومحمد بن أبي عامر، وقد أدى هذا إلى التحلل الديني والاجتماعي والفساد الأخلاقي حتى ضاعت هيبتهم وأهانوا الإسلام.

وشاع الزهد بين مختلف الطبقات الاجتماعية كرد فعل لهذه الحياة اللاهية الماجنة التي عرفها المجتمع الأندلسي، وظهر عدد من الأدباء اشتهروا بالزُّهد وبالمناداة بالابتعاد عن ترف الحياة وملذاتها، حيث جعلوا أدبهم وسيلة لنقد المجتمع وللمطالبة بالإصلاح السياسي والاجتماعي، منهم: أبو إسحق الإلبيري، والعسّال وبكار المراواني.

ما ازدهر بالأندلس من حِرفة وصَنعة:

ازدهرت الزراعة والصناعة والتجارة في الأندلس، فقد انتشرت الزراعة في مختلف أنحاء البلاد حتى كانت بعض الأماكن لا تشمس لالتفاف أشجارها واشتباك غصونها، وأصبحت الزراعة المصدر الرئيس للاقتصاد الأندلسي، وأصبح الأندلسيون من أنبغ الشعوب في زراعة الأرض وتربية الماشية، فبرعوا في طرق الري وإقامة السدود والقناطر وما يتعلق بفنون الزراعة وخواص النبات.[1]

وقد ساعد على انتشار الزراعة وازدهارها سعة الأراضي الزراعية وخصوبتها وكثرة المياه والأنهار، لذلك جادت الأرض الأندلسية بأنواع مختلفة من الثمار والأشجار والنباتات، وسيُرى تأثير كل هذه على حياة الشواعر في الفصول اللاحقة.

كذلك رغبة الحكام _ الأمويين خاصة _ في تعويد ما افتقدوه بالمشرق إبان قيام الثورة العباسية لتقويض دولتهم، فانتعشت البلاد اقتصادياً وبدأت الآثار تظهر شيئاً فشيئاً.

أما الصناعة فقد عرفت الأندلس كثيراً من الصناعات وبخاصة التي تعتمد على المنتوجات الزراعية والمستخرجات المعدنية، ومن هذه الصناعات: استخراج الزيت والنحت وآلات الحرب والذخائر والصياغة والسفن والفسيفساء وغيرها.[2]

وقد ذكر الحجاري أنه كان يصنع بطليطلة من آلات الحرب العجائب، واشتهرت إشبيلية بنسجها النفيس، وكان فيها دار لصناعة السفن والأسلحة وأدوات البناء.[3]

أما الحركة التجارية فقد نشطت بين الأندلس ودول أوربا، وبين الأندلس والمغرب، وبين الأندلس ودول المشرق العربي مثل: مصر والشام والعراق، كما نشطت التجارة الداخلية بين الممالك الأندلسية.[4]

1- أالقيسي، أدب الرسائل في الأندلس، ص 48 / هيكل،الأدب الأندلسي، ص 54
2- المقري التلمساني، نفح الطيب، ج1 ص 201-202
3- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج2 ص9
4- القيسي، أدب الرسائل في الأندلس، ص 48

ومما ساعد على ذلك: وفرة الإنتاج الزراعي والصناعي، وكانت مراسي الأندلس نشطة بحركة السفن التجارية التي تقصدها من مختلف أنحاء العالم، ومن ذلك ميناء المرية الذي كان لمراكب التجار من مسلم وكافر.[1] وكانت تُصدَّر من مرسية: آلات الصُّفر والحديد والسكاكين والمقصات المذهبة وغير ذلك من آلات العروس والجندي وما يبهر العقل.[2]

هذه التطورات الحياتية للمجتمع الأندلسي لها الدور الكبير في شيوع الإنتاج الشعري وبخاصة شعر الشواعر إذ إن أدب أي أمة ابن بيئتها.-يعبر عنها- لذلك يرى الباحث: أنه من الأهمية بمكان أن يُبث في ثنايا البحث كل ما هو يتعلق بالحياة العامة للمجتمع – موضوع الدراسة –.

وقد استمرت هذه حركة الازدهار في جميع مناحي الحياة الأندلسية حتى نهاية الحكم العربي للبلاد، على الرغم من الضمور التي أصابها في بعض الفترات نتيجة للاضطرابات الحاصلة عندهم، حيث خَلَّف العرب وراءهم في غرناطة قصور الحمراء التي ما زالت لوقتنا هذا كعبة للآثار العربية والإسلامية هناك.

بعض صفات وعادات أهل الأندلس:

لكل شعب في هذه الحياة وفي أي بقعة من صُقع الأرض لابد من صفات تميزه عن الشعوب الأخرى، والشعب الأندلسيُّ كسائر الشعوب له صفاته الخاصة التي تميزه وتكشف جوانب من طباعه وأخلاقه ومألوف عاداته، فمن صفاتهم وعاداتهم التي اشتهروا بها:

حب النظافة:

وعن هذه الصفة يُخبر المقري التلمساني[3]: (وأهل الأندلس أشدُّ خلق الله اعتناءً بنظافة ما يلبسون وما يفرشون وغير ذلك مما يتعلق بهم، وفيهم من لا يكون عنده إلا ما يقُوته يومه، فيطويه صائماً ويبتاع صابوناً يغسل به ثيابه، ولا يظهر فيها ساعةً على حالة تنبؤ العين عنها!.)،[4] والتأنق والتجمل في المظهر والملبس والحرص على الروائح العطرية والكحل والحناء[5]

كراهيتهم للتسول:

1- المقري التلمساني، نفح الطيب، ج3 ص 571
2- المصدر نفسه ج1 201- 202
3- عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص 149
4- المقري التلمساني، نفح الطيب، ، ج1 ص223
5- توفيق، الوافي في الأدب الأندلسي، ص28

وعادة التسول مستقبحة عندهم للنهاية، فسبُّوا وأهانوا من تسول وهو صحيح قادر، فضلاً أن يتصدقوا عليه، فلا يوجد بالأندلس سائلاً إلا أن يكون صاحب عذر،[1] وقد رفضوا الاستعطاء، واعتكفوا على العمل وكسب الرزق.[2]

زيُّهم:

الغالب على أهل الأندلس من حيث الزي ترك العمائم، ويتزين سلاطينهم بزي النصارى المجاورين لهم، وخواص الأندلس وعوامِّهم يلبس الطيلسان،[3] إلا أنهم لا يضعونه على رؤسهم غير عظماء الشيوخ، أما الأندلسيات فيغلب على زيهن الأناقة والبذخ، والتفنن في الزينة وأشكال الحُليّ.[4]

شعار الحداد:

اللون الأسود شعار الحداد عند المشارقة، أما عند الأندلسيين فشعار الحداد اللون الأبيض، وعن ذلك قال ابن بُرد الأصغر:[5]

يقولون: البياضُ لباسُ حزنٍ بأنْدَلُسٍ، فقلتُ: من الصوابِ

ألم ترني لبستُ بياض شعري لأني قد حزِنتُ على الشباب؟

حسن تدبيرهم:

الأندلسيون أهل احتياط وتدبير، مخافة ذُلِّ السؤال، فهم أبعد الناس عن الإسراف والتبذير، مع أن لهم مروءآت على عادة بلادهم.

تدينهم:

ولأهل الأندلس قواعد في دياناتهم، الأغلب عندهم إقامة الحدود، وأما الرجمُ بالحجارة للقضاة وولاةِ الأعمال –إذا لم يعدلو– في كل يوم.[6]

نساؤهم:

كانت نساؤهم على العموم، أشبه بنساء أهل المشرق: أكثرهنّ أُمِّيات، وفيهن الجواري اللائي يُحسنّ الغناء والموسيقى، ويُبعن بعد أن تعلمن بأثمان غالية، وكان حجاب حرائر الأندلسيات

1- عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص 149
2- توفيق، الوافي في تاريخ الأدب الأندلسي، 29
3- الطيلسان: ثوب موصول به غطاء للرأس.
4- عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص142
5- المصدر السابق، ص 142
6- المقري التلمساني، نفح الطيب ج1 ص220

أشد وأعنف من حجاب حرائر نساء المشرق، ونبغ بعضهن في الشعر وشعر الغـزل خاصـة، مثل ولادة بنت المستكفي، وأم الكرام بنت المعتصم بن صمادح.[1]

حبهم للغناء:

ومن صفات الأندلسيين شغفهم بسماع الغناء، حتى ليفضلون الضروري مـن العـيش مـع السماع، على العيش المترف مع الحرمان من سماع الغناء!، وفي ذلك قول أبي الوليد بن رشد: (إذا مات عالم بإشبيلية فأُريد بيع كتبه حُملت إلى قرطبة حتى تُباع فيهـا، وإن مـات مطـرب بقرطبة فأُريد بيع آلاته حُملتْ إلى إشبيلية)،[2] و كانوا يستمتعون بالحياة والخروج إلى النزهـات النهرية وإقامة الحفلات والتمتع بالطبيعة.[3]

وكل العلوم لهاعندهم حظ واعتناء إلا الفلسفة والتنجيم، فحظها عند خواصهم فقط، وقراءة القـرآن بالسبع، ورواية الحديث والفقه، والشعر عنهم له حظ عظيم، وللشعراء من ملوكهم وجاهةٌ و رواتـب جارية، وإذا كان الشخص بالأندلس نحوياً أو شاعراً فإنه يعظُم في نفسه لا محالة ويظهر العجب عادة قد جبلوا عليها.[4] ويقول ياقوت الحموي في حديثه عن مدينة شلب: " قلّ أن ترى من أهلهـا لا يقـول شعراً ولا يعني الأدب، ولو مررتْ بالفَلّاح خلف فدانه وسألته عن الشعر، قـرض مـن سـاعته مـا اعترض عليه ".[5]

حب الأوطان:

يرى الباحث أن هناك صفة مهمة تميز بها الشعب الأندلسي الأبي، وهي صـفة حبـة الأوطـان ويظهر ذلك من خلال أشعارهم التي غنوا بها، ويتضح أكثر في أسمائهم فما سما عندهم مـن أدبـاء وعلماء كلهم سُّموا بأسماء مدنهم؛ كالبلنسي والقرطبي والإشـبيلي والجيـاني والرُنـدي والمـالقي، والبلوطي، فما من مدينة إلا واقترنت باسم أديب شاعر أو فقيه أو غيره وهذا أكبر دليل علـى حـب الأوطان، وربما يُحسب عليهم التعصب أو الإقليمية الضيقة، أو ربما حياة الطائفية السائدة مـدة مـن الزمان.

1- عتيق، الأدب العربي في الأندلس، 144
2- المقري التلمساني، النفح ج1 ص147
3- توفيق، الوافي في تاريخ الأدب الأندلسي، ص 30
4- عتيق، الأدب العربي في الأندلس، 148/ نفح الطيب ج1 205- 207
5- ياقوت الحموي، معجم البلدان ج3 ص 257

المبحث الثالث:

ملامح الحياة الحضارية و الثقافية.

الحياة الحضارية و الثقافية:

يبدو من خلال المبحثين الأول والثاني أن بلاد الأندلس قد مرت باستيطان الأجناس البشرية المتعددة، وقل العالمية حتى، ومن المعهود أن أي أمة لها ثقافتها وحضارتها تتفاوت في تقديمها للخدمة الاجتماعية الإنسانية، حسب ما تقتضيها الحاجة وما تساعدها من عوامل ومؤثرات.

وإنّ ما يعني الباحث هو بعض ما يتعلق بالأمة العربية التي استوطنت بلاد الأندلس وما تفضلتْ بها على سابقاتها في تلكم البقاع أو العالم أجمع حينها من حضارة وثقافة، وقد ازدهرت الحياة الثقافية والحضارية والفكرية في الأندلس خلال الحكم العربي الممتد أكثر من ثمانية قرون، متحدٍّ ما أصاب البلاد آنذاك من اضطرابات سياسية في فترات طويلة، صاحبها فتن وثورات واستئثار الحكام بالبقاء في السلطة، نتج عنها عدم الاستقرار والقلق وضمور روح البحث، ولا مجال للثقافة و تدوينها، بل كيف يُطلب من مجتمع مضطرب نفسياً أن يقدم اشراقات ثقافية وحضارية؟ وهل هناك أنوار حضارية خافتة ترآءت في الأفق عبر العصور المتعاقبة؟ أم أن الثقافة العربية هي الوحيدة التي أزالت العتمة التي خلفها السابقون في حكم البلاد الإندلسية ؟

يرى الباحث أن العرب قد عاشوا في الأندلس – منطقة الدراسة – أكثر من ثمانية قرون، لعصور متعددة ومتعاقبة، خلفاء وأمراء وولاة وحكام يعج بهم كتب التأريخ والأدب، ولكلٍ مجهوداته وآثاره سلباً أو إيجاباً نحو الثقافة والحضارة، وأنّ تناول الملامح الحضارية والثقافية يكون على أساس التمثيل لا الحصر، مع التركيز على الدور الرائد للمرأة التي تعد موضوع الدراسة وخاصة اللائي نبغن في الشعر.

الحضارة في اللغة:

الحَضَارة: الإقامة في الحضر، عن أبي زيد. وكان الأصمعي يقول: الحَضَارة بالفتح؛ قال القطامي:[1]

فمَنْ تكنِ الحَضارةُ أعجبتْه فأيِّ رجالِ باديةٍ ترانا

الحاضرة: خلاف البادية، وهي المُدُنُ والقُرى والرِّيف، سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قَرارٌ. والحاضرة والحاضرُ: الحيُّ العظيم أو القوم. وقال ابن سيدة: الحيُّ إذا حَضروا الدار التي بها مجتمعُهُم.[2] الحضارة: (بفتح الحاء المهملة وكسرها) الإقامة في الحضر. وجاء في المعجم الرائد، مصدر حضر، وحياة أهل مدن وقرى، مدن وقرى ومنازل مسكونة، وهي مظاهر الرقي العلمي والأدبي والاجتماعي في الحضر.

الحضارة الأنْدَلُسية:

وُصفتْ حياة المجتمع الأندلسي قبل الفتح بالحياة البدوية الصرفة، وذلك لوعورة موطنهم، ولِمَا تقوم عليه حياتهم من شظف وخشونة، وظل العرب والبربر وأهل الأندلس جميعاً يعيشون نفس هذه المعيشة المتبدية في عصر الولاة.[3]

وعموم جنود الفتح من البربر والأقلية القليلة من العرب، وهؤلاء وأولئك لا يتيسر لهم أن يقيموا ثقافة أدبية أو حضارة عمرانية، لأن البرابرة بداة لم يتمكنوا من العربية، وزملاءهم من العرب في صراع طائفي بين قبائلهم تارة وبينهم وبين المغاربة تارة ثانية وبين زملائهم القوط من غلاة الناقمين تارة ثالثة، وهي حالة لا تسمح برقي وازدهار.[4]

تعد الأندلس في مجملها حضارة عمرانية طبيعية، وقد شاد العرب فيها حضارة عمرانية عربية جديدة على أرض جديدة، وانتشر العمران في أنحاء الأندلس واتصلت المدن بالمدن والقرى بالقرى في إتقان عمل وبهاء منظر.[5]

1- لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري، دط ت، لبنان، دار صادر، مادة (حَضَرَ)
2- المصدر السابق، مادة (حَضَرَ)
3- شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات- ص47
4- بيومي، محمد رجب، الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير،إدارة الثقافة والنشر بجامعة محمد بن سعود الإسلامية، السعودية دط ،1980م، ص 28
5- الداية، تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، ص14

فالبداوة كانت غالبة على أهل المغرب والأندلس ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لأهل العراق، فكانوا إلى أهل الحجاز أميل لمناسبة البداوة.[1]

غير أنهم أخذوا في التحضر إبان الدولة الأموية بسبب سيادة الأمن والاستقرار، حيث اتخذت خطوات جادة فترة عبد الرحمن الأوسط (206-238)؛ لشغفه بحضارة أهل المشرق،[2] وازدهرت الدولة الأندلسية وسادها الرخاء، الأمر الذي دفع المؤرخين إلى الحديث عن ذلك وعن إصلاحاته و إنشاءآته وعماراته.[3]

ومن الإشراقات الحضارية التي قام بها عبد الرحمن بن الحكم، تفخيم السلطنة الأندلسية، من انتقاء الرجال والمباني، وبنى مسجد إشبيلية وسُورها، وتولّع حواريه ببناء المساجد وفعل الخير، وقد ميّز ولاية السوق، وهدم فندق الخمر وإظهار البر، كما أحدث بقرطبة دار السِّكّة، وضرب الدرهم باسمه، و أُدخل الأندلس نفيس الجلائب، وكان يقال لأيامه "العَرُوس".[4]

وقد سما ذوق أهل الأندلس، فشغفوا بالأدب الرفيع، وعُني بعضهم بالغناء والموشحات، وقد بلغت الأندلس في نعومة الملبس والمأكل والمشرب، مبلغاً وصل بها إلى الإسراف والمغالاة أحياناً،[5] على الرغم من أنهم ليسوا أهل الإسراف، وتستمر الحال على هذه الأناقة حتى وصلت إلى نوع من الانغماس في الحضارة،[6] وساعدهم على ذلك وفرة الخيرات على تبذّل العصور إلا في حالات الأزمات، والشدائد، كما ساعد الامتزاج العرقي ذات الحضارات المختلفة التي تشكلت في قالب واحد جديد متخذة من الحياة الجديدة في البيئة الجديدة ميداناً للعمل.

ومما لا يفوت على دارس التاريخ الحضاري للأمة العربية الإسلامية في بلاد الأندلس، يجد أن التاريخ لا ينسى لهم ما خلفوه على أرض الأندلس، حيث ما تزال تلك الآثار تسحر ألباب زوارها لما فيها من ألق وأناقة وعراقة، فحدث عن مسجد قرطبة، واحكي

1- مقدمة ابن خلدون (فضل علم الفقه وما يتبعه من الفرائض) ص 356.
2- الداية، في الأدب الأندلسي، ص41
3- غراب، أطياف من تاريخ الأدب العربي، ص25
4- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص 45-46
5- الزياني، القصيدة الصوفية، ص 14
6- الداية، في الأدب الأندلسي، ص 41

عن قصر الكازار، واقصص عن الجامع الكبير بإشبيلية ولا تنسى مئذنته المشهورة "بالدوارة، الخيرالدا" ولا تغفل قصر الحمراء في غرناطة آخر المعاقل الإسلامية العربية وما إلى هناك...الخ.

وفي جمال الحضارة الأندلسية في كل مدنها وأمصارها وما فيها من رسوخ تلك الحضارة، وقد دخل ابن خلدون(ت 807هـ) الأندلس فقال: "إنا نجد فيها رسوم الصنائع قائمة، وأحوالها مستحكمة راسخة في جميع ما تدعو إليه عوائد أمصارها كالمباني والطبخ، وأصناف الغناء واللهو، من الأوتار والآلات والرقص، وتنضيد الفرش والرياش، وحسن الترتيب والأوضاع في بناء القصور، وصوغ الآنية من المعادن والخزف وجميع المواعين وسائر الصنائع التي يدعو إليها الترف وعوائده، فنجده أقوم عليها، وأبصر بها، ونجد صنائعها مستحكمة لديهم وهم على حصة موفورة من ذلك وحظ متميز بين جميع الأمصار لِمَا قدَّمناه من رسوخ الحضارة أيام الدولة الأموية ودول الطوائف".[1]

وقد أخذت الأندلس تخطو خطوات واسعة في الحضارة المادية، وساعدها على ذلك ثراؤها لوفرة الأنهار بها والثمار والضَّرع والزرع والبساتين وكثرة المعادن،[2] وتأمل الخطوات في التحضر بناء مدينة الزهراء علي سفح جبل العروس، وقد ظل عشرة آلاف عامل ينهضون في بنائها لمدة خمسة وعشرين عاماً!.

وقد وصل التحضر بأمراء الطوائف حد الإسراف، يلاحظ ذلك حين ما أنفق أمير طليطلة القناطير المقنطرة من الذهب على قصره المكرم، ولا يكاد يبقي في خزائنه مالاً يشتري به سلاحاً للقاء أعدائه، وما هي إلا سنوات حتى سقطت طليطلة من يد حفيده يحيى في حجر ألفونس السادس ملك قشتالة.[3]

الثقافة عند أهل الأندلس:

إن الأمم القديمة التي تعاقبت على حكم إيبيريا قروناً متطاولة لم يكن لهم دور حضاري ثقافي، إذ إنهم ظلوا يستقبلون الحضارات دونما ينفذون خلالها إلى حضارة تخصهم وتحمل سمات تنسب إليهم، فقد استقبلوا الحضارة الفينيقية بوصفها الغازي الأول

1- مقدمة ابن خلدون، تح، على عبد الواحد وافي، ص 938
2- شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات، ص48
3- المصدر السابق، ص49

في القرن العاشر قبل الميلاد، وأسسوا بها مالقة، ثم استقبلوا الحضارة اليونانية في القرن الخامس قبل الميلاد أُسست على أنقاضهم مدينة برشلونة(إيبريا)، ثم استقبلت إيبريا الثقافة القرطاجنية وبها بُنيت مدينة قرطاجنة على البحر المتوسط، وما أن تطالع القرن الثاني قبل الميلاد حتى انتصر الرومان على القرطاجنيين واستولوا على إيبريا، ونشروا فيها لغتهم اللاتينية و الديانة المسيحية، وهي التي اسمتها باسم إسبانيا.[1]

وبهذا يكون الإنتاج الثقافي لإيبريا خلال الحقب المذكورة في ظل سيادة الفينقيين، واليونانيين، والقرطاجنيين، والرومانيين إنتاج ثقافي مستورد من بلد آخر، وحظُ إيبريا منها فقط مكان الحل والنزول، أما التعهد والرعاية ففي الدول الغازية، ولا تستطيع أن تضيف إلى الحضارة والثقافة الإنسانية بصمة إسبانية متميزة القسمات، وحتى في القرن الخامس الميلادي لم تكن للقبائل الجرمانية المتبربرة (الفَنْدَال) ثم القوط لم يكن لهم ما يميزوا به إسبانيا من ثقافة أو حضارة بل قوضوا ما كان من حضارات!، إلى أن تسلمها العرب.

ويرى الباحث أن من يطالع تداعيات دخول العرب إلى الأندلس فإنه يلاحظ الهدف الرئيس وراء الفتح يكمن في: نشر الدعوة الإسلامية، وتبليغ الرسالة المحمدية، وطبيعي في هذه الحالة أن يحمل الفاتحون ما كان لديهم من ألوان الثقافة والعلم والفكر. وفي هذا يقول الداية: (انتشرت كتاتيب المؤدبين، واتسعت حلقات الفقهاء والعلماء لطلاب العلم من كل جنس ودين. وساعد على ذلك تسامح الإسلام ومعاملة المواطنين بالعدل والحسنى.)[2]

ويتمثل الزاد الثقافي بالنسبة للأمة العربية المسلمة في الأندلس – بعد أن أمنوا على حياتهم ومصدر رزقهم– الاعتماد على الكتاب والسنة وعلوم اللغة في بحوثهم، ثم لمسوا العلوم الأخرى، وفي ذلك يقول علي محمد سلامة: (ثم مست الحاجة إلى العلوم الأخرى؛ فبحثوا في الفلك والطب والرياضة والفلسفة وغيرها من العلوم.)[3]

1- شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات، ص59
2- الداية، في الأدب الأندلسي، ، ص 43
3- سلامة، الأدب العربي في الأندلس، ص43

وقد ظلت الطبيعة الأندلسية الجميلة مساهمة في كل ضرب من ضروب الحياة الأندلسية، فتراها معيناً لا ينضب في صفاء نفوسهم، وأثرها واضح وملموس في توقد قرائحهم وخصوبة أذهانهم، وسرعة بدائههم، فكانت البراعة في كل ضرب من ضروب الثقافة التي ابدعوها.

ففي المرحلة الأولى ساد الاضطراب وبدأ خلالها تفكك أوصال المجتمع، حيث لم تظهر سوى أضواء خافتة من المعرفة وألوان متواضعة من الثقافة الدينية، دخل بها إلى الأندلس بعض الصحابة والتابعين، كانت لها فيما بعد آثارها الفكرية في المدارس المتعددة الاتجاهات في البلاد الأندلسية.[1]

وعلى الرغم من الاضطرابات التي تعرضت لها البلاد في الحياة السياسية فإنها كانت شعلة ونور ومنارة وهداية، وكانت جامعاتها في قرطبة، وإشبيلية، وغرناطة، وغيرها من الحواضر الأندلسية ملتقى طلاب العلم من كل حدب وصوب، فكان للأندلس مكانة مرموقة في العلم والأدب.[2]

ويرى الباحث ضرورة تناول الجانب الثقافي الأندلسي بشيء من التفصيل عبر العصور السياسية وذلك للتأثير الواضح للسياسة في الثقافة من هدوء واستقرار، أو اضطراب مع الوقوف على دور المرأة وما حظيت به من المعين الثقافي، حتى يُوفق الباحث في ما يساعد في الدراسة التطبيقة.

وينظر الباحث في طيات المصادر والمراجع بغية الحصول على الثقافة الأندلسية الخالصة ذات الطابع المميز لتلك الأمة العربية الإسلامية، غير أنه يلاحظ في عصر الولاة اعتماد الثقافة الأندلسية على الثقافة المشرقية فقط، لانشغالهم بالحروب المتواصلة، والصراعات الطاحنة، فلم يكن لديهم متسع من الوقت للبحث والدراسة. وقد نقل شوقي ضيف عن ابن القوطية في كتابة "افتتاح الأندلس" قوله: (... ولما كان تعليم الناشئة المسلمة القرآن شعاراً من شعائر الدين أخذ به المسلمون في جميع بلدانهم فإن الأندلس– بدورها – أخذت بهذا التعليم، وافتتحت له الكتاتيب من عصرها الأول عصر الولاة.)[3]

1- غراب، أطياف من تاريخ الأدب العربي، ص30
2- سلامة، الأدب العربي في الأندلس، ص44
3- ضيف، عصر الدول والإمارات، ص61

ولما جاءت فترة الإمارة بقرطبة وشعر المسلمون بالاستقرار، مست الحاجة إلى الثقافة الأندلسية المستقلة، لينافسوا بها إخوانهم المشارقة،[1] وساعدهم في ذلك: وفود الأمويين الفارين من بطش بني العباس إلى الأندلس، لوفرة خيراتها وجمال طبيعتها، وكانوا على حظ وافر من الثقافة منهم: أبو الأشعث الكلبي يروي الأحاديث عن أمه عائشة. وعودة البعثات التعليمية، فقد عادوا وفي جعبتهم عدد وفير من العلوم والمعارف منهم: الغازي بن قيس. كما كان لمسجد قرطبة وغيره من المساجد التي أضحت بمثابة الجامعات في حاضرنا، دور عظيماً في نشر العلم والثقافة العربية والإسلامية، ففيها يتلقى طلاب العلم وعلومهم.[2]

وينوه ابن خلدون بتعليم الناشئة في الأندلس قائلاً: (وأما أهل الأندلس فأفادهم التفنن في التعليم وكثرة رواية الشعر والرسائل ومدارسة العربية (النحو) من أول العمر حصول مَلَكَة صاروا بها أعرف في اللسان العربي).[3]

يُعد مسجد قرطبة وغيره من المساجد النواة الأولى للجامعات الأندلسية المنتشرة فيما بعد، غير أنها تعتمد في مقرراتها على العلوم الدينية من حفظ وتفسير وسنة وفقه.

وفي هذه الفترة ظهرت طلائع الأندلسيين في العلوم العقلية والفلسفية مثل: الشاعر عباس بن فرناس الذي استنبط صناعة الزجاج من الحجارة واخترع الآلة المعروفة بالمثقال لمعرفة الأوقات، وحاول تطبيق أسطورة ايكاروس في الطيران بصُنع جناحين له والطيران إلى مسافة.[4]

وعلى أية حال فإن الأندلس قد خطت خُطوات واسعة في هذا الأعصر نحو الثقافة ذات الشخصية المستقلة فظهر الطب الأندلسي (حمدين بن أبان)، كما ظهر أوائل الفلكيين، والرياضيين.[5]

1- سلامة، الأدب العربي في الأندلس، ص 44
2- المرجع السابق، ص 45
3- ضيف، عصر الدول والإمارات، ص62/ مقدمة ابن خلدون ص1252
4- توفيق، الوافي في تاريخ الأدب العربي في الأندلس ص 53/ ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس ج2ص16/ غراب، أطياف من تاريخ الأدب العربي، ص32/ هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ، ص 51126
5- سلامة، الأدب العربي في الأندلس، ص 46

ولم تكن المرأة بمعزل عن هذه الحركة الثقافية المنسابة في الأندلس، فاشتهرت البهاء بنت الأمير عبد الرحمن ابن الحكم (206-238ه) بأنها كانت زاهدة عابدة متبتلة، وكانت تكتب المصاحف[1]، وعاصرتها أم الحسن بنت سليمان بن وانسوس وزير الأمير المنذر التي حجّت وسمعت الحديث والفقه بمكة ثم عادت إلى الأندلس.[2]

وإذا ما وصل الحال إلى عصر الخلافة صارت للثقافة شخصيتها المتميزة، ساعدها توحد البلاد والأمن والرخاء، كما أن الناصر وابنه الحكم، كانا ممن تجري الثقافة في عروقهما، حيث استقدم الناصر لدين الله والأندلسيون بعض الشخصيات المؤثرة في الحياة الأدبية والعلمية والفنية مثل: "زرياب" تلميذ آل الموصلي[3]، و"أبا علي القالي" من المشرق، ومكنه من الجلوس في جامع قرطبة، وقاد حركة لغوية ضخمة بمؤلفاته وبمن تخرج على يديه.[4] أما ابنه الحكم فقد شغف بالعلم إلى حد الهوس، وقد جمع في مكتبته ما يربو على الأربعمائة ألف مجلد، وقال في ذلك ابن خلدون: "اجتمعت بالأندلس لعهده خزائن من الكتب لم تكن لأحد من قبله ولا من بعده"،[5] وفي إيثاره واهتمامه بالكتب يصفه ابن الأبار في الحلة السيراء بقوله: (لم يُسْمعْ في الإسلام بخليفة بلغ مبلغ الحكم في اقتناء الكتب والدواوين وإيثارها والاهتمام بها).[6] وشجع الفقهاء والعلماء على البحث، وعهد على "ابن الصفار" تأليف كتاباً في أشعار خلفاء بني أمية.[7]

وهذه النهضة في التأليف والبحث شملت مختلف أنواع المعرفة. فألف أبوبكر الزبيدي كتباً منها: "طبقات النحويين"، كما نبغ فقهاء منهم: عبد الله بن أبي وليم صاحب كتاب "الطبقات فيما روي عن مالك من أهل الأمصار" وفي التاريخ ظهرت آثار هذا العصر لنخبة من العلماء الأفذاذ منهم: أبوبكر بن القوطية مؤلف كتاب "تاريخ افتتاح الأندلس"،

1- ضيف، عصر الدول والإمارات، ص70/ المراكشي، الذيل والتكملة ج8 ص 484
2- ضيف، عصر الدول ص 71/ للمراكشي ج8 ص 481
3- الداية، في الأدب الأندلسي، ص 43
4- ضيف، عصر الدول والإمارات، 64
5- تاريخ ابن خلدون ج 4 ص 146
6- ابن الأبار، الحلة السيراء ص 200/1 ط القاهرة / عصر الدول ص65
7- سلامة، الأدب العربي في الأندلس، ص 47

وأبو عبد الخشنِّي صاحب كتاب "تاريخ قضاة قرطبة"[1]، كما نشطت حركة الترجمة للعلوم الفلسفية والطبيعية من الأغريقية واللاتينية.[2]

ونبغ في الطب الكثيرون، منهم: سعيد بن عبد ربه، والرياضيات تفوق فيها: أبوبكر بن عيسى. وتَطَوُّر هذه المعارف وضروب من العلوم في هذا العصر دليل على تشجيع الحكام للثقافة، وكذلك دليلٌ على إقبال الأندلسيين على الدراسة والبحث، وانتشار المكتبات العامة والخاصة، والتنافس الشديد بين الأمراء، وتنقُّل العلماء من إمارة إلى أخرى، فغدا هذا العصر من أزهى العصور الذهبية للثقافة الأندلسية، كما أنها الفترة التى لمست فيها المرأة الثقافة بجميع أناملها فصارت ذلولة تُحلب من غير وليدها.

أما المرأة في عصر الخلافة من الدولة الأموية بالأندلس، فقد لاحت ثقافتها في الأُفق حين تطالعنا ثلاث من جواري القصر الأموي، إلى أن يتثقفن ثقافة عالية حتى صرن كاتبات بالقصر، فتجد: "مُزْنة وكِتْمان" تكتبان للناصر، وتكتب "لبنى" للمستنصر، بينما كانت "نِظَام" كاتبة بقصر الخلافة أيام هشام المؤيد، وكن يقمن على تربية النشء.[3]

وعلى الرغم من الفوضى والانحلال، وكثرة الحروب والمنازعات وطغيان الحكام في عصر الطوائف إلا أنه عصر ازدهار للعلوم والآداب، بل كان معظم الحكام على طغيانهم نابهين في الأدب والشعر وحماة للعلوم والآداب، و لهم سابقة في الجانب الثقافي،[4] وغدت قصورهم منتيدات زاهرة لأساطين العلم والفن، وحُظي هذا العصر بجمهرة من العلماء على رأسهم: أبو محمد علي بن حزم وله كتاب "طوق الحمامة" وهو دراسة نفسية تحليلية للحب، وأصناف بواعثه، وله "نقط العروس" ويشمل سلسلة من الأحداث والمقارنات، ومن عظيم دور المرأة فإن أبا محمد علي بن حزم يشهد لها بالدور الرائد والطليعي الذي أسهمت به في نهضة الثقافة الأندلسية يقول: (إني رُبِّيتُ في حجور الجواري ونشأتُ بين أيديهن ولم أعرف غيرهن ولا جالستُ الرجال إلا وأنا في حد

1- أنظر وفيات الأعيان ج1ص 812،514/ علي سلامة ص 48
2- الوافي في تاريخ الأدب العربي في الأندلس ص 65/ أطياف من تاريخ الأدب العربي، سعيد غراب، ص 33
3- ضيف، عصر الدول والإمارات، ص 71
4- الداية، في الأدب الأندلسي، ص 43

الشباب وحين بقَل[1] وجهي، وهنَّ علمنني القرآن وروَّيننني كثيراً من الأشعار.)[2]، وسطع أيضاً نجم أبو مروان بن حيان صاحب كتاب "المتين والمقتبس في أخبار أهل الأندلس"، كما لا ينسى مؤلف أهم كتاب يتحدث عن عصر الطوائف تاريخياً وأدبياً واجتماعياً – الذخيرة – "ابن بسام الشنتريني" [3] وظهر كتّاب الموسوعات العلمية منهم: أبوعبيدة البكري صاحب كتاب "معجم ما استعجم من البلاد والمواضع".

وكان للمرأة دورها المهم في الحياة الأدبية، وقد كثر عدد الإماء والجواري في القصور ودور الأغنياء، وكنّ على وجه العموم يُثقفن ثقافة خاصة تساعدهن على أداء واجباتهن، كراوية الشعر والغناء والموسيقى والرقص، ولم يكن الأغنياء يهملون تعليم النساء اللواتي برز منهن عدد من الشواعر وفي طليعتهن ولادة بنت المستكفي التي اقترن اسمها باسم ابن زيدون. وكل هذا ساعد على انتشار شعر اللهو والخمريات والغزل.[4]

وقد تألقت في هذا العصر في الثقافة ابنة فائز زوجة أبي عبد الله بن عتاب، فأخذت عن أبيها التفسير واللغة العربية والشعر، وعن زوجها الفقه، وكانت تعاصرها إشراقة السويداء وقد برعت هي الأخرى في العربية وآدابها، واشتهرت في علم العَروض وعنها أخذه أبو داوود المقرئ! كما اشتهرت جارية الطبيب ابن الكتاني بإحسانها لعلم الطب وتشريح الأعضاء.[5]

ولم يضق ميدان الثقافة أمام أمراء الطوائف، فكان مجاهد العامري صاحب دانية نبيها في اللغة وعلوم القرآن، وصاحب مرسية أبو عبد الرحمن بن طاهر من أعظم علماء الأندلس وأدبائها، كما كان المقتدر بن هود وولده المؤتمن صاحب كتاب "رسالة الاستكمال".[6] كانا عالمين، ونبغ طائفة من علماء الرياضة والفلك نخص بالذكر منهم: "الزرقاني القرطبي" صاحب الجداول الفكرية الشهرية، والمعتمد بن عباد صاحب إشبيلية.

1- يقال: بقل وجه الغلام حين ينبت شعر خده ولحيته

2- ابن حزم، طوق الحمامة في الإلفة والآلاف، تح، د طاهر أحمد مكي ، دار المعارف، مصر،ص 79

3- أخباره في الذخيرة ج ص

- ابن زيدون، أحمد بن عبد الله بن زيدن، الديوان، تح، يوسف فرحات، دار الكتاب العربي، دط، ، بيروت لبنان،2015م، ص 4 11

5- ضيف، عصر الدول والإمارات، ص 71/ التكملة 115 / المراكشي ج8ص480

6- سلامة، الأدب العربي في الأندلس، ص 50

فكل النجوم اللامعة في سماء الشعر الأندلسي استمدت ضوءها من شمس الثقافة في عصر الطوائف، فما ذكر الشعر في الأندلس إلا وذكر ابن زيدون و صاحبته ولادة ولم يبعد عنهما شاعر الطبيعة ابن خفاجة ولم يتخلف عن ركبهم ابن دراج القسطلي (متنبي الأندلس)،[1] ولم تقتصر الحركة الثقافية على الشعر فحسب، بل شملت كل ضروب الثقافة الأخرى.

ومن الملاحظ بعد الطواف على المراحل الثقافية في عصر الطوائف صار من المؤكد ازدهار الفنون والعلوم والآداب في هذا العصر وقد حظيت المرأة بنصيب وافر من الثقافة، وأنها سيكون لها الأثر الكبير في تكوين شخصيتها فيما بعد وفتح الطريق لأخواتها للنبوغ في مجالات الشعر وفنونه. ويرى الداية: (أن كل دولة من هذه الدول حاولت أن تكون بؤرة ثقافة وهالة رياسة، وإن اختلف نوع الثقافة المسيطرة).[2]

والحق أن الثقافة – في عصر الطوائف – الثمرة اليانعة، ... وبجانبها ثمرات أخرى لجنات آتت أكلها لا في ميدان الأندلس وحده، بل في ميدان الحياة الإنسانية كلها، فأقبل الغرب المسيحي ينهل من معارفها وثقافاتها، وكان لذلك أثره القوي في النهضة الأوربية الحديثة.[3]

وفيما يتعلق بمعرفة الثقافة الأندلسية وما كانت عليه حال الدراسات العلمية والفلسفية في عصر الطوائف والمرابطين، يرجع الفضل إلى أحد أساطين الحركة الثقافية الأندلسية نفسها، وهو القاضي صاعد صاحب كتاب "طبقات الأمم".[4]

أما الثقافة في دولة المرابطين فكانت في حالة ركود نسبي، ولم تحظ بازدهار كما كانت في عصر الطوائف، وذلك لأن عصر المرابطين كانت عسكرية صرفة، بدوية المنشأ، خشنة الطباع، ولا تميل إلى الأخذ بأسباب التمدن الرفيعة، بل ومطاردة أمراء المرابطين للبحوث الكلامية، والآراء الفلسفية، كانت لها الأثر البالغ في صد الحركة

1- توفيق، الوافي في الأدب الأندلسي، ص 129
2- الداية، تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، ص 50
3- ضيف، نوابغ الفكر العربي، ابن زيدون، ص 11
4- عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ص 59

الفكرية، والحيلولة دون نموها وازدهارها.[1] ويصف أبو بكر يحيى بن بقي الحال شعراً بقوله:[2]

ستبكي قوافي الشعر ملءَ جُفونها على عربيٍ ضاع بين أعاجمِ
ولا ذنب لي عند الزمان علمته سوى أنني للشعرِ آخر ناظمِ

وعلى الرغم من ذلك إلا أن شلالات الثقافة التي ظلت تتدفق منها سيول المعرفة والعلوم في عصر أمراء الطوائف كانت جارفة ومندفعة بقوة، لم تمنعها السدود المرابطية، ولم تخبُ.

فتأقلم المرابطون مع الشخصية الأندلسية، وأخذوا يهتمون بالشعر والأدب، كما اهتموا بالثقافة بدرجة ما، ويمثل جانب اهتمامهم وقوفهم مع الشعراء المخضرمين أمثال: الأعمى التطيلي، وابن خفاجة، و ابن الزقاق البلنسي وغيرهم.[3]

وبعيداً عن مجافاة الحقيقة، فإن الدولة المرابطية قد بذلت رعايتها لطائفة منهم،[4] إذ حوى هذا العصر جمهرة كبيرة من المفكرين أبرزهم في التاريخ: أبو محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن إبراهيم الحجاري، جاحظ المغرب، صاحب كتاب "المسهب" وكان شاعراً بارعاً وأديباً كبيراً، وقد استنشده عبد الملك بن سعيد فقال:[5]

عليك أحالني الذِّكرُ الجميلُ فجئتُ ومن ثنائك لي دليلُ
أتيتُ ولم أُقَدِّم من رسولٍ لأن القلبَ كان هو الرسولُ

ومن رواة الأخبار الذين ذاع صيتهم في هذا العصر، مؤلف كتاب "الصلة" الذي يعد من أوثق وأنفس المصادر للتاريخ الأندلسي.

ولكن يلاحظ على أن هؤلاء الأساطين في العلم والمعرفة والثقافة كانوا ممن عاشوا ونبغوا في عهد الطوائف، وربما أرغموا الحكام المرابطين بكثرتهم وحنكتهم حتى أعانوهم

1- سلامة، الأدب العربي في الأندلس، ص 51
2- ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الأشبيلي، قلائد العِقيان ومحاسن الأعيان، ، تح، حسين يوسف خربوش، مكتبة المنار، ط1، الأردن،1989م، م2 ق4، ص 922/ الوافي 163
3- توفيق، الوافي في الأدب الأندلسي، ، ص 163
4- سلامة، الأدب العربي في الأندلس، ص 51
5- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج2 ص35

على مواصلة سيرهم الثقافية عند عصرهم، فكانوا الرافد الأساس لنهر الثقافة في العصر المرابطي.

وقد ظلت الثقافة في العصر المرابطي على وتيرة البطء، والاعتماد على ما زرعه عصر الطوائف، وعلى فرض العلماء أنفسهم على الدولة المرابطية، وتقييد الحكام على الحرية الثقافية بكل محاورها، حتى أطل عصر الموحدين على الدولة الأندلسية، وقوضت دولة المرابطين، فقامت على سياسة إطلاق الحريات الفكرية والبحثية، وعدم مطاردة أمهات الكتب والمصادر، فازدهرت الثقافة الأندلسية في عصرهم.

ولعل من أهم العوامل المساعدة على ازدهار وشموخ الثقافة الأندلسية في عصر الموحدين، هو أن أمراءها كانوا علماء وأدباء، فمؤسس دولتهم "المهدي محمد بن تومرت" من أقطاب علماء عصره، ومن أكثر الأمراء تشجيعاً للناس على طلب العلم والمعرفة، و"عبد المؤمن بن علي" كذلك كان من أبرز علماء عصره، وكان يجمع حوله العلماء والشعراء من شتى أرجاء العالم الإسلامي فيشملهم برعايته،[1] ويصلهم بالأموال تشجيعاً لهم على البحث، والخليفة "أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن" كان أديباً بارعاً، وفقيها متمكناً، ومحدّثاً بليغاً، و"أبو يعقوب المنصور" قد سار على نهج والده من حب العلماء وتشجيعه لهم على البحث والتأليف، كما كان "الخليفة المرتضي لأمر الله" فقيهاً وأديباً وشاعراً، فكان لكل ما سبق عظيم الأثر في دفع الحركة الفكرية إلى الأمام حتى غدت شامخة شموخ القائمين عليها، تناطح السحاب سمواً وازدهاراً.[2]

وقد برز علماء وأدباء في هذا العصر منهم: إبراهيم بن الحاج أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد ابن خالد بن عمارة الأنصاري، من أهل غرناطة، كان فقيهاً محدّثاً وقارئاً، وظهرت في ميدان القراءة أم العز راوية قراءة ورش عن أم معفر زوجة محمد بن سيعد أمير شرقي الأندلس(542-568ه)[3] ومنهم من برع في اللغة والنحو، كموسى بن علي بن عامر، من أهل إشبيلية وله شرح لكتاب"لحن العامة" للزبيدي.[4]

1- السيوفي، تاريخ الأدب الأندلسي ص 37/ سلامة، الأدب العربي في الأندلس، ص 53
2- سلامة، الأدب العربي في الأندلس، ص 54
3- ضيف، عصر الدول والإمارات، ، ص 72
4- سلامة، الأدب العربي في الأندلس،ص 55

وقد برعت أم عمرو بنت عبد الملك بن زهر الطبيب، إذ كانت الطبيبة لنساء الأمـــراء من بني عبد المؤمن بإشبيلية وأطفالهم وجواريهم، وهي تعد جـــدة الطبيبـــات العربيـــات المعاصرات، [1]ومن اشتهر وبرع في الطب والنبات لهذا العصر أبو جعفر أحمد بن محمد الغافقي القرطبي، وله كتاب "الأدوية المفردة" الذي يعد من أهـــم المراجـــع الطبيـــة فـــي عصره، وأبوبكر محمد بن عبد الملك بن زهر الأيادي ابن الطبي "أبي مرون عبد الملك"، وقد برع في اللغة كذلك وهو طبيب الخليفة "أبي يعقوب المنصور"، وفي النبات برع "ابن الرومية" وهو أبرز علماء عصره، بل سائر العصور قاطبة.[2]

وممن نبغوا في علم الرياضيات والفلك: "عبد الله محمد بن سهل الضرير" وهـــو مـــن أهل غرناطة، وكان متعدد المواهب؛ فقد برع في الأدب وعلـــوم العربيـــة، وأخـــذ علـــم الرياضة أيضاً.[3]

ومن علماء الزراعة: "أبو زكريا يحي بن أحمد بن العوام الأشبيلي" عاش في أواخـــر القرن السادس الهجري، واشتهر بكتابه "الفلاحة" وفيه يقدم عرضاً لفنون الزراعة، وكيفية العمل الزراعي، واختيار البذور، وتسميد الأرض والمواسم الملائمة للزراعة وغيرها.[4]

وقد تميز عصر الموحدين عن سابقاته بتفرده بفن ثقافي جديـــد، وهـــو فـــن كتابـــة المصاحف وتنميقها وزخرفتها، ومن أشهر من نبغ فيها: محمد بن عبـــد الله بـــن ســـهل البلنسي، ومحمد بن محمد من أهل جزيرة شقر، كما امتاز هذا العصـــر بازدهـــار فـــن العمارة، وذلك بإقامة الصروح والمنشآت المعمارية، مما يدلل علـــى تقـــدُّمهم فـــي علـــم الهندسة وفن العمارة آثارهم المعمارية التي ما زالت باقية ببلاد الأندلس.[5]

وقد نبغ في هذا العصر عبد الملك المراكشي صاحب معجم "الذيل والتكملة" لكتـــابي: "الموصول والصلة" وهو من أنفس المراجع للدارسين في التاريخ والأدب، لما فيـــه مـــن وثائق فريدة عن دولة الموحدين.[6]

1- ضيف، عصر الدول والإمارات، ص 72 / الذيل والتكملة ج8ص 483
2- سلامة، الأدب العربي في الأندلس، ص 55-56
3- المصدر السابق، 56
4- المصدر نفسه، ص57
5- نفسه، ص 57
6- نفسه، ص 57

وتظهر ضمن الثقافة في عصر الموحدين عابدات متبتلات كثيرات كن يعظن النساء مثل: الناسكة رشيدة التي كانت تتجول في بلدان الأندلس، مذكرة للنساء وواعظة، كما أن محي الدين ابن عربي الصوفي المشهور من الذين دفعوه إلى اعتناق التصوف زوجته مريم بنت محمد ابن عبدون، ونونّة فاطمة بنت ابن المثنى القرطبية.[1]

بعد هذا التطواف على الثقافة الأندلسية، ومعرفة من نبغوا وساهموا فيها، يُلاحظ أن عصر الموحدين قد أسهم بعدد غير قليل من العلماء والأدباء في الثقافة الأندلسية ذات الشخصية المستقلة، بل قد ساهم بنصيب كبير في استقلال الشخصية الثقافية الأندلسية، وبذا يضاف هذا العصر إلى العصور الثقافية الأندلسية الزاهية أيضاً.

كما يُلاحظ أن المرأة يتجلى دورها في هذا العصر في ميدان جديد، إذ صارت تجُود بما لديها من ثقافات وعلوم، بل تتجول بها كما يفعل الرجال بغية إفشاء الثقافة، وتأكيد مكانتها ودورها في النهوض بالأمة، و أضحت معلمة لمن برعوا في ضروب الثقافة والمعرفة.

وما إن نصل إلى دولة بني الأحمر حتى يُرى الدخَان يسد الأفق، منذراً ببداية النهاية، حيث الصراعات المدمرة والظروف السياسية الاجتماعية القاسية، لكن الثقافة ظلت رغم ذلك زاهية وحافلة بأعلام الفن والمعرفة، وآثرت غرناطة على نفسها إلا أن تكون حصناً للثقافة، ومنارةً وشعاعاً لها وللحضارة.

واستمرت الحركة العلمية والأدبية والحضارية عامة على حالها من النشاط والحيوية؛ بل ازدادت تركيزاً بانضمام كثير من العلماء والأدباء الذين سقطت بلادهم إلى أهل غرناطة.[2]

وأُسست مدرسة غرناطة ذات السمعة العالية، التي عُرفت باسم المدرسة العلمية أو المدرسة النصرية، وكتب على باب المدرسة.[3]

يا طالبَ العلمِ هذا بابه فُتحا فادخل تُشاهد سناه لاحَ شمس ضحى

1- ضيف، عصر الدول والإمارات، ص 72
2- الداية، في الأدب الأندلسي، ص44
3- المصدر نفسه،ص223/

واشكر مجيرك من حلٍ ومرتحلٍ إذ قرّب الله من مرماك ما نزحا
وشرفتْ حضرة الإسلام مدرسة بها سبيل الهدى والعلم قد وضحا
أعمال يوسف مولانـــا و نيته قد طرزت صحفاً ميزانها رجـــحا

ومن أبرز علماء هذا العصر: أبو القاسم محمد بن أحمد الشريف الحسن، كان فاضلاً متقدماً في العلوم والمعارف، وكان قاضياً لغرناطة، ومن علماء الحديث: شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن محمد بن فرج اللخمي الإشبيلي، وله شرح الأربعين للنووي.[1]

ومنهم أبو المكارم بن أبي أحمد بن سدى الأزدي الأندلسي الغرناطي، وله "الأربعـــون المختارة في فضل الحج والزيارة"[2]

ومن علماء اللغة: أبو الحسين عبيد الله بن أحمد بن أبي الربيع الأموي القرشي، مـــن كتبه: الملخص في النحو والقوانين النحوية، والإفصاح في شرح الإيضاح.[3]

ومن الأدباء الشعراء: أبو الحسن علي بن محمد بن الحياب، وهو كاتب وشاعر مـــن أشهر كتّاب الدولة النصرية 673–749ه، وكان راوية ومحققاً فـــي كثيـــر مـــن العلـــوم والفنون، وكان قائماً على العربية إماماً في الفـــرائض والحســـاب، متبحـــراً فـــي الأدب والتاريخ، ومنهم: أبو العباس أحمد ابن شعيب الجزنائي، وقد بـــرع فـــي اللســـان والأدب والعلوم العقلية والطب، وكان شاعراً متقدماً وناقداً بارعاً[4]

من خلال ما قُدم من ملامح ثقافية للعصور الأندلسية، يـــرى الباحـــث: أن الدولـــة العربية الإسلامية بالأندلس عبر عصورها المتعاقبة، قد أسهمت في حركة التقدم الثقـــافي والحضاري في جميع الجوانب المطروقة من قبل في أوربا والمشرق، بل اســـتحدثت مـــا جعلتها تتفوق على المشرق والمغرب والغرب، فعرفـــوا الرياضـــيات والفلـــك والفلســـفة وبرعوا فيهن، كما ازدهر عندهم الطب ونبغت فيه أسماء لامعة، بجانب براعتهم في توأم الطب "الصيدلة وصناعة الأدوية"، وفصلوها عن الطب حينما نجد شخصيات حذقوها دون معرفتهم بالطب، وظهرت عندهم الدراسات الفلسفية والمنطقية، وســـيذكر لهـــم التـــاريخ

1- سلامة، الأدب العربي في الأندلس، ص58
2- تاريخ بروكلمان ج6ص281 / سلامة ص 58
3- سلامة، الأدب العربي في الأندلس، 59/ بغية الوعاة 319
4- سلامة، الأدب العربي في الأندلس، ص 60/ ابن الأحمر، أعلام المغرب والأندلس، ص 254

براعتهم في الجغرافيا وما يتعلق بخصائص البلدان، أما مجال علم اللغة والنحو، والبلاغة، والنقد، فكانت لها أثرها ومكانتها، فأضفى علماؤها جواً غزير الفائدة من إشاعة هذه العلوم، حيث ظهرت مدرسة نحوية مستقلة تعد الدليل الأقوى في ذلك.

كما أسهم الأندلسيون في علوم القرآن، والقراءآت، والتفسير، وعلوم الحديث، والفقه، و يلاحظ براعتهم في إنشاء فن "كتابة المصاحف"، وجادت قرائحهم بالتاريخ العربي الإسلامي العام، والمحلي، وأكثروا من التأليف في مناهج العلماء أو الفهارس، وتراجم العلماء والأدباء واللغويين.

كل هذا لا يُنسى لهم وإن غبر الزمن، فإن المجد العربي الإسلامي قد خُلِّد بأسمائهم على صفحات من نور، تُنْبئ بالمجهودات الجبارة لأولئك الجيل العربي المسلم الذي أرسى قواعد الإسلام في أرض تقاذفت فيها الجهل ممن جاورهم، فصمدوا وحُقَّ للجميع أن يحفظ لهم ذاك الدور المتعاظم.

الفصل الثاني

الشواعر الأندلسيات في العصر الأموي بالأندلس، وعصر ملوك الطوائف

المبحث الأول: الشـــواعر الأندلسيات في العصر الأُموي بالأندلس.
(شواعر عهد الولاة، والإمارة، والخلافة)
المبحث الثاني: الشواعر الأندلسيات في عصر ملـــوك الطوائف.

المبحث الأول:

الشواعر الأندلسيات في العصر الأُموي بالأندلس؛(عهد الولاة، والإمارة، والخلافة).

سئل بشار بن برد يوماً عن النساء الشواعر فقال: "لم تقل امرأة شعراً إلا تبين الضعف فيه، فقيل له: أو كذلك الخنساء؟ فقال: تلك كان لها أربع خصي."[1]

يتبين من كلام بشار أن الخنساء كانت شاعرة تفوق فحول الشعراء، ولو لم تكن كذلك لما وصفها ابن برد بالزيادة في التركيبة الذكورية فوق المعتاد!

ومن المعلوم أن بشاراً كان متعصباً في آرائه وخاصة تجاه المرأة، على الرغم من قوة شعره الغزلي في المرأة، وأما ما يتعلق بشعر الشواعر، فإن الملاحظ من أنّ الأقدمين كانوا لا يهتمون بشعرها ولا يعيرونها اهتمامهم بقدر اهتمامهم بشعر الشعراء، فكيف كان الحال وعلى مر العصور الأدبية السابقة لعهد الشاعر بشار؟ ألم تكن هناك شاعرة يعتد بشعرها بخلاف الخنساء؟ والحق أن هناك شواعر ولكن قلة الاهتمام جعل إنتاجهن الأدبي وبخاصة الشعر في طي النسيان والإهمال.

1 – 3 شواعر عهد الولاة (92 إلى 138هـ، 710 إلى 755م):

الملاحظ أن عهد الولاة الذي استمر حوالي 46 سنة، لم يترك أثراً أدبياً متميزاً في جميع أجناس الأدب، ولم تظهر فيه أيضاً شاعرة ولو على نطاق محدود، وذلك لأسباب عديدة يلتمس الباحث منها:

* إن الفترة التي شهدها عهد الولاة –الفاتحون– كانت ترتكز على الحرب والبحث عن مواطئ الأقدام للوافدين العرب وتأسيس دولتهم، ونشر الإسلام وما إلى ذلك من بواعث.

* كل ما كان من أجناس أدبية في العهد المذكور حظها يتمحور في الحماسة والتحريض على الجهاد والقتال.

* لم تكن هنالك نساء عربيات مشرقيات في معية الجند الداخل الفاتح.

* سار الأمويون على مسار أسلافهم في الشرق، من الابتعاد بأنفسهم عن الأمم المغلوبة حفظاً لعصبيتهم، ووقاية لأنسابهم وحماية لأخلاقهم من أن يوهنها الضعف والانحلال.

2 – 3 شواعر عهد الإمارة–إمارة قرطبة–، (138 إلى 316هـ، 755إلى 928م):

---

[1] - كحالة، عمر رضا، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، مؤسسة الرسالة، ط5 بيروت، لبنان1984م، ج1 ص 361-362

يمتد عهد إمارة قرطبة من عام 138هـ حتى 316هـ، وهو العام الذي أعلن فيه عبد الرحمن الناصر نفسه خليفة في قرطبة، حيث بدأ العهد الثالث من العصر الأموي بالأندلس ، وهو عهد الخلافة التي امتد حتى 422ه، عام استقلال آخر إمارة _إمارة قرطبة_، وتحولها إلى دولة الطوائف.

تحدثت أمهات المصادر، وكتب الأدب والتأريخ الأدبي، عن وجود شواعر في عهد الإمارة الأموية بالأندلس، هن: قلم الأندلسية، وقمر البغدادية جارية إبراهم اللخمي، والجارية العجفاء، وحسانة التميمية.[1]

الشاعرة: الجارية العجفاء:

هي جارية وافدة من المشرق، لم تورد المصادر اسمها الحقيقي؛ وذاك ربما لدمامة وجهها ونحولة جسمها وهزاله، كما ظهرت في صفتها التي أُطلقت عليها، أو لأنها جارية لرجل مغمور هو الآخر مولى من موالي بني زهرة، يدعى "مسلم بن يحيى" ثم آلَ رقّها إلى عبد الرحمن الداخل، ولكنها كانت ساحرة البيان والصوت والعزف، وشأنها شأن القيان على مر العصور فهي تقول الشعر الوجداني الغنائي، وخاصة في الغزل والشكوى.

قالت عنها زينب فوّاز العاملي: "كانت ذات صوت غرد ولا تغريد البلابل، جابت إليها الأسماع ومالت إليها القلوب، وتحدثت بحسن صناعتها الركبان في كل مكان، وبلغت في زمن صباها ما لم ينله القيان، وفي آخر مدتها رماها الزمان بكلكله وافتقرت وأقامت تعلم جواري الأمراء صنعة الغناء، وأخيراً انقطعت في دار مسلم بن يحيى مولى بني زهرة، وبقيت عنده إلى أن اشتراها الأمير عبد الرحمن بن معاوية الأموي، فبقيت عنده إلى أن ماتت."[2]

1- نفح الطيب ج3 ص 140 وما بعده. ومحطات أندلسية، دراسات في التاريخ والأدب والفن الأندلسي، محمد حسن قجة ، الدار السعودية للنشر، ط1 جدة ، المملكة العربية السعودية، 1985م، ص 88

2- فواز العاملي، زينب بنت علي بن حسين بن يوسف، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، المطبعة الكبرى الأميرية، ط1 بولاق، مصر،1312هـ ص331

ويروي المقري التلمساني: أن الرقمي وأبو السائب شهدا مجلس شعر وغناء في دار سيدها جعلتهما يفقدان صوابهما إعجاباً بشعرها وغنائها، وقد سمع بها عبد الرحمن الداخل، فأرسل واشتراها من سيدها.[1]

فهي مغنية من أحسن الناس غناءً، قال المقري عنها: " قال الأرقمي: قال لي أبو السائب –وكان من أهل الفضل والنسك– : هل لك في أحسن الناس غناء؟ فجئنا إلى دار مسلم بن يحيى مولى بني زهرة، فأذن لنا فدخلنا بيتاً عرضه اثنا عشر ذراعاً في مثلها، وطوله في السماء ستة عشر ذراعاً، وفي البيت نُمْرُقتان قد ذهب عنهما اللحمة وبقي السدى، وقد حُشيتا بالليف، وكرسيّان قد تفككا من قدمهما، ثم أطلعتْ علينا عجفاء كلفاء، عليها [قرقل][2] هروي أصفر غسيل، وكأن وركيها في خيط من [رسحها][3]، فقلت لأبي السائب: بأبي أنت! ما هذا؟، فقال: اسكت، فتناولت عوداً وغنّت بأبيات من شعرها:[4]

بِيَدِ الذي شغفَ الفُؤادَ بكُمْ تفريجُ ما ألقى من الهمِّ
فاستيقِني أنْ قد كَلِفْتُ بكم ثم افعلي ما شئت عن علم
قد كان صَرْمٌ في الممات لنا فعجلتْ قبل الموت بالصرم

قال: فتحسنت في عيني، وبدا ما أذهب الكَلَفَ عنها، وزحَف أبو السائب وزحفتُ معه، ثم تغنتْ بكلماتها قائلة:[5]

برح الخفاء فأيما بكَ تكتمُ ولسوف يظهرُ ما تسرُّ فيُعلمُ
ممَّا تضمن من غريرة قبله يا قلب إنكَ بالحسانِ لمُغْرَمُ
يا ليتَ أنّك يا حسام بأرضنا تلقي المراسي طائعاً وتخيَّمُ
فتذوق لذة عيشنا ونعيمه ونكون إخواناً فماذا تتقمُ

فقال أبو السائب: إن نقم هذا فأعضّه الله تعالى بكذا وكذا من أبيه، ولا يكني، فزحفتُ مع أبي السائب حتى فارقنا النمرقتين، وربت العجفاء في عيني

---

1 - المقري التلمساني، نفح الطيب، ج4 ص 138
2 - القرقل: ثوب لا كم له
3 - الرسحاء: المرأة الخفيفة العجز وقليلة لحم الفخذ
4 - الأغاني 23: 282 والنفح ج3 ص 141 وأعلام النساء ج3ص 259
5 - النفح ج3 ص143 / كحالة، أعلام النساء ج3 ص256 جمعة، محطات أندلسية، محمد حسن، ص 89

كما يربو السويق بماء مُزْنَة. ثم غنّت أمام الأرقمي وأبو السائب بكلمات نت شعرها أيضاً:[1]

يا طول ليلي أُعالج السقما إذ حلّ كلُّ الأحبّة الحرما

ما كنتُ أخشى فراقكم أبداً فاليوم أمسى فراقكم عزما

فألقيتُ طيلساني، وأخذتُ شاذكونة[2] فوضعتها على رأسي، وصحت كما يُصاح على اللوبيا بالمدينة، وقام أبو السائب فتناول ربعة[3] في البيت فيها قوارير ودهن، فوضعها على رأسه، وصاح صاحب الجارية وكان ألثغ: قوانيني، يعني قواريري، فاصطكت القوارير وتكسرت، وسال الدهن على رأس أبي السائب وصدره، وقال للعجفاء: لقد هِجْتِ لي داءً قديماً، ثم وضع الربعة. وكنّا نختلف إليها حتى بعث عبد الرحمن بن معاوية صاحب الأندلس فابتيعتْ له العجفاء، وحُملتْ إليه."[4]

الشاعرة: حسانة التميمية بنت أبي المخَشّي الشاعر:5

هي أول شاعرة من الحرائر ظهرت في البلاد الأندلسية، فإذا كانت العجفاء أسبق شاعرة في الإندلس إلا أنها من الإماء، وكانت قينة ومغنية، ولم تكن من مواليد شبه الجزيرة الأندلسية، وإنما وفدتْ إليها من المشرق، والشاعرة حسانة من مواليد الأندلس.

لم تذكر المصادر الأصول تاريخ ولادتها أو وفاتها، ولكنها أُثبتت ولادتها في مدينة ألبيرة. بيد أن المراجع الحديثة –أعلام النساء، وشعراء العرب– تروي أنها عاشت مائة سنة من 154إلى 254ه.[6]

- كحالة، أعلام النساء ج3 ص259 و النفح ج3 ص 142جمعة، محطات أندلسية، ص 89 1
- شاذكونة: مضربة كبيرة من آلات الغناء عندهم 2
- الربعة: جونة العطار 3
- نفح ج3 ص 141-142 4
1-هو عاصم بن زيد أحد قدامى الشعراء بالأندلس وهو تميمي عبادي وقد قطع لسانه هشام بن عبد الرحمن الداخل (انظر المغرب: 2: 123 والجذوة 377 وبغية الملتمس رقم: 1543.
- الريسوني، الشعر النسوي الأندلسي، ص 50 6

قال ابن الأبار: " كانت شاعرة مطبوعة مدحت الأمير عبد الرحمن بن الحكم ذَكَرَ ذلك أبو عامر السالمي."[1] شاعرة وأديبة من شواعر وأديبات الأندلس، تأدبت وتعلمت الشعر، فلما مات أبوها كتبتْ إلى الحكم، وهي إذ ذاك بكر لم تتزوج:[2]

إني إليك أبا العاصي موْجّعةٌ أبا المخشيِّ سقَتْه الواكفَ الدِّيَمُ
قدْ كنتُ أرتعُ في نعماهُ عاكفةً فاليومَ آوي إلى نَعْمَاكَ يا حَكَمُ
أنت الإمام الذي انقاد الأنامُ لهُ وملّكَتْهُ مقاليدَ النُّهى الأُمَمُ
لا شيءَ أخشى إذا ما كنتَ لي كنفاً آوي إليه ولا يعروني العَدَمُ
لا زلْتَ بالعزةِ القعساءِ مرتدياً حتى تذلّ إليك العُربُ والعَجَمُ

فلمّا وقف الحكم على شعرها استحسنه، وأمر لها بإجراء مُرتّب، وكتب إلى عامله على إلْبِيرَةَ فجهزها بجهاز حسن.[3]

يلاحظ في هذه الأبيات أن الشاعرة حسانة قد استطاعت أن تخرج من قالب المدائح النسائية المعهودة قديماً، والتي كانت تدور في الإطار الأسري الضيق تمجيد القبيلة أو الأخوة أو الوالد ولا تتجاوز هذه القرابة، فهي الآن وبهذه الأبيات لا تمدح أخاً ولا ابناً ولا أباً ولا زوجاً، وإنما تمدح أحد الأمراء وعيناً من أعيان البيت الحاكم، كما يفعل الشعراء، وتكون بهذا قد أسهمت في إنتاج غرض من الأغراض الشعرية الأندلسية باسم المرأة، وكان هذا الغرض محصوراً في صحائف الشعراء فقط، فاحترفت لنفسها ولأخواتها الشواعر، حيث مزجت ما بين المدح والشكوى والرثاء في إطار جديد.

وهذه الأبيات قد تضمنت استعطافاً وتجويداً في المدح، حين يُرى الشاعرة قد جعلت الخليفة أباً لها بعد موت أبيها تأوي إليه، وهو الإمام الذي انقاد إليه

3- ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة،لإبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي ،تح، عبد السلام الهراس، إشراف مكتب البحوث والدراسات،إعادة طبع ، دار الفكر، بيروت، لبنان،1995م، 4/4 ص240
4- المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح، محمد بن شريفة وآخران، دار الغرب الإسلامي، ط1، ، تونس،2012م، ج5 ص414 / كحالة، أعلام النساء ج1 ص256 / ونفح الطيب ج4 ص167 / سويلم، أحمد، وشعراء العرب؛ الأسماء والألقاب والكنى، دار العالم العربي، ط1، القاهرة، مصر،2012م، ص529
- نفح الطيب ج4 ص 167 وأعلام النساء ج1 ص 256 / الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص 165 3

الورى، وملك الأمم وذلت له عربها وعجمها، مما جعل الممدوح يستحسن شعرها ويأمر لها بما يكفيها.

ويُحكى أنها وفدت على ابنهِ عبد الرحمن بشكية من عامله جابر بن لبيد والي إلبيرة[1]، وكان الحكم قد وقّع لها بخط يده تحرير أملاكها، وحملها في ذلك على البر والإكرام، فتوسلت إلى جابر بخط الحكم، فلم يَفْدِها، فدخلت إلى الإمام عبد الرحمن، فأقامت بفنائه، وتلطفت مع بعض نسائه حتى أوصلتها إليه، وهو في حال طرب وسرور، فانتسبت إليه، فعرفها وعرف أباها، ثم أنشدته:[2]

إلى ذي الندى والمجدِ سارتْ ركائبي ... على شَحَطٍ تَصْلى بنارِ الهواجرِ

ليجبرَ صَدْعي إنه جابرٌ ... ويَمْنَعُني من ذي الظلامةِ جابرِ

فإنِّي وأيتامي بقَبْضَةِ كفِّه ... كذي ريشٍ أضحى في مخالبِ كاسِرِ

جديرٌ لمثلي أنْ يُقالَ مَرُوْعَةٌ ... لموتِ أبي العاصي الذي كان ناصري

سقاه الحيا لو كان حيَّاً لما اعتدى ... عليِّ زمانٌ باطشٌ بَطْشَ قادرِ

أيمْحُو الذي خطّتْه يمناهُ جابرٌ ... لقد سامَ بالأملاكِ إحدى الكبائرِ

يُرى في هذه الأبيات "الجرأة" التي تمتعت بها الشاعرة حسانة التميمية، وهي جرأة أدبية نادرة قلما توجد في زمانها من شاعرة، بيد أنها أول شاعرة، إلا من فحول الشعراء، حيث أظهرت براعاتها في تصوير مشهد الرحيل إلى الممدوح، تقليداً لوشاح القصيدة المدحية العربية القديمة، وصف الفلاة، وأهوال الليل وما يلاقيه الساري، وما لاقاها من الوالي من ظلم، ومصادرة أموالها وممتلكاتها، حيث وجدت السبيل إلى قلب الممدوح وذلك لما فاضت بها القصيدة من عاطفة، تجيش ألماً وحزناً.

ولما فرغت رفعت إليه خط والده، وحكت جميع أمرها، فرقّ لها، وأخذ خط أبيه فقبّله ووضعه علي عينيه، وقال: تعدّى ابنُ لبيد طَوْرَه، حين رام نقض رأي الحكم، وحسبنا أن نسلك سبيله بعده، ونحفظ بعد موته عهده، انصرفي يا حسانة

---

1 - ألبيرة: بُليدة قريبة من ساحل بحر الأندلس ولها مرسى ترسي فيه السفن ما بين مرسية والمرية

2 - اعلام النساء ج1 ص 257 / ونفح الطيب ج4 ص168 / وشعراء العرب، ص 529

فقد عزلتُه لكِ، ووقّع لها بمثل توقيع أبيه الحكم، فقبّلت يده، وأمر لها بجائزة، فانصرفت وبعثتْ إليه بقصيدة منها:[1]

ابن الهشامين خيرُ الناسِ مأثرةً وخيرُ مُنْتَجَعٍ يوماً لروّادِ
إنْ هَزّ يومَ الوغى أثناء صعدته روّى أنابيبها من صرفِ فِرْصَادِ
قلْ للإمامِ أيا خيرَ الورى نسباً مقابلاً بينَ آباءٍ وأجدادِ
جوّدتَ طبعي ولم ترضَ الظلامة لي فهاكَ فضلَ ثناءٍ رائحٍ غادِ
فإنْ أقمتُ ففي نُعماكَ عاطفة وإنْ رحلتُ فقد زوّدتَني زادي

وفي بيتها الأخير " **فإنْ أقمتُ ففي نُعماكَ**" كأنها نظرت لقول القائل:

لا يضنك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادي

من خلال الأبيات والمقاطع التي سجلتها المصادر عن الشاعرة حسانة تتضح أنها كانت مولعة بغرض المدح، بل ربما كانت تمدح للتكسب لكونها فقدت من يعينها، وأحدقت بها المظالم، فتراها رسمت لوحة تعترف فيها بكرم الممدوح وتشكر له حسن صنيعه وإجزاله، فوصفته بالصفات التي يحمدها كل إنسان، من الحسن والخير، وكرم الأصل والحسب والنسب، فلم تقِلُّ إجادة في مدحها عن الشعراء، وربما فاقتهم.

يُلمس في شعر حسانة التميمية؛ عزة النفس وإباء المرأة العربية في المشرق، إذ إنها لم تنغمس في حياة الترف الأندلسية، ساعدها في ذلك التقاليد الاجتماعية للعنصر العربي في بداية عهدهم الجديد، لذا جاءت موضوعات شعرها لا تختلف عن الموضوعات التي عالجها المشارقة من قبل.

ويدعم الباحث قوله: إن موضوعات الشاعرة حسانة مشرقية محكمة النسج، أنها أخذت المعنى أو وافقت شعرها أشعاراً في صدر الإسلام، والعصر الأموي، فقصيدتها المدحية " **إني إليك أبي العاصي**" تعود إلى قصيدة الحطيئة في مدح سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

أنت الأمين الذي من بعد صاحبه ألقى إليك مقاليد النهى البشر[2]

وكذلك تضارع بها قصيدة الشاعر جرير حينما مدح سليمان بن عبد الملك قال:

أنت الأمين أمين الله لا سرِف فيما وليت ولا هيَّابَةٌ ورع* [3]

وكذلك قول جرير في مدح سليمان بن عبد الملك أيضاً:

- نفح الطيب ج4 ص168 / و شعراء العرب أحمد سيلم ص 530 / وأعلام النساء لعمر رضا كحالة ج1 ص 257 1
- ديوان الحطيئة، ر وشر، ابن السَّكيت، در وتب، مفيد محمد قميحة، ط1، 1993م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 108 2
2- جرير، محمد بن حبيب، الديوان ، شر، تح، نعمان محمد أمين طه، دت، دار المعارف، ط3، القاهرة، مصر،ج2، ص295
***سرف: المخطيء ، هيابة: جبان ، ورع: الجبان والخائف**

أنت الخليفةُ للرحمـــــن يعرفه أهلُ الزبور وفي التوراة مكتوب[1]

فقد صاغت الشاعرة حسانة قصيدتها وضمنت فيها معاني من قصيدتي الحطيئة وجريـــر، وكأنها ومن خلال مجالساتها لرواة الأخبار علمت مكانة الأمويين في المشرق وعرفت تاريخهم فأرادت أن تذكّر الأمير "الحكم" مكانة وعظمة أجداده وأصالة حسبه ونسبه منذ غابر الأزمان.

وكذلك الشاعرة لم تخرج من الإطار المشرقي التقليدي، إذ جاءت في مدحيتها الثانية " **إلى ذي الندى والمجد سارت ركائبي**".

فإني وأيتامي بقبضـــــة كفه كذي ريش أضحى في مخالب كاسر

جاءت كسابقتها، فليس فيها أي من سمات الشعر الأندلسي الجديد وطبيعتها الخلابة، فلـــم يُلمح الطبيعة الساحرة في طياتها، فصورت أطفالها الأيتام الضعاف بصورة مشرقية محضة فهم عصافير بين مخالب الكواسر الجارحة، فهي ما زالت متأثرة بالشاعر "الحطيئة" حينما استعطف سيدنا عمر رضي الله عنه شاكياً حال أطفاله الذين لا حول ولا قوة لهم، وهو بالسجن، فقال:

ماذا تقولَ لأفراخٍ بذي مـــــرخٍ حمرُ الحواصلِ لا ماءٌ ولاشجرُ

فامننْ على صبيةٍ بالرملِ مسكنُـــهُم بينَ الأبـــــاطحِ يَغْشَاهُم بها قررُ[2]

وبذا تكون حسانة التميمية الشاعرة الحرة الأولى في الأندلس قد أثرتْ الساحة الأندلســـية الأدبية في بواكر نهضتها؛ بحسن النسج وجودة السبك من الشعر، واضعة البذرة الأولى للشعر النسوي الأندلسي، متبعة في ذلك نهج الأقدمين من الشـــعراء العـــرب، فمـــدائحها وشـــكواها واستعطافها جاءت غاية من الروعة، وجزالة الشعر العربي القديم.

الشاعرة: حفصة بنت حمدون الحجارية:

وهي أديبة وعالمة وشاعرة من شـــواعر وأديبـــات وادي الحجـــارة بالأنـــدلس،[3] قـــال ابن سعيد: " إنَّها من أهل المائة الرابعة"[4].

ودُعيت "بالحجارية" نسبة إلـــى مقامهـــا فـــي "وادي الحجـــارة" قـــرب مدريـــد، وهي بخلاف أخواتها الشواعر مكثرة الشعر، وكانت ذات جـــاه، ومكانـــة فـــي بلـــدها،

---

1 - جرير، الديوان، ، ج2، ص 349

2 - ديوان الحطيئة، ص 107،108

3 - المراكشي، الذيل والتكملة ج 5 ص 414 / و نفح 4 ص 285 / الدر المنثور ص 165

4- المُغرب في حُلى المَغرب، علي بن موسى بن سعيد وآخرون، تح، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط4، مصر،1964م، ج2 ص37 / و انظر النفح ج4 ص285 وأعلام النساء ج1 ص 272

وقد عنيت بالفخر، وهي في طليعة الشواعر الأندلسيات اللائي قرضن فن الغزل، وتعتد بنفسها في شعرها.

وبلدها وادي الحجارة هذه؛ هي مدينة تعرف أيضاً بـ" **مدينة الفَرج** " وهي تقع إلى الشمال الشرقي من قرطبة، وتبعد عن طليطلة خمسةٌ وستون ميلاً، وكانت أيام الأندلس الإسلامية مزدهرة، واشتهرت بالبساتين والكروم، وأكثر غلات الزعفران كانت فيها.[1]

كثر اختراعها للمعاني وإبداعها في نظم الشعر ومن شعرها قولها:[2]

رأي ابنُ جميلٍ أنْ يُرى الدهرَ مُجْمِلاً فكلُّ الورى قد عمَّهُم سَيْبُ[3] نعمتِهْ

لهُ خُلْقٌ كالخمرِ بَعْدَ امتزاجِها وَحُسْنٌ فما أحلاهُ مِنْ حينَ خِلْقَتِهْ

بوجهٍ كمثلِ الشمسِ يدعُو ببِشرِه عُيوناً ويُعْشِيها بإفراط هيبتهْ[4]

وهي ترى أن ممدوحها قد عمّ بسيبه وعطائه وجزيل نواله؛ فلا يُرى إلا معطياً مُجْملاً ولا عجب فقد رق خُلُقه وصفاً، وإذا كان قد صفا خُلقه فقد حسن خَلْقه فوجهه مثل الشمس تتطلع إليها العيون وعندما يبهرها نورها ترتد هيبة.

الملاحظ أن هذه الأبيات أقرب إلى الغزل منه إلى المدح، وذلك لأخذ الشاعرة في هذه الأبيات بصورة ممدوحها إلى المعالم والعناصر المعتادة في معاني الغزل مثل: (الخمر، والشمس، والعيون.)، وهى نفس المعاني التقليدية في المدح، من حسن الخُلق، والجود، فإنها ذات المعاني المقبولة عند جميع المجتمعات سيما الأندلسية.

ولها في تيه وكبرياء حبيبها :[5] الخفيف

لي حبيبٌ لا يَنْثني لِعتابٍ وإذا ما تركْتُهُ زادَ تيها

4- الحميري، محمد بن عبد المنعم ، الروض المعطارفي خبر الأقطار، تح، إحسان عباس،ط1، 1975م، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ص606 / وانظر معجم البلدان لياقوت الحموي ج5 ص 343

5- السيوطي، جلال الدين ، ونزهة الجلساء في أشعار النساء، تح، عبد اللطيف عاشور، دط،دت، مكتب القرآن، القاهرة، مصر، ص 43 ، وانظر النفح ج4 ص 285

- السيب: العطاء 3

- ورد هذا البيت في نزهة الجلساء: { بوجهٍ كمثل الشمس يدعو ببشره ـــــــ ـــــــعُيونَ ويثنيها بإفراطِ هيبته } 4

- نزهة الجلساء للسيوطي ص 44 / و النفح ج4 ص285 / والمغرب ج2 ص 38 / وأعلام النساء ج1 ص 272 5

قال لي: هل رأيتِ من شبيهٍ؟! قلتُ أيضاً: وهل ترى لي شبيها

يمكن إدراج هاتين البيتين في باب لف الغزل بالفخر، فهما لا ينتميان إلى الفخر الخالص ولا الغزل الخالص، فهي تخبر عن كبريائها وعزة نفسها ودلالها وجمالها وغنائها أمام كبرياء حبيبها، فهي تنتصر لشخصيتها الأنثوية أمام شخصية الرجل فهما ندان، ولم تنس كبرياءها وتيهها كامرأة.

وحبيبها لا يعود إلى طيب اللقاء بعد العتاب، وإذا تركته يتملكه العجب بنفسه والتيه والخيلاء، ومثل هذا لا يفلح إلا التعامل على طريقته: تيهاً بتيه!!، تقول: يقول لي: هل رأيت لي من شبيه؟ وأنا أرد أيضاً: وهل ترى لي شبيهاً؟ فليس هناك من هو أحسن من الآخر، فلا مجال للتيه والتعالي!، ولها تذم عبيدها:[1]

يا ربّ، إنِّي مِنْ عبيدي على جمرِ الغضا، ما فيهمُ مِنْ نَجيبْ[2]
إمّا جَهُولٌ أبْلَهٌ مُتْعِبٌ أو فَطِنٌ من كيده لا يجيبْ

قالت إنها تقاسي من عبيدها؛ وكأنما تتقلب على جمر من نار الغضا، منشدة مَكْرِهم، فهم بين جهول أبله أو فطن ماكر؛ فكلاهما يتعبها ويذيقها الأمَرِّين! فهي تعكس بهذه التجربة تضجرها من عبيدها، وقد أضافتْ الشاعرة باستخدامها للطباق أثراً جميلاً لمعنى تذمرها الذي أرادته.

وإنها أظهرت الطبقية الاجتماعية فعلى الرغم من أنها من العامة ولم تكن من الأميرات ذوات السلطان، إلا أنها تمتلك العبيد دليلاً على ثرائها المادي.

وقال ابن الأبار: " إنِّها كانت أديبة عالمة شاعرة."[3] وذكرها ابن فرج: وأنشد لها أشعاراً منها قولها:[4] مجزوء الكامل

يا وحشتي لأحبّتي يا وحشةً متمادِيهْ

- النفح ج4 ص 285 / وأعلام النساء ج1 ص 272 / و المغرب في حلى المغرب ج2 ص 38 / ونزهة الجلساء للسيوطي ص 44 1

- الغضا: واحدتها غضاة، وهي شجرة من الأثل أصلب الخشب، وجمره يبقى زمنا طويلاً لا ينطفىء 2

1- ابن الآبار، الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، التكملة لكتاب الصلة، تح، عبد السلام الهراس، إعادة طبع، 1995م، دار الفكر، بيروت، لبنان، ج4 ، ص260 / وانظر نفح الطيب، 4 ص 286

2- الداية، الحدائق والجنان من أشعار أهل الأندلس وديوان بني فرج شعراء جيان، جم وشر، نادي تراث الامارات، دط ت، ص 9 / وأعلام النساء ج1 ص 272 / ونفح 4 الطيب ص 286 / ونزهة الجلساء للسيوطي ص 44

يا ليلةً ودعتُـــــــــــهم يا ليلةً هي ما هيهْ

أبياتها تحكي عن شعور بالوحشة لفراق أحبتها، وفيها إبداع ورقة، وتعد مغامرة غزلية غير عذرية، فهي تكشف عن لقائها مع من تحب ليلاً!، وتصرح بشوقها دون خجل، ولكن هذا طبيعي في الأندلس حيث التحرر الذي ساد الجزيرة وما تمتعت به المرأة، وفقاً للعوامل آنفة الذكر في الفصل الأول من هذا البحث، وقد ظهرت فيها طبيعة بلدها ذات البساتين والرياض الوارفة في شعرها فهي تصرفت في مكونات طبيعتها، وبذا تكون قد أسهمت الشاعرة في النهضة الشعرية والأدبية التي سادة الحياة الفكرية الأندلسية.

الشاعرة: قمر البغدادية، جارية إبراهيم بن حجاج اللخمي:

هي الأخرى من الوافدات على الأندلس، كالعجفاء، إلا أنها جميلة الوجه، ظريفة الحديث، رقيقة، ذكية، حافظة للشعر والأدب، تقرض الشعر وتقوله على سجيتها.

وكانت من أهل الفصاحة والبيان، والمعرفة بصَوْغ الألحان، وهي جارية إبراهيم اللخمي صاحب إشبيلية، جُلبتْ إليه من بغداد، وجمعتْ أدباً وظَرْفاً، ورواية وحفظاً، مع فهم بارع، وجمال رائع، وكانت تقول الشعر بفضل أدبها، ولها في مولاها تمدحه:[1]

ما في المغارب من كريم يُرتَجى إلا حَلِيف الـــــــودِ إبراهيم

إنِّي حللتُ لديه منزلَ نعـــمةٍ كلُّ المنازل ما عداه ذميم

يرى الباحث أن هذين البيتين للشاعرة الجارية قمر؛ قد جريا على نهج المدح القديم، ولا غرابة في ذلك لكونها وافدة من الشرق؛ لأنها مدحت بهما مولاها وسيدها، غير أنهما وصفتا الممدوح بالكرم، والجود، ومنزل النعمة، وربما قالتهما لحسن معاملة وجدتها من سيدها، فلم تأت بالجديد في هذا الغرض، ولكنها تعد مساهمة لها في زيادة إنتاج شعر المديح عند الشواعر الأندلسيات الشعر الأندلسي ككل.

1 - ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، ص 245 وما بعدها / ونفح الطيب ج3 ص141

وأنشد لها السالمي لما ذكرها عدّة أشعار، منها قولها تتشوّق إلى بغداد:[1]

الكامل

آهاً عَلى بَغدادِها وعِـــــــاقِهَا وظِبَائِها والســـــــحر في أحداقِها
ومجالها عندَ الفراتِ بأوجــه تبدو أهلّتُها علـــى أطواقِها
متُبخترات في النعيم كأنّـــــما خُلق الهوى العُذْريِّ من أخـــــلاقِها
نفسي الفداء لها فأيُّ محاســـــن في الدهر تُشرق من سنا إشـــــراقِها

على الرغم من إقامتها في إشبيلية وفي قصورها، وبهجة الحياة ومسرتها هناك، ولذة العيش والنعيم، إلا أن الشاعرة قمر تتذكر فترة طفولتها وصباها في بغداد، وتحن إليها، لتخبر في إحساس تتدفق عواطف إنسانية عميقة، نبيلة، من حق كل إنسان أن يعبر بها، وقد عبر الشعراء عن ذلك بكل صدق وشفافية عبر كل العصور وإن اختلفت أُطره وقوالبه.

وبأبياتها هذه تتشوق إلى بلدها بغداد والفرات، فهي تبكي الوطن وتتحسر لوعة على فراق الموطن، وتفيض هذه الأبيات ألماً على فراق الأحبة والرفاق، وربما أثارها منظر الصبايا بأنهار الأندلس، فتذكرت صويحباتها بنهر الفرات في تبختر ودعة، وعلى الرغم من مسح سيدها لآلامها، فحنين الوطن والإحساس بالغربة ظلت في دواخلها، فتدفقت آهاتها بألم الغربة والوحدة، وعدم الإحساس بالاستقرار والأمن، والاغتراب يولد مرارة لا يحسها إلا المغتربون.

قال عبد الله محمد الزيات في كتابه" رثاء المدن في الشعر الأندلسي": " إن ارتباط الإنسان بوطنه ظاهرة إنسانية قديمة، كان لها صداها في الشعر العربي القديم، حيث كانت المقدمة الطللية مظهراً من مظاهر حب الشاعر الجاهلي لوطنه، فالحنين إلى الوطن والأهل والأحباب دليل على رقة القلب وكرم الأصل وتمام العقل."[2].

- المقري التلمساني، نفح الطيب ج3 ص 141 / والتكملة لكتاب الصلة، ص 246 1
- الزيات، عبد الله محمد، رثاء المدن في الشعر الأندلسي، ط1990،1، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا ص 405 2

فكل إنسان يحس بألم الغربة، إلا أن الشعراء بطبيعتهم العاطفية أكثر إحساساً من غيرهم من عوام المجتمع، لذلك يترجمون آلام الاغتراب شعراً يتدفق ألماً ولوعةً لفراق الأوطان والأحباب.

وهذه التجربة الشعرية في الغربة والحنين إلى الوطن عند الشواعر الأندلسيات، لها مصداقية وعمق خاص، إذ إن الاغتراب مفروض عليها، إما بزواجها من رجل يلزمها الترحال إلى بلد آخر، أو ببيعها كما هي حالة الشاعرة الجارية قمر البغدادية، وطبيعة المرأة الحساسة تجعل عندها الحنين إلى الوطن في صورة أكثر لوعة وحسرة من الرجل.

شأن الشواعر الأندلسيات في بداية الدولة الأندلسية كشأن كل العرب في الأندلس؛ شوقاً وحنيناً إلى المشرق، ثم تحولت بعد أن طاب بهن المقام، وسُحرن بجمال الطبيعة وخصوبة الأرض، فرغبن البقاء في الأندلس وفضلنها على المشرق، وأصبحن يتغنين بجمالها الأخاذ.

وقد ذكر أبو عامر السالمي في كتابه "درر القلائد وغرر الفوائد": " أن الأمير الرئيس الهمام، الجواد الحسيب، أبا إسحق إبراهيم بن حجاج سمع بجارية بغدادية اسمها قمر؛ فوجه بأموال عظيمة إلى المشرق في ابتياع هذه الجارية، إلى أن استقرت بدار مملكته بإشبيلية وكانت كالبدر المنير، ذات بيان وفصاحة ومعرفة بالألحان والغناء، فوجدها قمراً عند اسمها، كان لها شعراً يستحلى و يستحسن." فمن قولها ترد على من عاذلوها[1] "البسيط"

قالوا أتتْ قمرٌ في زيِّ أطمارِ من بعد ما هتكتْ قلباً بأشفارِ
تُمسي على وَحَلٍ تغدو على سُبُلٍ تشقُ أمصارَ أرضٍ بعد أمصارِ
لا حرةٌ هي من أحرار موضعها ولا لها غير ترسيلٍ وأشعارِ
لا يعْقِلون لَمَا عابوا غريبتَهم لله من أمةٍ تُزري بأحرارِ
ما لابن آدم فخرٌ غير هِمْتِهِ بعد الديانة والإخلاص للباري
دَعْنِي من الجهل لا أرضى بصاحبه لا يخْلُصُ الجهلُ من سبٍ ومن عارِ

1- ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تح، بشار عواد معروف، ومحمود بشار عواد، ط1، 2013م، دار الغرب الإسلامي، تونس، تونس، ج2، ص 147- 148

لو لم تكن جنةٌ إلا لجـــــاهلةٍ رضيتُ من حكم رب النـــــــاس بالنارِ

هذه أبيات يمكن تصنيفها في غرض شعر المواعظ والحكمـــة، فتُظهـــر الشـــاعرة المغنية قمر، براعتها، وصفاء بيانها في إظهار الوضع الاجتماعي الطبقي بين الجـــواري والأحرار.

فهي تستخدم أسلوب مخاطبة مجهولة، فلا تعيّن من تخاطبها بقدرما توجههـــا إلـــى الأحرار عامة، فتتغنى بما وهبها الله من جمال وصناعة الشـــعر وعذوبـــة اللحـــن، مـــع اعترافها بأنها جارية ليس إلا!، ومن يعيب الناس فهو غير عاقل، ولا فخـــر للإنســـان إلا بتقوى الله وحسن إيمانه، متخذة معرفتها الدينية في معاني شـــعرها، وهـــي تـــذم الجهـــل والجهال الذين لا يعرفون إلا السخرية وسب الناس وتعييرهم، كما أنهـــا تكـــره الجهـــال لدرجة أنهم لو كانوا في الجنة لاختارت النار، فيا لها من كره لمكروه!.

في هذه القطعة حكاية عن الاعتزاز بالنفس والتغني بنعم الله التي وهبها لها، وهناك إشارة إلى الطبقية الاجتماعية السائدة من موالٍ وعبيدٍ وأحرارٍ وجوارٍ وعوام الناس، وفي هذه القطعة أيضاً معاني لآيات كريمة وأحاديث شريفة وأقوال الحكماء، منها قوله تعـــالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْـــرًا مِنْهُنَّ...).[1]

الدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي، عبر الفن، وهذه القطعة تعد مساهمة ناجعة فـــي الشـــعر الأندلسي والعربي حتى، فقريحة الشاعرة قمر قد جادت بغرض له تأثيره في وقتها، ودليل فـــي المستقبل للمجتمعات التي من بعدها.

3-3 شواعر عهد الخلافة الأُموية بالأندلس، (316 إلى 422ه- 928 إلى 1031م):

تعد عهد الخلافة من الناحية الأدبية امتداداً لعهد الإمارة بالأندلس، حيث لا توجـــد سمات كثيرة تفرّق وتميّز شعر الشواعر في عهد الخلافة عن عهد الإمارة بالأندلس، ولكن ما يلاحظ أن هناك بعض الملامح التي تجعل الشعر يقترب من السمات الأندلسية الحياتية،

- الحجرات من الآية 111

الاجتماعية، والفكرية، والأدبية، وبخاصة الجنس الشعري من الأدب، وقد ابتعد الشعر بشيء يسير من الملامح التقليدية المشرقية القديمة نحو البيئة الأندلسية.

وقد أشار في الفصل الأول من هذا البحث إلى أن الاستقرار السياسي، والتطور الاقتصادي، وقبول العناصر المكونة للبيئة الاجتماعية لبعضها بعضاً، وشغف الحكام والخلفاء للأدب وتشجيعه، كل هذه العوامل مجتمعة قد أدت إلى جو من النضج العلمي والثقافي في عهد الخلافة الأموية بالأندلس، ودليل نُضج الأدب في عهد الخلافة: أنّ الخليفة عبد الرحمن الناصر قد استقدم من المشرق أبا علي القالي لينشر ضروب ثقافته وعلومه العربية المشرقية بالأندلس، وكذلك ابنه الحكم الثاني كانت له مكتبة تضم أكثر من أربعمائة ألف مجلد، وغير ذلك من شواهد النضج الثقافي لهذا العهد في الأندلس.

سيحاول الباحث في هذه الفقرة استعراض أسماء شواعر عهد الخلافة الأموية بالأندلس، اللائي أنتجن شعراً موافقاً لما أفرزته الحياة الجديدة، أنتجن شعراً ذا اتجاهات جديدة، مع المحافظة على الاتجاه القديم المحافظ.

الشاعرة: الغسانية البجانية1:

هكذا ورد اسمها في المصادر، وهي من بُجَانَة قرب المرية، ولم يصل من شعرها إلا القليل، والذي وصل من شعرها؛ فيه غزل وشكوى ومديح.

وقد نُسبتْ إلى بجانة، وبجانة هي كورة عظيمة، وتشتهر بإقليم المرية، وهي من أهل المائة الخامسة، أديبة شاعرة ، جزلة مشهورة، كانت تمدح الملوك، فمن نظمها قطعة مدحت بها الأمير خيران العامري قالت:[2] "الطويل"

أتجزع أنْ قالوا سترحلُ أظْعَانُ وكيف تُطيقُ الصبر ويحك إذ بانو
فما بعدُ إلا الموتُ عند رحيلهم وإلا فصبرٌ مثل صبر وأحزانُ
عهدْتُهُمُ والعيشُ في ظل وَصْلِهم أنيقٌ وروضُ الوصلِ أخْضَرُ فيْنَانُ
فيا ليت شعري والفراقُ يكونُ هل يكونون من بعد الفراق كما كانوا

- بجانة: كورة عظيمة بالأندلس وتشتهر بإقليم " المرية" 1

2- الحميدي، أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله ، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تح، بشار معروف عواد ومحمد بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، تونس، تونس، 2008م،ص 601 / وانظر نفح الطيب ج4 ص 171 / والمغرب في حلى المغرب ج2 ص 192 / وأعلام النساء ج4 ص 10

لياليَ سعدٍ لا يُخافُ على الـــــــهوى عتابٌ ولا يُخْشَى على الوصل هجرانُ

ويسطو بنا لهوٌ فنعتنقُ المنـــــــى كما أُعتنقتْ في سطـــــــــوة الريح أفنان

بالنظر لأبيات الشاعرة الغسانية البجانية نلاحظ غلبة طابع الغزل، وكأن الأبيات لم تكن مدحية، وذلك لانتهاجها النهج التقليدي حيث النسيب، والظعن والترحال، وبـــث ألـــم الفراق في مطالع القصائد، مع ذلك فيعد مظهراً فنياً جيداً يعكس للقارئ شاعرية الغسانية وتؤكدها، على الرغم من عدم وصول أبيات أو قصائد أخرى للشاعرة في المصادر التـــي اهتمت برواية الشعر الأندلسي.

وفي هذا أشار أميلو غاريسا بقوله: (وبحسبي أن أُذكِّر القاريء بما قاله القدماء فـــي حكمتهم: لعّل بضعة أبيات من الشعر أدل على روح قـــوم مـــن صـــفحات طـــوال مـــن التاريخ).[1]

عارض الشاعرة الغسانية بأبياتها هذه قصيدة أبي أحمد عمر بن دراج قال:[2] "الطويل"

لك الخير قد أوفى بعهدك خيـــــــرانُ وبُشراك قد آلك عزٌ وسلـــــطانُ

الشاعرة: عائشة بنت أحمد بن محمد بن قادم القرطبية:

هي حرة من حرائر الأندلس، وهي مـــن الأُســـر العربيـــة الكبيـــرة فـــي قرطبـــة؛ خلال النصف الثاني من القرن الرابع، وقـــد رفضـــت بعنـــف كـــل مـــن تقـــدم لطلـــب يدها، وماتت عذراء لم تتزوج، وقد كانت وفاتها سنة 400هـــ.[3]

قال ابن حيان في المقتبس: "لم يكن في زمانها مـــن حرائـــر الأنـــدلس مـــن يَعـــدُلُها علماً وفهماً وأدباً وشعراً وفصاحةً، وعفة وحصافة"[4].

كانـــت الشـــاعرة عائشـــة القرطبيـــة، صـــاحبة علـــم وفصـــاحة وعفـــة، وأديبـــة، وحصيفة، حسنة الخط، ترتجل الشعر وتكتبه وتمدح الأمراء والخلفاء.

3- غَرْسِيَة، إميليو، الشعر الأندلسي؛ بح في تطوره وموضوعاته، تر عن الإسبانية، حسين مؤنس، النهضة المصرية، القاهرة، ط2، مصر،1856م، ص122

- الحميدي جذوة المقتبس، ص 601 2

- جمعة، محطات أندلسية، ص 94 3

4- ابن بشكوال، أبو القاسم ، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، تح، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، تونس، تونس،2010م، ج2 ص 343 / وانظر المقتبس ص، 602

وكانت تمدح ملوك الأندلس وتخاطبهم فيما يعرض لها من حاجات، فتبلغ ببيانها حيث لا يبلغه كثير من أُدباء وقتها، ولا تُرد شفاعتُها، وكانت حسنة الخط، تكتب المصاحف والدفاتر، وتجمع الكتب، وتُعنى بالعلم، ولها خزانة علم كبيرة حسنة، ولها غِنى وثروة تعينها على المروءة، ومحاسنها كثيرة، وماتت عذراء لم تُنكحْ سنة أربعمائة."[1]

وقال ابن سعيد: إنها من عجائب زمانها، وغرائب أوانها، وأبو عبد الله الطبيب عمّها، ولو قيل: "إنها أشعر منه" لجاز، ودخلت على المظفّر بن المنصور بن أبي عامر وبين يديه ولده، فارتجلت:[2]

أراك اللهُ فيه ما تريدُ ولا بَرِحَتْ معاليه تزيدُ
فقد دلتْ مخايلُهُ على ما تِمّله وطالِعَهُ السعيدُ
تشوّقتِ الجيادُ لهُ وهُزّ الـ ـحسامُ هوىً وأشرَقتِ البنودُ
فسوفَ تراهُ بدراً في سماء من العَلْيَا ضراغِمَةٌ أُسودُ
فأنتم آلَ عامرَ خيرُ آلٍ زكا الأبناءُ منكم والجدودُ
وليدَكُمُ لدى رأيٍ كشيخٍ وشيخَكُمُ لدى حربٍ وليدُ

إنها تدعو له بتحقيق آماله فيه، وأن يزيده الله علواً ورفعة، وإنّ ما يبدو عليه ليوحي بذلك، وكذلك طالعه، إن الخيل وميادين القتال في انتظاره، والسيوف تهتز هوىً إلى قبضته، والأعلام ترفرف حنيناً وشوقاً إلى الفارس المنتظر يحمل الراية الظافرة، إنها تبشر الخليفة بمستقبل مشرق لابنه، فهو البدر الطالع ومن حوله النجوم جنوده، ومن ينتمي إلى العلياء يكون كآبائه، فهذا الشبل من ذاك الأسد، ولقد زكا الأبناء ونمواً من آل عامر ذرية طاهرة بعضها من بعض والوليد له رأي الشيخ، والشيخ يتمتع بحيوية الوليد وقوته في الحرب.

كذلك الملاحظ في الشاعرة القدرة الإبداعية العالية، وتتجلى هذه المقدرة الإبداعية في العرض الفني المرتجل في الحين، وامتزاج المدح بالتهنئة، وعدم

- الصلة ، ج2 ص343 / والمقتبس / ونفح الطيب ج4 ص 290 / ونزهة الجلساء ص 61 1
- نفح الطيب ج4 ص290 / ونزهة الجلساء ص 61- 62 2

الوقوف عند الممدوح وتجاوزه إلى إسرته، وكذلك مزج غرض المديح بالدعاء، فقد استطاعت أن تضيف إلى الغرض القديم لونية جديدة بالذي تقدم ذكرها، ومع ذلك فإنها قد اعتمدت على ما اعتاده الأقدمون من الرموز من مثل: (الجياد، والحسام، والبدر، والسماء، والضراغم، والأسود، والحرب، وسداد الرأي.)، وكل هذا لترمي بها إلى تشكيل المعاني المعهودة من نحو: (الشجاعة، والكرم، وعلو المكانة، والحكمة، والسلطان.)

وقد رُويَت لها شعراً إلى بعض الرؤساء قالت في أوله:[1]

لولا الدموع لما خشيتُ عذُولا فهي التي جعلت إليك سبيلا

وربما كانت الشاعرة عائشة من العازفات عن الزواج فطلب خِطبَتِها بعض الشعراء ممن لم ترضه فهجته بأبيات منها:[2] الكامل

أنا لبوةٌ لكنّني لا أرتَضي نفسي مُناخاً طولَ دهري من أحدْ[3]

ولو أنّني اختارُ ذلك لم أُجب كلباً وكم غَلّقْتُ سمعي عن أسدْ

قالت: إنها لا ترضى أن تكون مستذلة مستنيخة لأحد رغم أنّ أنوثتها وطبيعتها الأنثوية تستوجب ذلك، وتقول: حتى يوم أن ترضى بذلك فلن تجيب كلباً، كنَّت بها (أراذل الرجال) وكيف وهي التي كم رفضت الأسود (شجعان الرجال)؟!

يظهر في بيتيها أيضاً هجاءً يتضمن النفور والمفاخرة بالنفس، وهذا مفاده أن الهجاء لم يكن من الأغراض النسائية على الرغم من سهولته لكونه حرب كلامية، فعادة المرأة إذا هجتْ فتعد هجاءها دفاعاً عن نفسها أو رداً لمن بدأ بالهجاء فحسب.

الشاعرة: مريم بنت أبي يعقوب الفصولي الشلبي الأنصاري:

---

1 - ابن بشكوال، الصلة ج2 ص 343

2 - النفح ج4 ص 290 / ونزهة الجلساء ص 62

3 - في النزهة وردت كلمة { برقي بدلا عن نفسي }

ولدت في مدينة "شلب"، وأصلها منها. إنها أديبة شاعرة جزلة مشهورة، سكنت إشبيلية واشتهرت بها بعد الأربعمائه، وكانت تعلِّم النساء الأدب، وتحتشم لدينها وفضلها، وعُمرت عمراً طويلاً .[1]

وهي من أستاذات هذا العهد في الشعر، وكانت تغدو على بيوت أشبيلية فتعلم نساءها الشعر والأدب ولها بينهن منزلة محمودة لسمو أدبها، وفرط حشمتها، وكان عظماء البلد يجلونها ويدنونها لعراقة أثرها، ونبالة خلقها، وحسن بديهتها، وكان نساء"غرناطة" أعرف بالشعر ومعانيه وصوغه وصقله من غيرهن، وقد ذكر المقري التلمساني: أنهن كن يُدْعيْن العربيات لسيرهن على سنن العرب في صفاء الشعر، وفصاحة المعاني فبدلاً من أن يقال: هذه غرناطية، كان يقال: هذه عربية![2]، وذكرها الحميدي في الجذوة وأنشد لها جوابها لما بعث الأمير الأموي ابن المهند عبيد الله بن محمد المهدي إليها بدنانير، وكتب إليها:[3]

ما لي بشكرِ الذي أوليتِ من قِبَلٍ لو أنني حزتُ نُطْق الإنس والخَبَلْ

يا فذَّةَ الظُّرفِ في هذا الزمانِ ويا وحيدةَ العصرِ في الإخلاصِ و العملِ

أشبهتِ مريمَ العذراء في وَرَعٍ وفُقتِ خنساءَ في الأشعارِ والمثلِ

نعم إنها إمرأة فاضلة في الدين والأدب، تُظهر هذه الأبيات عفة الشاعرة مريم حينما شبهها المهدي بمريم العذراء، وفي أدبها شبهها بالشاعرة "خنساء"، وإنها كانت مخلصة، ومجمل هذه الأبيات هي شهادة للشاعرة مريم، ودليل كاف على مدى تقديرها عند الخاصة قبل العامة.

وقد جاء نص الجواب منها:[4]

من ذا يجاريكَ في قولٍ وفي عملِ وقدْ بَدَرْتَ إلى فضلٍ ولم تُسَلِ

1- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تح، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري واللبناني، ط1، القاهرة، مصر، بيروت، لبنان،1989م، ج1، ص 729 / نفح الطيب، ج4 ص291 / والصلة لابن بشكوال ج2 ص 345 / و علام النساء ج5 ص47 / ونزهة الجلساء للسيوطي ص 78 / والجذوة ص 60

- السيوطي، نزهة الجلساء، ص 78 2

- المقري التلمساني، نفح الطيب ج4 ص 291 والصلة ، ج2 ص345ومابعدها / الحميدي، جذوة المقتبس ص 600 3

- نفح الطيب ج4 ص 291 / ونزهة الجلساء للسيوطي ص 79 / وأعلام النساء ج5 ص48 / والجذوة للحميدي ص 600 4

ما لي بشكرِ الذي نَظّمْتَ في عنقي منَ اللآلي وما أوليـــتَ مِنْ قِبَلِ
حلّيتني بحُلىً أصبـــحتُ زاهيةً بها على كلِّ أنثىً من حـــُلى عطلِ
للهِ أخلاقُكَ الغرُّ التـــــي سُقيَتْ ماءَ الفُراتِ فرقّتْ رقّـــةَ الغزلِ
أشبهتَ مروانَ مَنْ غـــارت بدائعه وأنجدتْ وغدتْ من أحســن المثلِ
منْ كان والده العضـــــــبُ[1] المهنّد لم يَلِدْ من النسلِ غيرَ البِيـــــْضِ والأسَلِ[2]

في هذه الأبيات تتجلى مدى شاعرية الشاعرة "مريم"، ومقدرتها الفنية في المساجلات الشعرية، فتراها ترد على رقعة "المهدي" بأبيات على نفس البحر بل والروى، ولا تظهر في مدحها التكسب، فقد أكرمها الممدوح دون أن تسأله "**وقد بدرت إلى فضل ولم تسل**" –وهذا دليل على مكانتها عند الأمراء والخلفاء قبل الرعية–، وإنما تعترف بحسن صنيع الممدوح لها وتشكر له، وهذا سمة توافق الطبائع النسائية.

وبذا تكون قد نحتْ منحاً بعيداً عن سالفاتها، وقد أضافت ما هو جديد في صفات الممدوحين، فأظهرت شهامة الممدوح، ورقة تعامله، وكرمه، وطيب أرومته وأصله، وبلاغته، كما أنها لم تنس الشرق أصل العروبة حينما أشارت إلى الفرات رغم كثرة الأنهار وجمال الطبيعة في الأندلس.!

على الرغم من أن أبيات الخليفة عبيد الله المهدي(**مالي بشكر**)، والشاعرة مريم بنت أحمد، عبارة عن تحويل الشعر إلى حوار _محاورة شعرية_، إلا أن هناك أمر مهم تؤكده هذه الأبيات، وهو وجود مراسلات بين الشواعر والخلفاء، وأخرى بين الشواعر والأدباء والشعراء، وهذا أيضاً دليل على مقدرة الشواعر الأندلسيات في المساهمة في النهضة الشعرية بالأندلس.

ومن شعرها وقد كبرت وبلغت السبعين من عمرها، وأخذت تستعين بالعصا في مشيها بعد أن وهن العظم منها قالت:[3] الطويل

وما يُرتجى من بنتِ سبعينَ حـــجَّةً وسبعٍ كنسجِ العنكبـوتِ المُهلْهَلِ
تدبُّ دبيب الطفلِ تسعى إلى العصا وتمشي بها مِشْيَ الأسيرِ المُكبّلِ

- العضب: عَضُبُ السيف عَضُبُ عُضُوباً صار قاطعا 1
- الأسلُ: الرماح والنَبْل وكل ما رُقّق وحُدَّ من الحديد من سيف أو سكين أو سِنان 2
3- الحميدي، جذوة المقتبس ص 600 / بشكوال، الصلة ص 995 / و أعلام النساء ج5 ص48 ونفح الطيب ج4 ص 291 / ونزهة الجلساء ص81

هذه تجربة جديدة في الشعر الأندلسي عالجتها الشاعرة، وهي آلام الشيخوخة التي عاشتها الشاعرة وهذا دليل على تقدمها في العمر، مستخدمة ما لها من ثقافة دينية، حيث تناصت معنى قوله تبارك وتعالى: (...وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)[1]، واصفة كيفية سيرها مشبهة حالتها بالطفل لضعف قوتها، وكذاك مقارنة نفسها بحال الأسير المقيد بالأغلال، وفي قولها دليل يأسها من الحياة وكثرة همومها.

يُلاحظ أن الشاعرات الأندلسيات قد حاولن التجديد الموضوعي أو تناول بعض التجارب التي لم تطرق من قبل، وتعد معالجة الشاعرة لهذه المرحلة العمرية أوضح مثل لذلك ، وهو موضوع مشابه لحالة أبي المخشي حينما عالج تجربة فقدان البصر التي عاشها في نفسه قال:[2]

خضعت أم بناتي للعدا إذا قضى الله أمراً فمضى

ورأتْ أعمى ضريراً إنما مشيه في الأرض لمسا بالعصى

الشاعرة القينة: أنس القلوب:

كانت القصور الأندلسية آية من آيات الجمال والبذخ والإسراف، وقد حفلت تلك القصور وبخاصة قصور الملوك والأمراء والخلفاء الأندلسيين، بأجناس الجواري والقيان، وقد كثرن كثرة مفرطة، وأخذن مساحة كبيرة من حياة أصحاب القصور، وذلك بما يقمن ويقدمنه من ترفيه بالغناء والشعر وأنواع المتع المستخدمة عند الأندلسيين وقتها.

وقد بلغ اهتمام الملوك بالجواري مبلغاً بعيداً، فابتُني لهن دورٌ خاصة بهن بالقرب من قصور الخلفاء والأمراء، مما يدلل على قضاء أغلب الأوقات معهن.

قال المقري التلمساني: "ومن الملفت للنظر أن عبد الرحمن الأوسط قد أفرد للجواري بناء وداراً كانت ملحقة بقصره سميت بدار المدنيات".[3] نسبة إلى الجواري اللائي كن يأتين من المدينة.

- العنكبوت من الآية 41 1

1- ابن القوطية ج2 ص 57 / فرُّوخ ، عمر، تاريخ الأدب العربي؛ الأدب في المغرب والأندلس، دار العلم للملايين، ط2، بيروت، لبنان،1984م، ج4،ص88

- نفح الطيب ج4 ص 137 3

كانت أنس القلوب تملأ أنحاء منية السرور بقصر الزاهرة التي بناها المنصور بن أبي عامر غناءً وأنساً وسروراً وتشغل حيزاً كبيراً من نفس مليكها المنصور، وكانت ذات جمال باهر ولها نظرات وسنى تسر القلوب قال فيها الوزير أبو المغيرة بن حزم:[1]

ظعنتْ وفي أحداجها من شكلها عينٌ فضحنَ بحُسنهن العِيْنَا

وقال أيضاً في عيني فاتنة الفواتن أنسُ القلوب:[2]

لقد مزقتْ قلبي سهامُ جُفُونها كما مزق اللخمي مذهب مالك

وكتب المَقَرِّي التلمساني حكاية عن القينة الشاعرة أنس القلوب ومليكها المنصور والوزير الكاتب أبي المغيرة بن حزم قال: "قال الوزير أبو المغيرة بن حزم: نادمتُ يوماً المنصور بن أبي عامر في منية السرور بالزاهرة ذات الحسن النضير، وهي جامعة بين روضة وغدير، فلما تضمخ النهار بزعفران العشي، ورفرف غراب الليل الدجوجي، وأسبل الليل جنحه، وتقلد السماك رمحه، وهم النسر بالطيران، وعام في الأفق زورق الزبرقان، وأوقدنا مصابيح الراح، واشتملنا ملاءَ الارتياح، وللدجن فوقنا رواق مضروب، فغنتنا عند ذلك جارية تسمى أنس القلوب قالت:"[3]

قَدَمَ الليلَ عند سيرِ النّهارِ وبَدَا البدرُ مثلَ نصفِ السِّوارِ
فكأنَّ النَّهار صفحةُ خدٍّ وكأنَّ الظلامَ خطُّ عَذَارِ
وكأنَّ الكُؤسَ جامدُ ماءٍ وكأنّ المُدَامَ ذائبُ نارِ
نَظَري قد جَنَى عليّ ذُنوباً كيف مما جنتهُ عيني اعتذاري
يا لقومي تعجبوا من غزالٍ جائرٌ في محبتي وهو جاري
ليت لو كان لي إليه سبيلٌ فأُقَضِّي من الهوى أوطاري

تفاعل الوزير أبو المغيرة مع اللحن العذب للشاعرة أنس القلوب، وأجابها على نفس الوزن والروي، قال: فلما أكملتْ الغناء، أحسستُ المعنى فقلتُ:[4]

كيف كيف الوصول للأقمارِ بين سُمر القنا وبيضُ الشِّفار

---

1 -المصدر السابق ج4ص 137
2 -المصدر نفسه
3 - نفسة،ج ص 147 وما بعدها / و أعلام النساء ج1 ص 97 وما بعدها
4 - فروخ، تاريخ الأدب العربي، ج4 ص 489 / والنفح ج4 ص 147

لو علمنا بأن حـــــبّكَ حقٌ لطلبنا الحياة منـــــك بثأر

وإذا ما الكرام هموا بشيء خاطروا بالنفوس في الأخطار

دارت هــذه المطارحـــة الشــعرية البارعـــة بـــين الجاريـــة الشـــاعرة أنـــسُ القلـــوب، والوزير الشاعر أبو المغيرة بن حـــزم، أمـــام مالـــك الجاريـــة الحاجـــب المنصـــور، فظـــن الحاجب أن جاريته ووزيره عاشقان يتبـــادلان المطارحـــات الشـــعرية بحضـــرته، فاستشـــاط غضباً، وهو كذلك كان ممن يعرفون الشـــعر ويـــدركون معانيـــه، فقـــال لأنـــس القلـــوب: " قولي واصدقي القول إلى من تشيرين، بهذا الشوق والحنين؟!

فقالت الجارية الشاعرة أنس القلـــوب: " إن كـــان الكـــذب أنجـــى، فالصـــدق أحـــرى وأولى، والله ما كانت إلا نظرة، ولدت في القلب فكرة، فـــتكلم الحـــب علـــى لســـاني، وبَـــرَّح الشوقُ بكتماني، والعفو مضمون لديك عند المقدرة، والصـــفح معلـــوم منـــك عنـــد المعـــذرة، ثم بكت، فكأن دمعها درٌ تناثر من عقد، أو طل تساقط من ورد وأنشدت:[1]

أذنبتُ ذنباً عظيـــــماً فكيف منه اعتذاري

واللهُ قّـــــــدر هذا ولم يكنْ باخـــــــتياري

والعفو أحسنُ شـــــــيءٍ يكونُ عـــــــــد اقتدارِ

بهذه الخاطرة الشعرية المرتجلة في الأوان من الشاعرة أنـــس القلـــوب، ومـــا حملتهـــا أبياتها من معان اعتذارية، شفعت لها عنـــد ســـيدها، بـــل ووهبهـــا إلـــى مـــن تحبـــه وهـــو الوزير أبا المغيرة بن حزم.

ولم تنقل المصادر عن رحلة حياة الشاعرة القانية فاتنـــة الفـــواتن أنـــس القلـــوب إلـــى الدار الآخرة، ولكن ربما تكون في النصف الثاني مـــن القـــرن الرابـــع، فهـــي كانـــت فـــي قصر المنصور، وأن وفاة المنصـــور كمـــا أثبتتهـــا المصـــادر كانـــت فـــي 392هـــــــ، ولهذا أدرجها الباحث في عهد الخلافة.

- أعلام النساء ج1 ص 98 / فروخ، تاريخ الأدب العربي، ج4 ص 489 1

المبحث الثاني:

الشواعر الأندلسيات في عهد ملوك الطوائف، (400إلى536هـ، 1012إلى1141م):

مع إطلالة القرن الخامس الهجري، بدأت الخلافة الأموية تلفظ أنفاسها الأخيرة، بعد فترات قوية وبخاصة في الجوانب الفكرية والأدبية أيام عبد الرحمن الناصر، والحاجب المنصور.

وكما عُلمت في الفصل الأول من البحث _الحياة السياسية- أن من أسباب ضعف الخلافة الأموية في الأندلس واضمحلال هيبتها، ذلك التفكك والتشرذم السياسي الذي شهدته البلاد خلال القرن الخامس الهجري، أدى إلى سقوط الخلافة في بعض الإمارات ، كان الحال في انفصال إمارة بلنسية عن السلطة المركزية في قرطبة سنة (400هـ)، وتلتها المرية عام 405هـ، ثم بقية الإمارات في الانفصال واحدة تلو الأخرى، حتى سقطت الإمارة المركزية قرطبة نفسها على يد الوزير أبي الحزم بن جهور عام (422هـ)، وتجاوز عدد الإمارات المنفصلة خمس عشرة دويلة، وهذا التفكك أتاح للنصارى الأسبان المتربصين بالعرب والمسلمين إذ كانوا لهم بالمرصاد من قبل وكانوا متهيئين لمثل هذه الفرص، أن يوجهوا ضرباتهم إلى الدويلات المتنافرة المتهلهلة.

رغم التشرذم والتفرق والانفصال الذي شهدته الخلافة الأموية في الأندلس، إلا أن القرن الخامس الهجري قد شهد نهضة واسعة في الحياة الفكرية والأدبية، ويرجع ذلك إلى عوامل عدة منها:

* إن ملوك هذه الدويلات الطائفية قد ملكتهم روح المنافسة والغيرة، فعمد كل منهم إلى تقريب الأدباء والشعراء والإغداق عليهم مع إجزالهم العطايا والأموال.

* استوزار ملوك الطوائف للشعراء والأدباء واتخاذهم من الحاشية المقربة، كالوزير الشاعر ابن زيدون مع بني جهور في قرطبة، وبني العباد في إشبيلية.

* كما أن مجيء عهد ملوك الطوائف بعد فترة طويلة، متمخضة عن تجارب كثيرة في جميع المناحي العامة، والأدب بكل أجناسه تطور بتطور حياة المجتمع، وما إلى ذلك من عوامل.

وبهذه العوامل قد تطور الشعر الأندلسي، وأخذ يتخذ لنفسه سمات خاصة تنتمي إلى البيئة الأندلسية، كما أن أمر الشعر لم يعد مقصوراً على العاصمة المركزية قرطبة، بل عمّ كل المدن الأندلسية، وتنوعت الموضوعات، وكل ذلك في ثوب طابع أندلسي متميز، كما شهدت فيضاً هائلاً من الشواعر، حسبُ الباحث عرض من اتفقت المصادر فيهن، ومن وصل شعرها حتى يمكّن الباحث أن يستشهد به في نهوض الشعر الأندلسي. وقد شهد هذا العهد من فصول الحكم في الأندلس، شواعر من كل الطبقات الاجتماعية، فظهرت الأميرة الشاعرة، والجارية الشاعرة، والشاعرة التي تنتمي إلى عامة المجتمع، وهذا التباين قد يكون له أثره الإيجابي الواضح على حياة شعر الشواعر الأندلسيات.

الشاعرة: ولادة بنت المستكفي بالله:

مما لا شك فيه أن تكون الشاعرة ولادة أولى شواعر عهد ملوك الطوائف، فهي الأميرة الأموية، بل هي من أبرز وجوه الأدب العربي ، بين الشواعر الأندلسيات، فهي الشعر الأندلسي كله، فمتى ما ذُكرت الأندلس زماناً أو مكاناً ذكرت الشاعرة ولادة.

مع بداية القرن الخامس الهجري شهد البيت الأموي الحاكم في قرطبة وِلادَة مولودة جديدة سميت "وَلّادَة".

فهي ولادةُ بنت المستكفي بالله؛ أمير المؤمنين، محمد المستكفي بن عبد الرحمن الناصر بن عبيد الله بن الناصر عبد الرحمن الأوسط بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، من بيت

بني أمية بالأندلس؛ أديبة شاعرة؛ جزلة القول، حسنة الشعر وكانت تمالط[1] الشعراء، وتُساجل الأدباء، وتفوق البُرعاء.[2]

بهذا النسب فهي أميرة، سليلة أسرة حاكمة في المغرب وفي المشرق من قبله، وكل أجدادها خلفاء وأمراء في قرطبة مكان مولدها بالغرب، وفي دمشق بالمشرق.

أبوها محمد المستكفي بالله قد تولى الخلافة في قرطبة وبقي فيها فقط سبعة عشر شهراً، كان عهده شؤماً للناس في قرطبة وعلى الأندلس كلها نظراً لضعف شخصيته، وانهماكه في لذاته.[3]

وكانت قرطبة في زمان الشاعرة ولادة _القرن الخامس الهجري_ كانت زينة الدنيا اتساعاً وترفاً وعمراناً، وقد ربا عدد سكانها على المليون نسمة، ورغم التفكك السياسي فإن قرطبة كانت تشهد ازدهاراً حضارياً وثقافياً وأدبياً لم تعرفه البلاد الأندلسية من قبل.[4]

بهذا التطور في العاصمة قرطبة، والتطور السياسي الذي شهدته الدولة الأندلسية، فإنّ الشاعرة ولادة قد شهدت انهيار دولة بني أمية في قرطبة وقيام دولة بني جهور فيها، واستقلال أكثر المدن الأندلسية عن سيادة قرطبة، وقيام عهد ملوك الطوائف.

وفي نباهتها وفصاحتها قال ابن ضحية عمر بن حسن: " سمعتُ شيخنا أبا عبد الله جعفر بن محمد بن مكي رحمه الله، يصفُ نباهتها وفصاحتها وحرارة نادرتها وجزالة منطقها وقال لي: لم يكن لها تصاونٌ يطابق شرفها، ولم تتزوج قط، وعُمّرت عمراً طويلاً إلى أيام المعتمد.[5]"

- تمالط: مالط الشاعر غيره أي قال بيتا فأتمه غيره/ لسان العرب، مادة ملط 1

2- ابن ضحية، عمر بن حسن، المطرب من أشعار أهل المغرب، تح، إبراهيم الأبياري وآخرون، ص7 وما بعدها / وانظر الصلة ج2 ص 347 / ونزهة الجلساء ص 87 / وأعلام النساء ج5 ص 287

3-الشنتريني، أبو الحسن علي بن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح، سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، لبنان، 2012م، ج1 ص 268 ما بعدها

4- سالم، السيد عبد العزيز، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس؛ دراسة تاريخية، عمرانية أثرية في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة دط، دت، ص 100 وما بعدها

- المطرب من أشعار أهل المغرب ص 7-8 5

قال ذو النسبين: كانت الحسيبة ولادة في زمانها واحدة أوانها، حسن منظر ومخبر، وحلاوة مورد ومصدر. وكان مجلسُها بقرطبة منتدى لأحرار المصر، وفناؤها ملعباً لجياد النظم والنثر، يعشو أهل الأدب إلى ضوء غرتها، ويتهالك أفذاذُ الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها، وإلى سهولة حجابها، وكثرة منتابها، تخلطُ ذلك بعلو نصاب، وسمو أحساب على أنها، سمح الله لي ولها، وتغمد زللي وزللها_ اطّرحت التحصيل، وأوجدت إلى القول فيها سبيل، بقلة مبالاتها، ومجاهرتها للذاتها، كتبت _ زعموا_ على عاتقي ثوبها:[1]

أنا والله أصْلُحُ للمعالي وأمْشِي مِشْيَتِي وأتِيهُ تِيْهَا
أُمْكِنُ عاشقي من صَحْن خدي وأُعْطِي قُبْلَتِي مَنْ يَشْتَهِيها

بهاتين البيتين تؤكد الشاعرة ولادة مدى العزة التي تراها في نفسها، وما بها من علو، وتصرح بالانشكاف وحياة السفور التي تعد جديدة في بيئتها، وربما كانت الأولى في هذا المضمار من نساء بلدها، وفي هذا قال هنري فييريس:[2] "وتعد أول من سن سنة الانكشاف، إذ كان قصرها منتدى خصباً يأوي إليه كل مبدع"

فالشاعرة ولادة تحاول أن تبرز كامل تحررها، متحدية بذلك المجتمع وعاداته، ولعل مثل هذه البوادر هي التي أطمعت المتهافتين فيها[3]، حيث قيل فيها الضدان، فحيناً عفيفة، وأحياناً مستهترة[4]

يلاحظ في بيتي ولادة تناقضاً من حيث الجو العام، إذ إنها تتحدث عن علوها ومكانتها بوصفها "أميرة"، وأنها في تيهها ودلالها وأدبها ومكانتها الاجتماعية، كل هذه يُلمح في البيت الأول، ثم جاء البيت الثاني وعلى وزن وروي البيت الأول وبانسجامه التام، ليتعارض مع معنى البيت الأول، فهي تمكن عاشقها من خدها لثماً، بل ولم يكن لها محبوب وعشيق واحد تنفرد به، بل كل من أعجب بها فهي له عشيقة تبادله ارتشافاً وقبلاً!

---

1 - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج1 ص 268 / والمطرب من أشعار أهل المغرب ص8
2 - هنري فييري، الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، ص 349
3 - ديوان ابن زيدون، ص 31
4 - الذخير في محاسن أهل الجزيرة، ج1 ص288

يرى الباحث ومن باب ضياع وعدم وصول شعرها إلا القليل، أن يكون البيت قد جاء يتيماً، فألحق راوٍ بيتاً ببيتها اليتيم الذي لا يتفق مع البيت الأول في المعنى، وفيما يتعلق بالغرض الذي ينتمي إليه هذين البيتين، فهو الفخر الملفوف بالغزل.

وقد أثار هذا القول من الضجيج حولها، فوصفت الشاعرة ولادة بالاستهتار، ووقف منها المؤرخون مواقف متباينة، بين متهم ومدافع، فترى الكاتبة المعاصرة سلمى الحفار الكزبري في كتابها "في ظلال الأندلس" بقولها:[1] "إن هذا السلوك ليس إلا نزوة من نزوات الشباب". أما المستشرق نيكل: فيشبهها بالأديبة الفرنسية جورج صاند صاحبة الصالون الأدبي المشهور.[2]

و كانت واحدة زمانها، المشار إليها في أوانها، حسنة المحاضرة، مشكورة المذاكرة، وكانت مع ذلك مشهورة بالصيانة والعفاف، وفيها خلع ابن زيدون عِذاره، وقال فيها القصائد الطنانة والمقطعات.[3]

كانت ولادة ممشوقة القد، رشيقة سوداء العينين، ذهبية الشعر لها خال أسود في خدها، ويمكن النظر إلى صورة الشاعرة ولادة، في وصف ابن زيدون لصورتها بقوله:[4]

فهمتُ معنى الهوى من وحي طَرْفُكَ لي إن الحِوَارَ لمَفْهُومٌ من الحَوْرِ

مُفَضْضُ الثّغر له نُقْطة من عنبر في خدِّه المُذهب

يا ألين الناسِ أعطافاً وأفْتَنَهُم لحْظَاً وأعطر أنفاساً وأردانا

يا فتيت المسك يا شمس الضحى يا قضيب البانِ يا ريمَ الفلا

وقد هجتْ ابن زيدون بأبيات قذرات، ملقبة إياه بالمسدس، وفيه تقول:[5]

الوافر

---

1 - الكزبري، سلمى الحفار، في ظلال الأندلس؛ محاضرات، دط، دت، الهيئة العامة السورية للكتاب دار البعث، ص35
2 - جمعة، محطات أندلسية، ص 113
3 - الذخيرة ج1 ص 270 / و أعلام النساء ج5 ص 289 / و النفح ج4 ص205 / ونزهة الجلساء ص 87 - 88
4 - ديوان ابن زيدون، ص 106 ، 51 ، 313 ، 228
5 - نزهة الجلساء ص 88 والنفح ج4 ص205

ولُقبتَ المسَدّسَ وهو نعتٌ تُفارقُكَ الحياةُ ولا يُفارقْ
فلوطيٌ ومـــــأبونٌ وزانٍ وديُّوثٌ وقَرْنانٌ وســـارقْ

حول هذين البيتين جاء في نزهة الجلساء:" لم تكن ولادة من بائعات الهــوى، ولا من بنات الليل كما حاولوا أن يصوروها، لكنها في إطار وضعها الاجتماعي، وهذا الملتقى بكل ما يدور فيه من منافسات حارة وعواطف محتدمة وخصومات ومنافسات، كــل هــذا ربما جرّ ولادة إلى مجاراة ضيوفها، والخوض مع الخائضين فتورطــت فــي الحــديث الصريح عن عواطفها_على غير عادة الشواعر العربيات- وبخاصة في المشرق- كمــا تورطت في بعض الشعر الذي يدخل في الأدب المكشوف وكان أغلبه كما يقــول هيكــل: يأتي في مقام الهجاء الذي وجدت نفسها مسوقة إليه، وفي كثير من الأحيــان لا يعــدو أن يكون لعبة أدبية."[1]

لا تحتاج مثل هذه الأبيات إلى شرح، ولعل سهولة معاني الهجــاء والغــرض منــه التعريض بالمهجو حتى يعلمه العامة، وهذه الأبيات تظهر كذلك ما شاع مــن ســلوكيات رديئة في المجتمع الأندلسي، خاصة وأن ظاهرة الغزل بالمذكر كانت فاشية.

وقالتْ في ابن زيدون أيضاً:[2] السريع

إنّ ابن زيدون على فضـــلهِ يَغْتابني ظلماً ولا ذنب لي
يلحظني شزراً[3] إذا جـــئتُه كأنّني جئتُ لأخصي عليه

الكراهية والجفوة التي بدت بين المحبوبين قادتها إلــى هجــاء عشــيقها فحولــت عواطفها إلى كراهة بقدرٍ مكّنتها من هجاء ابن زيدون وبصورة مضحكة، فربمــا كانــت تداعب بصورة خشنة، إذ إن الهجاء كان يدور في بلاط الأمراء مساجلة كما كــان بــين المخزومي والشاعرة نزهون.

وقالتْ فيه أيضاً مداعبة، وكان له غلام اسمه "علي" :[4] السريع

إنّ ابن زيدون على فضــله يعشق قضبان السراويلِ

---

1 - نزهة الجلساء ص 88
2 - نفح الطيب ج4 ص 206 / أعلام النساء ج5 ص289
3 - يلحظ شزر: نظرة إعراض وغضب أو إستهانة
4 - نفح الطيب ج4 ص206 ونزهة الجلساء ص 89

لو أبصرَ الأير على نخلة صارَ من الطيرِ الأبابيلِ

تهجوه وبأداة التوكيد (إنّ) دليل بغضها له، مع أن الطبيعة أيضاً حاضرة، وكذلك أظهرت ثقافتها ومعرفتها الدينية، فتناصت المعنى من القرآن قوله تعالى: (وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ)[1]

وقالت ولادة تهجو الأصبحي:[2] السريع

يا أصبحيُّ أهنأ فكم نِعْمَةٍ جاءتك من ذي العرش ربِّ المِنَنْ

قد نلتَ باسْتِ ابنك ما لمْ ينلْ بفرج بُوْرَانَ أبوها الحسنْ

كذلك لم يسلم (الأصبحي) من لهب نيران الشاعرة ولادة، فهو أيضاً كان من مرتادي صالونها، فجاءت ألفاظ هجائها أكثر بذاءة، وهذا دليل شدة غضب والمرأة عموماً، كما أنها تشير إلى انتشار ظاهرة اللواط في عصرها، فقد كررت الفعلة في هجاء ابن زيدون أيضاً.

وقد أحبتْ ولادة الوزير الشاعر ابن زيدون، وبادلها الحب، إذ كان من مرتادي صالونها الأدبي المشهور، وقد وصفها ابن زيدون قائلاً:[3] "صاغها الله من فضة خالصة، توج رأسها بشعر كالتبر اصفراراً، وهي بعيدة مهوى القرط، ممشوقة القوام، بارزة الصدر، دقيقة الخصر، رقيقة البشرة، فاتنة العينين"، وأعجبت به ولادة كما أعجب بها، وتحولت الإعجاب بسرعة إلى حب، وأخذ هذا الحب شكل الهيام الحار، فراحت تطلب اللقيا، وتهيء لها الوقت والجو.

قال أبو الوليد: "كنتُ في أيام الشباب، وغمرة التصابي، هائماً بغادة تدعى ولادة، فلما قُدر اللقاء، وساعد القضاء، كتبتْ إليّ":[4] الطويل

ترقبْ إذا جنَّ الظلامُ زيارتي فإنِّي رأيتُ الليل أكتمَ للسِرِّ

وبي منك ما لو كان بالبدر ما بدا وبالليل ما أدجى وبالنجمِ لم يَسْرِ

---

1 - الفيل الآية 3

2 - نفح الطيب ج4 ص206 ونزهة الجلساء ص 89

3 - ديوان ابن زيدون ص

4 - الذخيرة ج 1 ص 269 / والمطرب من اشعار أهل المغرب ص 9 / ونفح الطيب ج4 ص206 / ونزهة الجلساء ص 91

من خلال البيتين يعد هذا أول موعد للقاء يجمع بينهما، وبهذا تكون ولادة قد تحدتْ كل الأعراف الاجتماعية في الأندلس -وقد عُرفت بذلك- وأصبحت هي العاشقة لا المعشوقة، حين صرحت بأنها ستزور المحبوب، كما أن الزيارة ليست زيارة أدبية عادية كما عُهدت عندهم، وإنما زيارة عاشقة لمعشوقها، حيث حددت الليل حتى يكون كاتماً لسرها، وقد باحت بما بها من لوعة المحبين، ما يُثقل على الليل والبدر والنجم، وفي هذه القطعة تظهر تسامي النفس وعلو المكانة، فلم تصف ما بها بما في الطبيعة الأرضية فقط وإنما علتْ إلى السماء وبدرها ونجومها!.

ووفَّتْ بما وعدتْ، فكان ما كان!، ولما أرادت الانصراف ودعها ابن زيدون بهذه الأبيات:[1] الرمل

ودَّعَ الصبرَ محبٌ وَدَّعَكْ ذائعٌ مِنْ سِرِّه ما استودعَكْ
يقرعُ السنَّ على أنْ لمْ يكنْ زاد في تلك الخُطى إذ شيَّعكْ
يا أخا البدرِ سناءً وسنا حفظَ اللهُ زماناً أطلعكْ
إنْ يَطُلْ بعدكَ ليْلِي فلكمْ بِتُّ أشْكُو قِصَرَ الليلِ معكْ

صار الحبيبان يقضيان أمتع وأعذب الأوقات أنساً، وقد توالت هذه اللقاءآت السرية بينهما، وفي واحدة من هذه اللقاءآت، بكتْ الشاعرة عند الفراق بأبيات تفيض عذوبة وليونة، تحكي فيها ألم الفراق، وطول ليلتها، وتدعو فيها للمحبوب بالرعاية الإلهية، وتصور فيها مع الابتكار ما يمتلك النفس ساعة الفراق من أسى ولوعة، في طرافة خيالية عالية لتصوير عواطفها.

وقد حدثت قطيعة بسبب الوشاة بين الحبيبين، والشوق قد أضنى الشاعرة ولادة، فبادرت بما بها من طول الفراق ولوعته، فكتبت إلى عشيقها:[2] الطويل

ألا هلْ لنَا من بعدِ هذا التفرقِ سبيلٌ فيشْكُو كلُّ صبٍّ بما لقي
وقدْ كُنْتُ أوقاتَ التزاور في الشِّتا أبيتُ على جمرٍ من الشوقِ محرقِ

---

1 - الذخيرة ج1 ص 269 ونفح الطيب ج4 ص 206 والمطرب من أشعار أهل المغرب ص 9
2 - نفح الطيب ج4 ص 206 / وديوان ابن زيدون ص 206

فكيف وقد أمسيتُ في حالِ قطْيعةٍ لقد عَجّلَ المَقْدُورُ ما كـــــنتُ أتّقي
تمرُّ الليالي لا أرى البينَ ينقضي ولا الصبرَ من رِقّ التشوق مُعتقي
سقى اللهُ أرضاً قدْ غدتْ لكَ منزلاً بكل سَكُوبٍ هاطلِ الوبـــــــل مُغْدِقِ

واضح في هذه القطعة أن نيران الوجد كانت تلهب الحبيبين حتى تحتّم بعض الظروف ابتعاد أحدهما عن الآخر، مما جعل ولادة تكتب إلي ابن زيدون هذه الأبيات التي تتوسل الشاعرة ولادة بها إلى حبيبها بإتاحة فرصة للقائه بعد هذه الفرقة المصطنعة من الوشاة، حتى تحكي ما بها من صبابة، وأصبحت تتذكر أيام الوصل، وأنها كانت تتنبأ بهذه التفرقة وتتوقاها، ولكن المقدر قد جرى، والليالي تمر وصبرها تنفد، ومع ذلك فحبها يزداد بل وتدعو لأرض المحبوب بأن تروى من الودق الهطل.

ولكن ما يلاحظ في هذه القطعة، أن الشاعرة ولادة قد خرجت عن المألوف – معروفة بخروجها عن المألوف – من التقاليد المتبعة في الشعر العربي بين المحبين، فعادة نجد التوسل حين الفراق يكون من المحبوب لا المحبوبة، والتذلل من المحبوبة، ولكن ولادة قد تخطت ذاك المفهوم القديم، وتوسلت لحبيبها كي يتيح لها فرصة اللقاء لتشكو ما بها من شوق وحنين مضنيين.

فأجابها ابن زيدون بقوله:[1]

لحى اللهُ يوماً لسْتُ فيهِ بمـــــــلتقٍ محيّاكِ من أجلِ النوى والتفرقِ
وكيف يطيبُ العيشُ دون مسرةٍ وأيُّ سرورٍ للكئـــــيب المؤرقِ

هكذا جاء رد ابن زيدون، بصورة تنبئ بظهور ظاهرة جديدة في الشعر العربي في الأندلس، بأن يكون الرد من المحبوب المعشوق المتذلل! فهو أيضاً يحكي ما به من لوعة وقساوة البعاد وطول النوى، غير أن عيشه لم يطب ولم يسر لما به من كئابة وأرق وسهاد.

- ديوان ابن زيدون ص 206 / نفح الطيب ج4 ص207 1

وبهذ النهج كانت المساجلات والمراسلات الشعرية بين الشاعرة ولادة والشاعر ابن زيدون عشيقين لا أديبين، وهذا يؤكد الاشتراك الراقي بين الشواعر الأندلسيات في كثير من المساجلات الشعرية.

وكتب أثناء الكلام بعد الشعر: وكنت ربما حتَثْتني على أنْ أُنبهكِ على ما أجد فيه عليك نقداً، وإنّي انتقدتُ عليك قولك:[1]

سقى اللهُ أرضاً قد غدت لك منزلاً

فإنّ ذا الرمة قد انتُقِدَ عليه قوله مع تقديم الدعاء بالسلامة:[2]

ألا يا أسلمي يا دار ميٍّ على البلى ولا زال منهلاً بجرعائك القطرُ

إذ هو أشبه بالدعاء على المحبوب من الدعاء له، وأما المستحسن فقول الآخر:[3]

فسقى ديارك غَيْرَ مُفْسِدها صوبُ الربيع وديمةٌ تهمي.

وكانت لولادة جارية سوداء تسمى "عتبة" حسنة الوجه والصوت، بديعة المعنى، وكان منتداها حافلاً بالموسيقى والغناء، فغنت يوماً وابن زيدون حاضر صوتاً، قالت فيه:[4]

أحبتنا إني بلغت مؤملي وساعدني دهري وواصلني حبي

وجاء يهنئني البشير بوصله فأعطيته نفسي وزدت له قلبي

فاستحسن ابن زيدون غناء "عتبة" جارية ولادة، وطلب من الجارية إعادة الصوت مرة ثانية، مخالفاً بذلك آداب المجالس، ومتجاوزاً بذلك صاحبة القصر والندوة "ولادة"، مما أغضبها وحرك نار غيرتها فغضبت وعنفت "عتبة" وضربتها وغارت من جاريتها، والغيرة صفة متأصلة في المرأة، وغادرت المجلس غاضبة، وظنت أنّ ابن زيدون مال إليها، فكتبت إليه معاتبة:[5] الكامل

لو كنتَ تَنْصِفُ في الهوى ما بيننا لم تهوَ جاريتي ولم تتخيَّرِ

- النفح ج4 ص207 1
- المصدر السابق، ج4 ص207 2
- نفسه ج4 ص207 3
- جمعة، محطات أندلسية، ص 116 4
- الذخيرة ج1 ص 270 / و أعلام النساء ج5 ص 289 / و نفح الطيب ج4 ص205 /ونزهة الجلساء ص 87 – 88 /ومحطات أندلسية ص 116 5

وتركتَ غُصناً مثمراً بجَـــمَاله وجنحتَ للغصنِ الذي لمْ يُثمرِ
ولقدْ علمتَ بأنّني بدر الســـــماء لكن دُهيتُ، لِشقوتي، بالمشتري

أبيات تعكس النفس الإنسانية لولادة، فهي أنثى تحب وتبغض وتغير، وتلوم، كما من حقها أن تُنصف إذا ما ظُلمتْ وفُضلت عليها الحرة ومن تساويها في الشرف والمكانة، فكيف إذا فُضلت عليها جارية قينة اشترتها لخدمة نفسها؟، فهي تتذمر، وتحتج، وتدافع عن كبريائها، ومكانتها، وجمالها، بل عن حبها وحبيبها، ولكن بأسلوب هادئ ومهذب، بين شدة ولين. وأظهرت الشاعرة ولادة في هذه الأبيات ضرب جديد تضيف وتساهم به في النهضة الشعرية الأندلسية وهي:

التغزل بالنفس!، فهي تتناول ذات المقاييس التي أصّلها الشعراء في التغزل بالمرأة من: الغصن المثمر، والثمار اليانع، والبدر، والنجم، وكل هذا في لغة نرجسية عالية، تُعجب بنفسها.

كان أبوها المستكفي بالله بايعه أهل قرطبة لمّا خلعوا المستظهر، كما ذُكر، وكان جاهلاً ساقطاً، وخرجتْ هي –ولادة– في نهاية من الأدب والظُرف: حضور شاهد، وحرارة أوابد، وحسن منظر ومخبر، وحلاوة مورد ومصدر، وكان مجلسها بقرطبة منتدى لأحرار المصر، وفناؤها ملعباً لجياد النظم والنثر، يعشو أهل الأدب إلى ضوء غرتها، ويتهالك أفراد الشعراء والكتّاب على حلاوة عشرتها، وعلى سهولة حجابها، وكثرة مُنتابها، تخلط ذلك بعلو نصاب، وكرم أنساب، وطهارة أثواب، على أنها أوجدت للقول فيها السبيلَ بقلة مبالاتها، ومجاهرتها بلذاتها.[1]

ولمَّا مرت بالوزير أبي عامر بن عبدوس وأمام داره بركة تتولد عن كثرة الأمطار، وربما استمدت بشيء ممَّا هنالك من الأقذار، وقد نشر أبو عامر كُمَيّه، ونظر في عِطْفَيه، وحشر أعوانه إليه، فقالت له:[2]

أنتَ الخصيبُ وهذه مصرُ فتدفقا فكلاكما بحرُ

- نزهة الجلساء ص 87 / ونفح الطيب ج4 ص 208 1
- النفح ج4 ص208 / ونزهة الجلساء ص 89 2

فتركته لا يحيرُ حرفاً، ولا يرد طرفاً[1].

كان الوزير أبو عامر بن عبدوس؛ مزاحماً لابن زيدون وراح يكيد لـه عنـد ولادة، فاضطر ابن زيدون إلى كتابة رسالته الهزلية الساخرة على لسان ولادة، ووجها إلى ابـن عبدوس مما أثاره وجعله ينتقم لنفسه، فأثار عليه ولادة، واشترك في تأليب ابـن جهـور عليه حتى انتهى به ذلك إلى السجن وخلا الجو لابن عبدوس. وبهذا تكون ولادة أسـهمت في ابتكار لون جديد بالمغرب، بصورة غير مباشرة.

وقيل في "المغرب" بعد ذكره أنها بـالغرب كعُليـة بالشـرق: إلا أنَّ هـذه تزيـد بمزية الحسن الفائق، وأمّا الأدب والشعر والنـادرة وخفـة الـروح فلـم تكـن تقصـر عنها، وكان لها صنعة في الغناء، وكان لها مجلـس يغشـاه أدبـاء قرطبـة وظرفاؤهـا فيمر فيه من النادر وإنشاد الشعر كثير لما اقتضاه عصـرها مـن مثـل ذلـك، وفيهـا يقول ابن زيدون:[2]

بنتُم وبنّا فما ابتلّتْ جوانِحُنا شوقاً إليـكم ولا جَفّتْ مآقينا

تكاد حين تناجيكم ضمائرنا يقضي علينا الأسى لولا تأسينا

ومن أخبار ولادة مع ابن زيدون ما قاله الفـتح فـي القلائـد:[3] "إنّ ابـن زيـدون كان يَكْلَف بولادة ويهيم، ويستضيء بنـور محياهـا فـي الليـل البهـيم، وكانـت مـن الأدب والظرف، وتتميم السمع والطرف، بحيـثُ تخـتلس القلـوب والألبـاب، وتعيـد الشّيب إلى أخلاق الشباب، فلمّا حل بذلك الغرب، وانحـل عقـد صـبره بيـد الكـرب، فرّ إلى الزهراء ليتوارى في نواحيها، ويتسلى برؤيـة موافيهـا، فوافاهـا والربيـع قـد خلع عليها بُرده، ونشر سوسنه ووِرده، وأتـرع جـداولها، وأنطـق بلابلهـا، فارتـاح ارتياح جميل بوادي القرى، وراح بـين روض يـانع وريـح طيِّبـة السُّـرى، فتشـوق إلى لقاء ولادة وحنّ، وخاف تلك النوائب والمحن، فكتـب إليهـا يصـف فـرط قلقـه، وضيق أمده إليها وطلَقه، ويعلمها أنه ما سلا عنها بخمر، ولا خبـا مـا فـي ضـلوعه

---

1 - الذخيرة ج1 ص 270

2 - ديوان ابن زيدون ص 298 ونفح الطيب ج4 ص208 / وأعلام النساء ج5 ص289 / والمغرب ج1 ص 66

3 - النفح الطيب ج4 ص209

من مُلتَهِبِ جمر، ويعتبها على إغفال تعهده، ويصف حسن محضره بها ومشهده يقول:[1]

إنّي ذكرتُكِ بالزهراء مشتاقا والأفق طَلْقٌ ووجهُ الأرضِ قد راقا

والذي يغلب على الظن أن ولادة كانت بعيدة عن التبذل، مصونة عن الإسفاف، وحسبها من ذاك اللقاء ظفرها بالإعجاب والحب والتقدير، وتنافس الجميع في إرضائها والتغني بها، وقد أكد ذلك ابن بسام الشنتريني بقوله: "كانت يعشو أهل الأدب إلى ضوء غرتها، ويتهالك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها، إلى سهولة حجابها، وكثرة منتابها، تخلط ذلك بعلو نصاب، وكرم أنساب وطهارة أثواب، وقد تحدثتْ هي عن نفسها بما يؤكد هذا فقالت:[2]

إني وإن نظر الأنام لبهجتي كظباء مكةَ صيدُهُنّ حرامُ

يُحْسَبْنَ من لين الكلام فواحشاً ويَصُدُّهُنّ عن الخَنَا الإسلام

كما أكد ابن زيدون تصاونها بقوله:[3]

هِيَ المَاءُ يَأبَى عَلَى قَابِضٍ وَيَمْنَعُ زُبْدَتَهُ مَنْ مَخَضْ

هذا وأن الكثير من شعر ولادة قد تجاهلته أمهات المصادر، وذلك زعماً منهم أن غالب ما قرضتها من أبيات كانت في الهجاء.

وحول تجاهل المصادر للكثير مما قرضته ولادة من الشعر يقول ابن بسام: "وكانت ولادة –زعموا– تقرض أبياتاً من الشعر، وقد قرأتُ أشياءً منه في بعض التعاليق، أضربتُ عن ذكره، وطويته بأسره، لأن أكثره هجاءً وليس له عندي إعادة ولا إبداء، ولا من كتابي في أرض ولا سماء."[4]

عموماً فإن أبرز شخصية في حياة الأديب الوزير العاشق –هي الشاعرة ولادة بنت المستكفي– وكان أبوها أحد الخلفاء الضعاف –كما وصفته المصادر– الذين توالوا على حكم الأندلس خلال الفترة التي شهدت انهيار العهد الأموي، ومهما يكن فقد أنجب أنثى رائعة الجمال قوية الشخصية، واسعة الثقافة عارفة بالأدب مقتدرة على قول الشعر، أضافت إلى تحرر عصرها ألواناً من التحرر

- ديوان ابن زيدون 194 / نفح الطيب ج4 ص 209 1
- نزهة الجلساء ص 91 2
- ديوان ابن زيدون ص 149 3
- الذخيرة ج1 ص 270 4

فجعلت من قصرها ملتقى أدبياً يتنافس المتنافسون فيه على حبها ومحاولة كسب قلبها.

ذكر ابن بشكوال ولادة فقال:[1] " كانت أديبة، شاعرة، جزلة القول، حسنة الشعر، وكانت تناضل الشعراء، وتساجل الأدباء، وتفوق البرعاء، وعمرت عمراً طويلاً، ولم تتزوج قط، وماتت لليلتين خلتا من صفر سنة ثمانين، وقيل: أربع وثمانين وأربعمائة، رحمها الله تعالى ". وقد أثبتَ ابن بشكوال تاريخ وفاتها بقوله:" تُوفيتْ في الثاني من شهر صفر لعام أربع وثمانين وأربعمائة لهجرة سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام.[2]

أسباب شهرة النصوص الشعرية لولادة دون الشواعر الأخريات:

1. إنها من بيت خلافة وابنة خليفة عن جد وأب شرقاً وغرباً.
2. صاحبة منتدى، وصاحبة فتنة وجمال مما جعل التنافس والتحاسد فيها بين كبار الشعراء والأدباء والوزراء.
3. كثرة شعر ابن زيدون فيها وشهرة ابن زيدون ومكانته في التاريخ الأندلسي سياسياً وثقافاً وطبقياً في المجتمع.
4. اهتمام مؤرخي الأدب العربي بشخصية ولادة للأسباب آنفة الذكر هي الأخرى سبب في تفوق ولادة وشهرتها على حساب وصيفاتها من الشواعر الأندلسيات.

الشاعرة: مهجة بنت التيّاني القرطبية:

سميتْ بنت التياني؛ لأن أباها كان يبيع التين، ونسبتها القرطبية تميزها عن مهجة الغرناطية، وهي صاحبة ولادة، وكانت من أجلّ نساء زمانها، وعلقت بها ولادة، ولازمت تأديبها، إلى أن صارت شاعرة، وكانت من أخفّ الناس روحاً، ثم وقعت جفوتٌ بينها وبين ولادة، وزعمت أنها ولدتْ وليس لها بعل، ما اقتضى أن تقول:[3] السريع

ولادةٌ قد صِرتِ ولّادةً من دون بَعلٍ، فُضِحَ الكاتمُ!

- النفح ج4 ص207 1

- ابن بشكوال، الصلة ج2، ص 347 2

1- المُغرب في حُلى المغرب ، ج1 ص 143. / نزهة الجلساء، ص81 ،/ ونفح الطيب ج4 ص293

حَكَتْ لنا مَريَمَ لكـــــــنّهُ نَخلَةُ هذي ذَكـــــــــــرٌ قائمُ

تلميذة تهجو أستاذتها!، ولكن النفس الإنسانية إذا حقدت وحسدت تنكر كـل جميـل سبقت، فاتهمت الشاعرة مهجة مؤدبتها وأستاذتها ولادة بالزنا صراحة، وربما يكون هـذا الهجاء حادثة واقعية حصلت إذ إنها ملازمتها، فقالت فُضح الكاتم وكأن الأمر حدثت على عينها وهي ممن سترت لها الأمر، ولكن الجفوة أظهرت ما كتمت من أمرهما.

تحكي هذه الأبيات عن مدى إلمامها وثقافتها القرآنية، وبقصص الأنبياء عليهم السلام، ولكن وظفتها في الهجاء، فلو كانت في وصف عفة صاحبتها لكان أجمل وألطف.

قال المقري التلمساني: "قال بعض الأكابر: لـو سـمع ابـن الرومـي هـذا لأقـرّ لها بالتقديم"[1]

ومما تقدمتْ به على فحول الذكران قولها:[2] الطويل

لئنْ حَلّأتْ[3] عنْ تغرها كلّ حائمٍ[4] فما زالَ يَحْمِي عن مُطالبه الثّغْرُ

فذلكَ تحمـــــيهِ القواضبُ والقَنَا[5] وهذا حَماهُ من لواحـظها السِّحْرُ

كثيرون أولئك الذين يحومون حـول ثغرهـا، ولكنهـا لا تمكـنهم، ومـا تـزال الثغور على الحدود محمية بالسيوف القواضـب البتـارة والقنـا والرمـاح، أمـا هـي فيحميها سحر عينيها إنها تصرع المحبين بلحظهـا الفتـاك، فجمعـت مـا بـين حـدة السيوف والقنا ولواحظها بجامع فكلاهما يفتك بالأعداء.

عموماً فإن ما يلاحظ على هذين البيتين هـو أنهمـا فـي تغـزل المـرأة بـالمرأة وهذا أمر طريف عند الشواعر الأندلسيات، كما أن الشـاعرة عمـدت بهـاتين البيتـين إلى صنعة "التورية" فرقَّ شعرها وحلا وراق.

وأهدى إليها من كان يهيم بها خوخاً، فكتبت إليه:[6]

يا مُتحِفاً بالخوخِ أحـــــبابَهُ أهلاً بهِ من مُثلجٍ للصدورْ

- نفح الطيب ج4 ص 293 1

3- المُغرب في حُلى المغرب، ج1 ص 143 و نزهة الجلساء ، ص81-82 ونفح الطيب ج4 ص 293 وأعلام النساء ص119

- في نفح الطيب: قَدْ حَمى وحلأت: طردت ومنعت 3

الحائم : العطشان 4 -

- القواضب والقنا: السيوف شديد القطع والرماح 5

- تحفة القادم ص 239 والنفح ج4 ص 293 6

حكى ثُدِيِّ الغيدِ تفليكُهُ[1] لكنه أخزى رؤوس الأيور[2]

هذه الأبيات، تكشف عن نفسية الشاعرة المشابة بشيء من إنكار الجميل، والخلاعة وفحش القول، فلُوحظت إساءة الشاعرة مهجة لولادة بعد أن اعتنت الأخيرة بتأديبها فهجتها بألذع وأخزى المعاني، وهنا تراها قابلت الهدية بما لا تقابل بها، بعد أن شنَّفت الأذان بحلاوة وصفها للهدية، فسرعان ما تحولت لألفاظ مقززة، فلولا قلة ذيوع شعرها بين الباحثين لأمسك الباحث عن جزء من عجز البيت الأخير!.

فمثلما لم تمسك ولادة ولاحفصة عن التصريح، في غزلهن، أيضاً قد صرحت الشاعرة مهجة دون حياء، فجرى الفحش على لسانها بكلمات صريحة دون استخدام ما كانت متوفرة لها من كنايات وتورية.

الشاعرة: أم الكرام بنت المعتصم بن صُمادح ملك المرية:

لم تتناول المصادر تاريخ ولادتها أو تاريخ وفاتها، غير أنها تناولتها كفتاة نشأت في بيت المُلك، وتلقت العلوم والآداب والثقافة، وكانت ذكية جميلة. وقد أسهمت في كتابة الموشحات.[3]

هي أم الكرام بنت المعتصم بالله، أبي يحيى محمد بن معن بن أبي يحيى بن صمادح التجين، ويقال لها أم الكرم أيضاً، وكان المعتصم قد اعتنى بتأديبها، لما رآه من ذكائها، حتى نظمت الشعر والموشحات، ولها إخوة ثلاثة: شعراء: الواثق عز الدولة أبو محمد عبد الله، ورفيع الدولة الحاجب أبو زكريا يحيى، وأبو جعفر ... أولاد المعتصم بن صمادح وهو شاعر أيضاً من أهل المائة الخامسة وهو مَلِك المرية وأعمالها.[4]

---

1 - تشبيهاً لفاكهة الخوخ بنهد الفتاة الناعمة في الإستدارة جمالاً وملمساً

2 - الأيور والأيْر: عضو التناسل عند الرجل

3 - الشعكة، مصطفى، الأدب الأندلسي فنونه وموضوعاته، دار العلم للملايين، ط5، بيروت، لبنان،1983م، ص 148

4 - نزهة الجلساء ص 25 والمغرب في حلى المغرب ج2 ص202

قال الأديب أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد: كانت تنظم الشعر، وعشقتْ الفتى المشهور بالجمال من دانية المعروف "بالسَّمّار"، وعملتْ فيه الموشحات، ومن شعرها:[1]

يا معشرَ الناسِ ألا فاعجبوا ممَّا جَنَتْه لوعَةُ الـــبِّ
لولاه لم ينزلْ بدرُ الدّجى من أُفْقِه العُلْوِيِّ للترب
حسبي بمن أهواهُ، لـو أنّهُ فارَقَني تابَعَهُ قَلـبي

تشرك الناس معها في التعجب مما فعل الحب بها، وتلتمس لنفسها المعذرة من لوعة الحب التي جعلتها تجاهر بها، فمن أجل الحب ينْزَل القمر من عليائه إلى التراب، وتعزي نفسها –عن الفراق– بمتابعة قلبها له فهي معه في لقاء دائم.

وتُظهر الشاعرة أم الكرام جرأة عالية ومعها صرخة تدل على عدم تحملها على كتمان سرها العاطفي، وعدم مقدرتها على تحمل لوعة الحب، فهي جرأة من أميرة شاعرة تصرح بحبها لفتى من العامة، فإن قلبها يرفض كل شيء إلا حب عشيقها السمار، ويقبل كل شيء إلا فقدان حبيبها. فهي لا تستطيع أن تسيطر على انفعالاتها الداخلية، فدفعها هذا الانفعال للبوح بالخلوة.

وبلغ المعتصم خبر الفتى مع ابنته، فخفى أمره من ذلك الحين، إما توارى من المعتصم خوفاً، أو أن المعتصم قتله تخلصاً منه.[2] حين قالت:[3] الطويل

ألا ليت شعري هل سبيلٌ لخلوةٍ يُنَزِّهُ عنها سمعُ كلِّ مُراقِبِ
ويا عجباً أشْتَاقُ خلْوة منْ غدا ومَثْواهُ ما بين الحشا والترائب

لم تسيطر على أن تبوح ثانيةً بحبها، وفي هذه المرة تصرح بالخلوة بحبيبها، ومع هذا فإنها صاحبة صنعة فنية دقيقة، في هذا المجال، وتظهر السيطرة في طلب اللقاء النظري دون الممارسة الحسية كما يفعل الشعراء، فأم الكرام وأخواتها المتغزلات عمدن إلى فن يخص المرأة ويميزها عن غزل

- النفح ج4 ص 170 و المغرب ج2 ص 202 ونزهة الجلساء ص 25 وأعلام النساء ج4 ص 238 1
- المغرب في حلى المغرب ج2 ص 203 2
- المصدر نفسه ج2 ص 203 3

الرجل، فتكتفي بالأمنيات "ألا ليت" وذلك للنظـــرة الاجتماعيـــة الســـائدة، أمـــا لقـــاءآت ولادة فتعد حالة استثنائية.

الشاعرة: صفية بنت عبد الريِّى1

شاعرة رقيقة، هباها الله جمال الخط وحسنه، حيث أتقنت الخط اتقانـــاً لفـــت إليهـــا الأنظار وكان الخط مَعْلَم من معالم شخصيتها البارزة.

قال عنها صاحب كتاب الصلة: "أديبة شاعرة موصوفة بحسن الخط، ولهـــا رد علـــى امرأة حاسدة عابت عليها خطها ووصفته بالرداءة"، فقالت:[2]الطويل

وعائبةٍ خطي فقلت لها اقصري فسوف أُريك الدُّرَ في نَظَم أسطُري
وناديتُ كفِّي كي تجودَ بخـــطّها وقربتُ أقـــلامي ورقّي ومِحبري
فخطتْ بأبياتٍ ثلاثٍ نظمتـــــــُها لِيبدو بها خَطِّي فقلـــت لها انظري

قد ردت الشاعرة الخطاطة رداً منطقياً وآسراً ولطيفاً، وبهذا الظرف واللطف ترد دون إساءة أو تجريح، اعتزت وحسن خطها، وقد شخصتْ الكف فجعلتها شخص ينـــادى، دليل تمكنها من البلاغة وسن توظيفها، كما أنها تصف نفسها وتؤكد أنها ممتهنة لهذا الفن من خلال توفر كل الأدوات الكتابية لديها، فدلت بجمال خطها شعرها، مع إشارتها علـــى جودة الخط الذي تجود به يدها على الأوراق.

ومن عادة الرواة وأصحاب المصادر الأمهات الاكتفاء بالنزر اليسر الذي لا يروي غلة الباحثين عن أخبار الأديبات الشواعر الأندلسيات، وحظ صفية من الأخبار عنها كحظ سابقاتها، فلم يعثر الباحث على موطنها ولا كيف كانت حياتها الثقافية، أو حياتها الأدبيـــة، غير تلك الإشارات التي وجدها الباحث مبثوثة في وبين نثايا وطيات المصادر، وقد عُدتْ من شواعر القرن الرابع وأوائل الخامس الهجري، وعلى الرغم من سكوت المصادر عن نقل أشعارها غير هذه الأبيات، إلا أنها تعد مساهمة ثرة ترفـــد نهضـــة الشـــعر العربـــي

- الريِّى: نسبة إلي مدينة رية وهي كورة كبيرة بالأندلس متصلة بالجزيرة الخضراء 1
- ابن بشكوال الصلة، ج2 ص 346 / الحميدي، وجذوة المقتبس ص 600 2

وتساهم في جمال قصيده. توفيت دون الثلاثين من سنها، قيل: في سنة سبع عشرة وأربعمائة للهجرة[1]

الشاعرة: العبادية جارية المعتضد عبَّاد.

أهداها مجاهد العامري من دانية إلى والد المعتمد، وكانت أديبة كبيرة، ظريفة، كاتبة مجيدة، شاعرة من أشعر شواعر زمانها، ذاكرة لكثير من اللغة.[2]

قال المقري التلمساني: "قال ابن عليم في شرحه لأدب الكاتب لابن قتيبة: وذكر الموسعة وهي خشبة بين حمَّالين يجعل كل واحد منهما طرفها على عنقه، ما صورته: وبذكر الموسعة أغربتْ جارية لمجاهد أهداها إلى عباد كاتبة شاعرة على علماء إشبيلية وبالهزمة التي تظهر في أذقان بعض الأحداث، وتعتري بعضهم في الخدين عند الضحك، فأما التي في الذقن فهي النونة، ومنه قول عثمان رضي الله تعالى عنه: دسِّموا أو قال: سوِّدوا نونته لتدفع العين، وأمَّا التي في الخدين عند الضحك فهي الفَحْصَة، فما كان في ذلك الوقت في إشبيلية مَنْ عرف منها واحدة".[3] وسهر عباد ليلة لأمر حزَّبه وهي نائمة، فقال:[4] المتقارب

تَنَامُ ومُدْنَفُها[5] يَسهَرُ وتُبصرُ عنه ولا يُبصرُ

فأجابته بديهة بقولها:[6] المتقارب

لئن دامَ هذا وهذا به سيهلِكُ وَجْداً ولا يَشعُرُ

ويكفيك هذا شاهداً على فضلها، هذا البيت، وقوتها البديهية ومقدرتها الشعرية وعلى المساجلة، ساجلت على ذات البحر والروي، والمعنى، وكذا لم يؤثر على أكثر من هذه اليتيمية، ولكن عُدَّتْ بها من الشواعر اللاتي أسهمن بذخيرة شعرية تضاف إلى رصيد النهضة الشعرية الأندلسية بكل سماتها.

الشاعرة: زينب بنت فروة المرية:

- جذوة المقتبس ص 600 1
- أعلام النساء ج3 ص 227 2
- النفح ج4 ص283 و الذيل والتكملة ج5 ص 429 وأعلام النساء ج3 ص 227 3
- أعلام النساء ج3 ص227 والنفح ج4 ص283 والذيل والتكملة ج5 ص 429 4
- مدنف: من أضناه الحبّ وأتعبه 5
- الذيل والتكملة ج5 ص 429 والنفح ج4 ص283 وأعلام النساء ج3 ص 227 6

كانت أديبة شاعرة، وقد أحبت ابن عم لها يقال لـــه: "المغيــرة" وقــد مــس حبــه قلبها وجرى بينهما عتاب فطلقها ثلاثاً، فقالت:[1] البسيط

يا أيّها الراكبُ الغـــــادي لطيّته عَرِّجْ أُنبِئْكَ عن بعضِ الذي أجدُ
ما عالج الناسُ من وجد تَضمَّنهم إلا ووَجْدي به فوق الذي وجدوا
حَسْبي رضاهُ وأنّي في مسرّتِهِ ووُدّه آخـــــــرَ الأيَّامِ أجتهِدُ

هذه الشاعرة تقلدت بوشاح النهج القديم في صورة كاملة، فهي تذكر الرحلة ومشاقها، تذكر الركب الذي معها، وتدعوهم وتعرج وتقف على الأطلال، على الرغم من أن بيئتهــا لم تعرف مشاق الترحال، ولكنها أرادتْ بكل هذا لتدلل بها على معاناتها في لقاء الحبيب، وتعتد أن حبها ووجدها فوق وجد كل محب من الناس، ولتكسب رضاه بعد بــذلها للجهــد وركوبها الصعاب.

ساهمت هذه الشاعرة بأبياتها هذه في أحد اتجاهات الشعر الأندلســي، وهــو الاتجــاه التلقيدي القديم، ولم يلحظ أثر البيئة الأندلسية في أبياتها، فبالرغم من انتمائها إلى الفتــرة التي اتسم فيها الشعر الأندلسي بأبرز سماته إلا أنها ظلت على النهج التقليدي، وهــذا لــم يكن جديداً في الشعر العربي.

الشاعرة: غاية المُنى:

وهي جارية أندلسية متأدبة، كانت تقول الشــعر، عُرضــت علــى المعتصــم بــن صُمادح، صاحب المرية، فلما مثلت بين يديه، أراد اختبارها فقــال لهــا: مــا اســمك؟ فقالت: غاية المنى، فقال لها أجيزي:[2] مجزوء الخفيف

اسْألُوا غايةَ المُنـــــى

فقالت:[3] مجزوء الخفيف

مَنْ كَسَا جــسـميَ الضّنَى
وأرانـــــــي مُوْلــهاً سَيَقُولَ الهـــــــوى أنا

1- ابن قيّم الجوزية، أخبار النساء، تح، نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، دط، بيروت، لبنان،1982م، ص 73. / الذيل والتكملة ج5 ص 417
- الذيل والتكملة ج5 ص 420 و نفح ج4 ص 286 2
- نفح ج4 ص 286 والذيل والتكملة ج5 ص 420 3

قال ابن الأبار: وقرأت بخط الثقة حاكياً عن القاضي أبي القاسم ابن حبيش، قال: سيقت لابن صُمادح جارية نبيلة تقول الشعر وتحسن المحاضرة، فقال: تُحمل إلى الأستاذ ابن الفراء الخطيب ليختبرها، وكان كفيفاً، فلما وصلته قال: ما اسمك ؟ فقالت: غاية المنى، فقال: أجيزي:[1] مجزوء الخفيف

سل هوى غايةِ المُنى مَنْ كسا جسميَ الضنى

فقالت تجيزه:[2] مجزوء الخفيف

وأراني متيماً سَيَقُولَ الهوى أنَا

حُكى ذلك لابن صُمادح فاشتراها[3]. كانت غاية المنى وافرة المعرفة، والأدب والجمال، وكانت ذات معرفة جيدة بالأصوات، وكان للحب دور في بناء شخصية المرأة الأندلسية بصورة عامة، بل ومنحها سلطان على قلوب الرجال ولا سيما الأمراء، وما حديث غاية المنى وإعتماد الرميكية ببعيد، فأخذت الأولى مساحة واسعة من قلب المعتصم بن صمادح، وفعلت به ما فعل، ولكن وجدانه قد أخفى ابنته أم الكرام، وكأنه يحدث عن أنانية الذكور، أم خشية العار.

من خلال الحالة الاجتماعية الراقية، ووفرة العيش ولذتها، وجمال الطبيعة وروعتها، في شبه الجزيرة الأندلسية، فإن الواقع يشير إلى أن أمثال القينة الشاعرة غاية المنى، كن كثيرات وقد حفلت بهن الدور والقصور، ولكن الكتب والمصادر الأدبية لم تنقل ولم تحفظ الكثير من أخبارهن ونوادرهن، بل أشعارهن، وهذا شأنه وشأن الشعر النسوي على مر العصور الأدبية.

الشاعرة: إعتماد؛ جارية المعتمد بن عباد.

قال المقري في وصف إشبيلة: "إنها من أحسن مدن الدنيا، وبأهلها يضرب المثل في الخلاعة، وانتهاز فرص الزمان الساعة بعد الساعة، يعينهم في ذلك

- نفح ج4 ص 287 1
- المصدر نفسه ج4 ص 287 2
- الذيل والتكملة ج5 ص420 ونفح ج4 ص 287 3

واديها الفَرِجُ وناديها البَهِجُ، شرفها" إحدى ضواحيها" غابة بلا أسد، ونهرها نيل بلا تمساح."

النهر الذي يمر بمدينة إشبيلية هو نهر الوادي الكبير، وهذا النهر هو السبب في تعرف المعتمد بن عباد على إحدى شواعر عهد ملوك الطوائف، وهي الشاعرة الجارية اعتماد.

أديبة من أديبات الأندلس هي جارية المعتمد بن عباد، وأم أولاده، وكان المعتمد كثيراً ما يأنس بها ويستطرف من نوادرها، ولم تكن لها معرفة بالغناء، وإنما كانت مليحة الوجه، حسنة الحديث، حلوة النادرة، كثيرة الفكاهة، وتشتهر بالرُّمَيْكية، توفيت سنة 488ه.[1]

قال ابن سعيد في المغرب:[2] "كان المعتمد كثيراً ما يأنس بها _ الرميكية_، ويستظرف نوادرها، ولم تكن لها معرفة بالغناء، وإنّما كانت مليحة الوجه، حسنة الحديث، حلوة النادر، كثيرة الفكاهة، لها في كل ذلك نوادر محكية، وكانت في عصرها ولادة بنت محمد بن عبد الرحمن، وهي أبدع منها مُلَحاً، وأحسن افتناناً، وأجلُّ منصباً، وكان أبوها أمير قرطبة، ويلقب بالمستكفي بالله".

وفي المغرب أيضاً، أنه ركب المعتمد في النهر ومعه ابن عمار وزيره، وقد زردت الريح النهر،[3] فقال ابن عباد لابن عمار: أجز:[4]

صنع الريحُ من الماء زَرَدْ

فأطال ابن عمار الفكرة، فقالت امرأة من الغسالات:[5]

أيّ درعٍ لقتـــــــالٍ لو جَمَدْ

- أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ج1 ص 71 1
- نفح ج4 ص273 انظر الطالع، سعيد في المغرب واخبار الصعيد 2
- نفح ج4 ص211 المسهب والمغرب 3
- المعتمد، محمد المعتمد بن عباد، الديوان، دط، دت، رقم الإيداع بدار الكتب 14021/ 2000 الإجازة (9) ص 74 4
- المصدر نفسه، ص74 5

وعندما سمع المعتمد ذلك لم يتمالك نفسه من الدهشة، فأسرع بزورقه إلى الشاطي ليتعرف إلى صاحبة الصوت الجميل، وإذا هو أمام جارية جميلة، مِلْكاً لشخص يدعى "رميك بن حجاج" وتدعى اعتماد الرميكية نسبة إليه.

فتعجب ابن عباد من حُسن ما أتت به، مع عجز ابن عمار، ونظر إليها فإذا هي صورة حسنة، فأعجبته فسألها: أذات زوج هي؟ فقالت: لا، فتزوجها وولدت له أولاده الملوك النجباء، رحمهم الله تعالى.[1]

ومن أخبار الرميكية القصة المشهورة في قولها: (ولا يوم الطين) وذلك أنّها رأت الناس يمشون في الطين، فاشتهت المشي في الطين، فأمر المعتمد، فسُحقت أشياء من الطيب، وذُرّتْ في ساحة القصر حتى عمته، ثم نُصبتْ الغرابيل، وصُبّ فيها ماء الورد على أخلاط الطيب، وعُجنتْ بالأيدي حتى عادت كالطين، وخاضتها مع جواريها.

وغاضَبَها في بعض الأيام، فأقسمتْ أنّها لم تر منه خيراً قطُّ، فقال: ولا يوم الطين؟ فاستحيت واعتذرت،[2] وهذا مصداق قول نبينا صلى الله عليه وسلم في حق النساء: (عن عبد الله بن عباس قال: قال رسوالله صلى الله عليه وسلم: ...، لو أحسنتَ إلى إحداهُن الدهر، ثم رأتْ منك شيئاً، قالت: ما رأيت منك خيراً قطُّ).[3]

وقد أشار المعتمد إلى هذه القصة في رائيته المشهورة ببيت قال:[4]

يَطأن في الطينِ، والأقدامُ حافيةٌ كأنّها لم تطأ مِسْكاً وكافوراً

ويروى بعض المؤرخين أن المعتمد أطلق على نفسه هذا الاسم تشبها باسمها وتيمناً به، وكان يدعى من قبل: محمد الظافر المؤيد، فأصبح يدعى محمد المعتمد بعد التعرف على إعتماد.[5]

- نفح ج4 ص 211 1
- نفح ج4 ص273 2
2- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار ابن كثير، ط1، دمشق وبيروت، سوريا ولبنان،2002م، حديث رقم 5197،كتاب النكاح، باب كفران العشير، ص1325.
- ديوان المعتمد بن عباد ص 101 4
- ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2 ص62 5

لم يعثر الباحث على أشعار لإعتماد الروميكية غير هذا الشطر اليتيم الذي أجازت به على المعتمد، فربما كانت لها أشعار وأهملتها المصادر أو ربما لم تكن شاعرة بقدر ما كانت سريعة البديهة فقط، وساعدها في ذيوع الصيت انتماؤها إلى البيت الحاكم، ومما لا شك فيه هو أنها قد كانت ملهمة المعتمد، إذ قال فيها أشعاراً كثيرة بالنظر في ديوان المعتمد بن عباد.[1]

الشاعرة: أم العلاء بنت يوسف الحجارية[2] البربرية

هي أم العلاء بنت يوسف بن حزر المجلسي الحجارية، "ذكرها ابن سعيد وقال:" إنها من أهل المائة الخامسة، ومن شعرها:"[3] الرمل

كلُّ ما يصدرُ مِنْكمُ حَسَنُ وبِعُلْيَاكمُ تحلّى الزمنُ
تَعْطَفُ العينُ على منْظِركُم وبذِكْراكمُ تَلَذُّ الأُذنُ
ومن يعشْ دونكمُ في عمره فهو في نيلِ الأماني يُغْبَنُ

الغبن في البيع أو الشراء غلبة وخداع، ونقص في الثمن وغيره، وهي ترى أن العيش لا يتم ولا يكمل إلا بالمحبوب وإذا عدنا إلى الأبيات وجدناها تقول: إن أفعاله وتصرفاته حسنة كلها ولا عجب فحسن في كل عين من تود، إن الزمن يتحلى بما هو عليه من مجد وشرف، والعين تميل عليه، وذكراه عطرة تلذها الأذن، فكيف يكمل العيش بدونه؟ لا شك أن الأيام التي تمر دون لقائه ضائعة ومغبوب مَنْ حرم ذاك اللقاء.

ويلاحظ في هذه الأبيات هدوء الشخصية الغزلية للشاعرة، فهي تتغزل بحياء ودلال وأدب، وهذا الاستحياء جعل غزلها في قمة الرقي مصحوباً بالحنان والود والإعجاب والمديح.

وذُكر في المغرب: " من المسهب: أنها ممن تفخر به بلدها وقبيلها، وأنشد لها قولها:"[4] **الوافر**

5- إميلو غَرْسِيَة، الشعر الأندلسي؛ بحث في تطوره وخصائصه، تر عن الإسبانية، حسين مؤنس، النهضة المصرية، ط2، القاهرة، مصر،1956م، ص48

- الحجارية: نسبة إلى وادي الحجارة وهي من أعمال الأندلس. 2

- المغرب ج2 38 و نزهة الجلساء ص 26 و نفح الطيب ج4 ص 169 و أعلام النساء، ج3 ص 327-328 3

- المغرب في حُلى المغرب، 2/2 ص38 4

لله بُسْـــــــــــتاني إذا يَهْفُو به القَصَبُ المُنَدَّى
فكأنما كفُّ الرِّيـــــــا حِ قدَ اسنـــــدتْ بَنْدا فَبنْدا

صوَّرتْ الشاعرة أم العلاء الحجارية، قصب بستانها، وقد بدا كالبنود الذي تهفو بـــه الريح، وقد جاءت معاني هذين البيتين في عذوبة ورقة كرقة الطبيعة الحالمة، وهـــي قـــد خاضت هذه التجربة الوصفية المتفردة مع زمرة الشواعر الأندلسيات، وهي تجربة وصف الرياض والبساتين والأزهار وما إلى ذلك من الطبيعة حتى صارت أغراضاً مستقلة، وفي كل يُلحظ الشاعرة الأندلسية تشكل حضوراً أنيقاً في هذه الأغراض، مســـاهمة فـــي رفـــد معينات النهضة الشعرية الأندلسية.

وقولها:[1] مجزوء الكامل

لولا مُنَافَرةُ المُـــــــدا مةِ للصَّبـــــَابةِ والغِنَا
لعكفتُ بين كئوسها وجَمَعْتُ أسْبَابَ المُنَى

وكذا الحال في هذه القطعة تظهر الشـــاعرة أم العـــلاء مبـــدأ أخـــر لشخصـــيتها الاستحيائية، طابع المروءة، فهذا الطابع تمنعها من أن تستهتر في حبها، أو تجـــرؤ فـــي علاقتها العاطفية، بل ويمنعها الحياء والمروءة حتى من حضور مجالس الأنس والطـــرب واللهو، فليتها لم تعشق ولم تتغزل، فلو قائل قال: أنها ماتت تتيماً لصدقها العاطفي العذري لصدق!.

وعشقها رجلٌ أشيب، فكتبت إليه:[2]

يا صُبْحُ لا تبد إلى جُنْـــح والليلُ لا يَبْقَى مـــــع الصُّبْحِ
الشيب لا يُخْدَعُ فيه الصِّـــبا بحيلةٍ فاســمعْ إلى نُصحي
فلا تكن أجهلَ من في الورى تبيتُ في الجهلِ كما تُضحي

إنها ترى في الشيب معركة النهار مع الليل أو تعاقبهما، حيث يزول ســـواد الشـــعر دليل الشباب والفتوة، ليحل محله بياض الشعر دليل العجـــز والشـــيب، وتنصـــح لـــه ألا

- المغرب في حُلى المغرب 2/2 ص 38 و نزهة الجلساء ص 28 1
- نزهة الجلساء ص 27 والنفح الطيب ج4 ص169 وأعلام النساء ج3 ص 328 2

يتصابى محاولاً إخفاء شيبه بصورة أو بأخرى فتلك حيل يدركها الصبي، وجاهل من يظن أنه يمكن أن يخدع غيره، إنه يبيت في الجهل كما يمسي، وهذه إشارة إلى صدق العاطفة.

فهي تهجو وتمزج هجاءها بالنصح، والحكمة، ربما خوفها من ردة فعل المهجو فداعبت وتندرت في هجائها، وتمنَّعت من معاشرة الشيب، مع احتفاظها بالصفات الأخلاقية في الهجاء كما فعل الأقدمون.

ويلاحظ أن الشاعرة أم العلاء في موقفها تشابهت مع الشاعرة عائشة في أن كل منهما هجت من تقدم لخطبتها، إلا أنهما افترقا في أن أم العلاء تخلقت واحتفظت لمهجوها بإنسانيته وكرامته، بينما عائشة نأت بمهجوها عن الإنسانية فوصفته ب(الكلب).

ولها أيضاً:[1]

أفهم مطارحَ أحوالي وما حكمتْ به الشواهدُ واعذرني ولا تَلُمِ
ولا تَكِلْني إلى عُذْرٍ أُبيِّنه شرُّ المعاذير ما يحتاجُ للكلمِ
وكلّ ما قد جئته من زلّة فبما أصبحتُ في ثقة من ذلك الكرمِ

وهنا تطلب الشاعرة إلى المحب أن يلتمس لها العذر دون أن يسائلها عن الأسباب، أو يطلب منها تفسيراً وشواهداً، فشر المعاذير ما يحتاج للكلم، والتفسير، ثم تختتم بأنه طامعة في كرمه وتسامحه، هو من وراء ما قد يظنه من زلة أو خطأ. أو ما جاءت به من زلة أو خطأ، وقد روى البيت الأخير: وكل ما قد خلته من زلة، وروى "دالة" بدلاً من زلة من الدلال والتدلل.

- أعلام النساء ج3 ص 328 ونزهة الجلساء ص 27، و النفح الطيب ج4 ص 169 1

الفصل الثالث

الشواعر الأندلسيات في عصر المرابطين والموحدين ودولة بني الأحمر.

المبحث الأول: الشـــواعر الأندلسيات في عصـــــر المرابطين.

المبحث الثاني: الشواعر الأندلسيات في عصري الموحدين ودولة بني الأحمر.

المبحث الأول:

الشـــواعر الأندلسيات في عصري المرابطين و الموحدين.

خلال حكم الطوائف صارت الأنْدَلُس في تفكـــك، وألـــح النصـــارى الأســـبان فـــي استنزاف قواها وإنهاكها، حتى سقطت طُليطلة وبلنسية.

ثم اتجهت أنظار ملوك الطوائـــف صـــوب عُـــدوة المغـــرب مســـتنجدة بـــإخوانهم المرابطين، ولبى أميرهم النداء، فعبر الجيش المرابطي للأنْـــدَلُس مجاهـــداً فـــي ســـبيل الله، فكانت معركة الزلاقـــة ســـنة 479ه 1086م، حيـــث رُد الجـــيش القشـــتالي علـــى أعقابه خاسراً ممزقاً، وكان نصراً عزيزاً اهتزت لـــه النفـــوس فـــي الأنـــدلس والعـــالم الإسلامي كله.[1]

تم احتلال المـــرابطين للأنْـــدَلُس بالاســـتيلاء علـــى بلنســـية ســـنة 495ه (1102م) التي كانت قد سقطت في يـــدي القمبيطـــور رودريكـــو ديـــاز ســـنة 478ه (1085م). وبتسليم سُرقســـطة قصـــب آل هـــود بعـــد وفـــاة المســـتعين ســـنة 503ه (1110م)، وصادفت الأنْدَلُس نجاحات أحرزتها جماعة المرابطين[2].

الشاعرة: بثينة بنت المعتمد بن عباد:

صُنفت الشاعرة بثينة بنت المعتمد ضـــمن شـــواعر العهـــد المرابطـــي، إذ إن مـــا عُثر عليها من أشعار كان بعد أن غُوِّض ملك أبيهـــا بـــل وقالتهـــا بعـــد ســـبيها، ولمـــا كان معرفة الشـــاعرة بإنتاجهـــا الشـــعري حُـــق للباحـــث أن يضـــعها ضـــمن العهـــد المرابطي. فهي الأميرة الشاعرة بنت الملـــك الشـــاعر وملـــك الشـــعر، بنـــت الملكـــة الشاعرة "الرميكية" فهي سليلة المُلك والشعراء.

وبثينة شاعرة من شواعر الأندلس وأمّهـــا الرميكيـــة ســـابقة الـــذكر فـــي الفصـــل الثاني من هذا البحث، وكانت بثينـــة هـــذه نحـــواً مـــن أُمِّهـــا فـــي الجمـــال البـــارع،

- الحجي، عبد الرحمن علي ، التاريخ الأندلسي؛ من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، دار القلم، ط2، دمشق، سورية، 1981م، ص 421 1

- ج. س. كولان، الأندلس، تر، إبراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب اللباني والمصري، ط1، بيروت والقاهرة،1980م، ص 124 2

والحسن الباهر، وحلاة النادرة وسريعة الخاطر وحاضرة الجواب، ونظم الشعر، ولمّا أحيط بأبيها ووقع النهب في قصره كانت من جملة من سُبي، ولم يزل المعتمد والرميكية عليها في ولَه دائم لا يعلمان ما آل إليه أمرها إلى أن كتبت إليهما بالشعر المشهور المتداول بين الناس بالمغرب، وكان أحد تجّار إشبيلية اشتراها على أنّها جارية سُرّيّة ووهبها لابنه، فنظر من شأنها وهُيِّئت له، فلمّا أراد الدخول عليها امتنعت، وأظهرت نسبها، وقالت: لا أحل لك إلا بعقد النكاح إنْ رضي أبي بذلك، وأشارت عليهم بتوجيه كتاب من قِبَلها لأبيها، وانتظار جوابه، فكان الذي كتبته بخطها من نظمها ما صورته:[1] (الكامل)

اسمعْ كلامي واستمعْ لمقالتي فهي السلوكُ بَدَتْ من الأجيادِ
لا تنكروا أنّي سُبيتُ وأنّني بنتٌ لملكٍ من بني عبّادِ
مَلْكٌ عظيمٌ قد تولّى عصرهُ وكذا الزمانُ يؤول للإفساد
لمَّا أراد اللهُ فُرقةَ شمْلِنا وأذاقنا طعمَ الأسى عن زاد
قامَ النفاقُ على أبي في مُلْكِهِ فدنا الفراقُ ولم يكن بمراد
فخرجتُ هاربةً فحازني امرؤٌ لم يأتِ في إعجاله بسداد
إذ باعني بيعَ العبيدِ فضمني مَنْ صانَني إلّا من الأنكاد
وأرادني لنكاح نجلٍ طاهرٍ حَسُن الخلائق من بني الأنجاد
ومضى إليك يسومُ رأيك في الرضى ولأنت تنظرُ في طريقِ رشادي
فعساكَ يا أبتي تُعرِّفني بهِ إنْ كانَ ممّنْ يُرتجى لوداد
وعسى رميكيةُ الملوكِ بفضلها تَدْعُو لنَا باليُمنِ والإسعاد

الأميرة الشاعرة بهذه القصيدة تسرد وتحكي قصة واقعية حدثت لها ولأبيها، فحولت هذه القصة إلى قصيدة كاملة وبطريقة تقريرية، مستجيبة لحكم القدر، فهي تأكد لوالديها سبيها، وهي ما زالت في عفتها وعزتها، وكبريائها، وهي الأميرة وإن كانت أسيرة، رافضة الزواج دون أمر وليها!، واصفة خطيبها وما

1 - كحالة، أعلام النساء، ج1 ص 118-119 والنفح ج4 ص284

يمتاز به من نبل وحسن الخلق، مبدية موافقتها بالزواج منه! وتطلب موافقة والديها على ذلك إذ صار الأمر أخف من رقها واتخاذها جارية، ويمكن دمج هذه القيصدة في غرض الشعر القصصي التقريري.

فلمّا وصل شعرها لأبيها وهو بأغمات[1]، واقعٌ في شِراك الكُروب والأزمات، سُرَّ هو وأمها بحياتها، ورأيا أنّ ذلك للنفس من أحسن أمنياتها، إذ علما مآل أمرها، وجبر كسرها، إذ ذلك أخف الضررين، وإنْ كان الكرب قد ستر القلب منه حجابُ رَيْن، وأشهد على نفسه بعَقْد نكاحها من الصبي المذكور، وكتب إليها أثناء كتابه ممَّا يدل على حسن صبره المشكور قال:[2]

بنيتّي كوني به بَرَّةً فَقَدْ قضى الوقتُ بإسعافه

الشاعرة: حمدة بنت زياد، ويقال لها حمدونة بنت زياد المؤدب؛ (خنساء المغرب):

تضاربت أقوال المصادر في ترجمتها: ما بين حمدونة وحمدة، وكونها ابنة زياد بن بقي العوفي المؤدب، أو ابنة زياد من بني الغيث، أو ابنة زياد بن عبد الله العوفي فاتفق المقري التلمساني والسيوطي على أنها حمدة بنت زياد بن عبد الله المؤدب، من ساكني وادي الحمة؛ بقرية بادي؛ من وادي آش _ مدينة قرب غرناطة_[3]، وكانت تلقب بخنساء المغرب، وشاعرة الأنْدَلُس، ذكرها الملاحي وغيره، وكانت أيضاً كاتبة، ولها أخت شاعرة اسمها زينب، وقد ذكر ابن سعيد أنهما كانتا من أهل الجمال والمال والصون، إلا أن حب الأدب كان يحملهما على مخالطة أهله مع صيانة مشهورة ونزاهة موثوق بها، وهما من نسوة يعرفن بـ"العربيات"؛ لمحافظتهن على المعاني العربية.[4]

وقال عن عهدها وشعرها الإمام السيوطي: "... وهي أسبق من ولادة عهداً، وأبعد منها مدى، وفي شعرها أُنوثة كاملة، وسهولة نادرة، وخيال بديع"[5]

1- أغمات: ناحية في بلاد البربر من أرض المغرب قرب مراكش -محل أسر المعتمد-.
2- النفح ج4 ص 285 واعلام النساء، ج1 ص 119
3- الروض المعطار في أخبار الأقطار والإحاطة في أخبار غرناطة ج2 ص 56 وأعلام النساء ج1 ص 292
4- تحفة القادم، أبي عبد الله محمد بن الأبار، أعاد بناءه وعلق عليه إحسان عباس،ط1 1986م، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان ص 234 والإحاطة ج2 ص 59 ومعجم الأدباء ج3 ص 1211 وما بعدها
5- نزهة الجلساء للسيوطي ص 47

وممن روى عنها أبو القاسم بن البراق، وأنشد لها القاضي أبو يحيى عتبة بن محمد بن عتبة الجراوي، ومن عجيب شعرها قولها:[1] الطويل

ولّما أبَى الواشونَ إلا قِتالنا وما لهمُ عندي وعندكَ من ثأرِ
وشنُّوا على آذانِنا كلّ غارةٍ وقَلّتْ حُماتِي عند ذاك وأنْصاري
رميتُهمُ من مقْلَتَيْكَ وأدْمُعي ومن نفسي بالسيفِ والسيلِ والنارِ

تقول أن هواة الإيقاع بين المحبين – الواشين– ينقلون أحاديث كاذبة، وليس هناك ما يوجب هذه العداوة بينهم وبين المحبين، راحتهم في فراقهم دون ثأر بينهما وبينهم، ولا يستريحون إلا إذا شنو غارات من كلام كاذب، والناس يصدقون، وتقل الحُماة والأنصار عند ذاك، فمن يدافع ومن يرد الغزو بالغزو؟ تجيب الشاعرة عن ذلك في البيت الثالث، فما حك جلدك مثل ظفرك فتول أنت جميع أمرك. فهكذا نبض قلب الشاعرة حمدة بنصيب من هذا اللون الممزوج فيه الغزل بالوصف والحماسة الوجدانية التي تجلى فيها إبداع الشاعرة وتمكنها من التركيب الرائع، وتصف الشاعرة موقفها مع الوشاة كالجيشين على أرض المعركة، فهي تورد الغزوة، والرمي، وتشير إلى مقلتيها بالسيف، وإلى أدمعها بالسيل، ووجدانها بالنار.

وقال المقري في نسبة هذه الأبيات للشاعرة مهجة بنت عبد الرازق: "وبعض يزعم أنّ هذه الأبيات لمهجة بنت عبد الرازق الغرناطية، وكونها لحمدة أشهر، والله سبحانه وتعالى أعلم"[2].

وأما شعرها فهو قِطْعات مختلفة نُظمتْ في مناسبات شتى، ونقل عنها أبو الكرم جودي بن عبد الرحمن الأديب قال: أنشدني أبو القاسم ابن البراق قال:

1- الإحاطة في أخبار غرناطة ج2 ص58 تحفة القادم ص 235 و أعلام النساء ج1 ص293 و النفح ج4 ص287 ونزهة الجلساء ص 45
2- نفح ج4 ص 287 ومعجم الأدباء ج3 ص 1213 ورايات المبرزين وغايات المميزين، تح، نعمان عبد المتعال القاضي ص 95

أنشدتني حمدة بنت زياد العوفية وقد خرجت متنزهة بالرملة مرّة مع صبية، فلمّا نضت عنها ثيابها وعامت، وقيل إنها رأت ذا وجه وسيم أعجبها قالت:[1]

أباحَ الدمعُ أسراري بِوَادي لهُ للحسنِ آثارٌ بَوَادي[2]
فمِنْ نهرٍ يطوفُ بكلّ روضٍ ومن روضٍ يطرفُ بكل وادي
ومِنْ بينِ الظِّباء مهاةُ إِنْسٍ سبت لبي وقد سلبَتْ فؤادي
لها لَحْظٌ تُرقّده لأمرٍ وذاكَ الأمرُ يَمْنعُني رقادي
إذا سدلَتْ ذوائبَها عَلَيْها رأيتَ البدرَ في جنح السوادي[3]
كأنّ الصّبحَ ماتَ لهُ شقيق فمِنْ حزنٍ تَسَرْبَلَ في الحدادي[4]

مما يلاحظ على هذه الأبيات من ضمائر المؤنث، تنفي الرواية التي نصت على مناسبة هذه الأبيات من كونها قيلت في فتى وسيم!.

أيضاً هذه الأبيات حفلت بمكونات الطبيعة الأندلسية الغلابة، الأرضية من: وادي، ونهر، وروض، وظباء، ومهاة، والسماوية كالبدر.

استطاعت الشاعرة حمدة أن ترسم صورة تشخيصية متحركة للطبيعة الأندلسية وهذا دليل على تبحرها في استخدام المعاني ونسجها في لوحات شعرية.

وتؤكد هذه الأبيات أيضاً ظاهرة مهمة كانت في حياة الأندلسيين: هي ظاهرة الخروج للتنزه والتمتع بما حوتها الطبيعة الأندلسية من سحر، وما يهمهم في هذا الخروج إلى الطبيعة وقد أكدتها الشاعرة حمدة هي الحرية التامة للمرأة والخروج من التقاليد المانعة لحرية المرأة، ولكن يلحظ في هذه الأبيات، خروج النساء معاً دون الرجال، ولكن ربما تعود هذا لشخصية الشاعرة حمدة المتعففة والمتصوفة التي تمنعها من الاختلاط.

2- الإحاطة ج2 ص57 و الذيل والتكملة ج5 ص 415 أعلام النساء ج1 ص 293 و تحفة القادم ص 235 و النفح ج4 ص 288 و المطرب من أشعار أهل المغرب ص 11 ونزهة الجلساء ص 47 شعراء العرب ص 530 ومعجم الأدباء ج3 ص 1212 ورايات المبرزين ص 94

- هذه الأبيات في معظم المصادر مع بعض اختلاف في الرواية، وفي مناسبتها 2

- جاء اللفظة في المقتضب {الدآدي} و الدآدي : ثلاث ليال من آخر الشهر/ ويقال لليوم الذي يشك فيه من الشهر الحرام {دأداء} وهن ليال مظلمات أيضاً 3

- ورد عجز هذا البيت في المرأة العربية في جاهليتا وإسلامها { فمن حزن تسربل بالسواد } 4

وفي هذا تجدر الإشارة إلى قول خير الدين الزركلي: "كانت حمدة بنت زياد من المتأدبات المتصوفات"[1].

وهذا القول يمنع الباحث من إدراج هذه الأبيات في غرض الغزل الشاذ- غزل المرأة بالمرأة – بينما يمكن القول بأنها مزج الغزل بالوصف أو الغزل بالطبيعة، ولكن ذاك القول لا يمنع من أن الشاعرة قد عاشت قصة حب عادية بناء على قولها في الوشاة: "**ولما أبى الواشون**".

من الملاحظ على الوصف عند الشواعر الأندلسيات، الخلو من الألفاظ البدوية، وذلك لأن الوصف يرتبط بمكونات البيئة المحيطة بالشاعرة سوى بعض منهن، وأن الطبيعة الأندلسية حوت على ما تتصل بالحياة الحضرية، لذلك جاء شعر الشواعر الأندلسات خالياً عن كل المعاني البدوية.

ويرى الباحث أن رواية عمر رضا كحالة قد أثبتتَ عنده "**فمن حزن تسربل بالسواد**"، غير موفق فيه وذلك:

أولاً: أن مثل الشاعرة حمدة لا تستعصي عليها الكلمات حتى تكرر اللفظ بعينها في بيتين متتاليتين.

ثانياً: جرت عادة الأندلسيون لبس البياض في الحداد بدلاً عن السواد[2]

ثالثاً: استخدامها للكلمة المجازية{ تسربل بالحداد} تغنى عن التفصيل بتحديد اللون

وقد أورد المقري في صوغ هذه الأبيات قولاً: "وقال ابن البراق في سَوْق هذه الحكاية: أنشدتنا حمدة العوفية لنفسها، وقد خرجت متنزهة بالرملة من نواحي وادي آش فرأت ذات وجه وسيم أعجبها، فقالت – وبين الروايتين خلاف- : "**أباح الدمع**، إلى آخره، ونسب بعضهم إلى حمدة هذه الأبيات الشهيرة بهذه البلاد المشرقية"[3].

ولها أيضاً وقد أحسن القائلُ ما شاء في وصف وادٍ:[4]

1- الزركلي، خير الدين ، الأعلام؛ قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، ط15، بيروت، لبنان،2002م، ج2 ص 274

- الحياة الاجتماعية في الفصل الأول من هذا البحث 2

- نفح ج4 ص 288 3

4- الأربيلي، الصاحب بهاء الدين المنشيء، التذكرة الفخرية، تح، حاتم صالح الضامن، دار البشائر، ط1 دمش سورية،2004م، ص 264 ، انظر شعراء العرب 531 ونزهة الجلساء، ص 47 و النفح ج4 ص 288

وقانا لفحةَ الرمضـــــاءِ وادٍ وقاه تضاعَفُ النبتِ العمــيمِ
نزلنا دَوْحَه فَحَنَا علَيـــــــــنْا حُنُوَّ المرضعاتِ على الفطيم
وأرشَفَنا على ظمـــــــأٍ زُلالاً ألذَّ من المُدامَة للنـــّـديم
يَرُوعُ حَصَاهُ حاليةَ العذارى فتلمسُ جانبَ العقدِ النـــظيم
يصدُّ الشمسَ أنّى واجــهتنا فيحجبُها ويأذَنُ للنَّســـــــيم

فهذا الأسلوب مــن الشــعر لا تجــد أرقّ ولا أنغــم فــي الآذان، ولا أنــدى علــى الأكباد منه، فالشاعرة حمدة تصف وتبدع فــي وصــف "وادى آش" فتجــذب بمعانيهــا النفوس، وتجعلها تشاركها حنان وجمال تلك الدوحة.

تصور الشاعرة وبأحاسيس وعواطف متقدة؛ جمال الــوادي وقــد كســته الأعشــاب المخضرة والأشجار الملتفة ذات الأيك والأكمــام، مشــبهة تلــك الدوحــة بالمرضــعة في حنانها على فطيمها، وكيــف كــان صــفاء المــاء الــزلال، مستحضــرة مجــالس الندماء، وتظل تصف ما يمر بقــرب الدوحــة مــن نهــر صــاف ذي حصــى يــتلألأ وكأن العذاري يلمسن العقود على أعناقهن ومنظرهن ينعكس على الماء الصافي.

وفي هذه الأبيات أيضاً قال المقــري: "وممــن جــزم بــذلك الرعينــي، وقــال: إنّ مؤرخي بلادنا نسبوها لحمدة من قبــل أنْ يوجــد المنــازي[1] الــذي ينســبها لــه أهــل المشرق، وقد رأيــتُ أن أذكــر كلامــه برمتــه ونصــه: كانــت مــن ذوي الألبــاب، وفحول أهل الآداب، حتى إنَّ بعض المنتحلــين تعلــق بهــذه الأهــداب، وادعــى نظــم هذين البيتين – يعني: **ولما أبى الواشــون** إلــى آخــره – لِمــا فيهمــا مــن المعــاني والألفاظ العذاب، وما غرَّه في ذلك إلا بُعْدُ دارها، وخلــو هــذه الــبلاد المشــرقية مــن أخبارها، وقد تلبّس بعضهم أيضاً بشعارها، وادعى هذا مــن أشــعارها، وهــو قولهــا: **وقانا لفحة الرمضاء وادٍ**، إلى آخره، وإنّ هذه الأبيــات نســبها أهــلُ الــبلاد للمنــازي من شعرائهم، وركبوا التعصب في جــادة ادعــائهم، وهــي أبيــات لــم يخلبهــا غيــر لسانها، ولا رقم برديها غير إحسانها، ولقد رأيتُ المــؤرخين مــن أهــل بلادنــا وهــي

- المازي: هو أبو جعفر الأندلسي الغرناطي 1

الأندلس أثبتوها لها قبل أن يخرج المنازي من العدم إلى الوجود، ويتصف بلفظة الموجود"[1].

وحكى ابن العديم : "وبلغني أنّ المنازي عمل هذه الأبيات ليعرضها على أبي العلاء المعري، فلما وصل إليه أنشده الأبيات، فجعل المنازي كُلما أنشد المصراع الأول من كل بيت سبقه أبو العلاء إلى المصراع الثاني الذي هو تمام البيت كما نظمه، ولمَّا أنشده قوله:

نزلنا دَوْحَهُ فحنا علينا

قال أبو العلاء:

حُنوّ الوالدات على الفطيم

فقال المنازي: إنّما قلتُ: "على اليتيم" فقال أبو العلاء: الفطيم أحسن[2].

وهذا شهادة لها من أبي العلاء على قدرة الشاعرة على اقتحام الألفاظ وصوغها في قوالب جيدة السبك تناسب الفكرة العامة للأبيات، ودليل نسبتها إلى الشاعرة حمدة رغم أن أبا العلاء لم يصرح بذلك.

وقال ابن سعيد: يقال لنساء غرناطة المشهورات بالحسب والجلالة "العربيات" لمحافظتهن على المعاني العربية، ومن أشهرهن زينب بنت زياد الوادي آش، وأختها حمدة، وحمدة هذه هي القائلة: وقد خرجت إلى نهر منقسم الجداول بين الرياض مع نسائها فَسَبَحْنَ في الماء وتلاعَبْنَ:[3] "**أباح الدمعُ أسراري بوادي**"

ومن قولها:

ألا مُسعِدٌ مُنجزُ ذو وطن يبكي بدمع مَعِينَ هَين

جزيرة أندلس حسرة لا غالب من حقود الزّمن

2- الحموي، ياقوت الرومي، معجم الأدباء؛ إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح، إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان،1993م، ج3 ص 1213 و النفح ج4 ص 289

1- ابن العديم، الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة، بغية الطلب في تاريخ حلب، تصف، تح: سهيل زكار، دط، دت، دار الفكر، بيروت، لبنان، ج / ومعجم الأدباء ج3 ص 1212 / و النفح ج4 ص289

- النفح ج4 ص 290 3

الشاعرة: هند جارية أبي محمد عبد الله بن مسلمة الشاطبي:

هند خادم أبي محمد ابن مسلمة الشاطبي الكاتب وكانت أديبة شاعرة، كتب إليها أبو عامر بن يَنّق يدعوها للحضور عنده بعودها:[1] السريع

يا هندُ هل لكِ في زيارةِ فتيةٍ نبذوا المحارمَ غيرَ شربِ السلسلِ
سمعوا البلابلَ قد شَدَتْ فتذكروا نغماتَ عُودِكِ في الثقيلِ الأولِ

وهذا دليل على وجود تبادل الرسائل الشعرية في إطار الحوار اللغوي الفني، ولم تقتصر على الشواعر الحرائر فحسب كما كان بين عبيد الله المهدي ومريم القرطبية، وإنما بين الجواري ومواليهن كذلك، كما أن الطبيعة حاضرة عندهم، وكذا مجالس أُنسهم.

فكتبتْ الجواب إليه في ظهر الرقعة:[2] السريع

يا سيداً حازَ العُلا عن سادةٍ شُمِّ الأنوفِ من الطِرازِ الأولِ
حَسْبي من الإسراعِ نحوكَ أنّني كنتُ الجواب مع الرسولِ المقبلِ

بهذه تكون الشاعرة قد دخلت في تصنيف شاعرة البديهة، حيث قدرتها على التحاور الشعري السريع، وعلى نهج البحر والقافية، مما يؤكد مقدرتها وموهبتها الإبداعية، ومع ذلك فإن أبياتها قد جاءت رداً لطلب الوزير، وربما لم تكن من محبوباته بقدر ما يُلمح أنها مغنية " **نغماتَ عودكِ**" وقد بعدتْ عن شعر المديح الخالص إذا لم تبادر بالمدح إلا بعد أن طُلب منها الحضور، فمدحها لإبي عامر يُعد مجاملة ولياقة أدبية عادية، ومع ذلك فإنها الوحيدة في عصر المرابطين قد خاضت تجربة المدح من خلال ما وصلت من أشعار الشواعر الأندلسيات في العصر المرابطي.

الشاعرة: نزهون الغرناطية:

هي نزهون بنت محمد بن سعيد القُلَيْعِي صاحب أعمال غرناطة في أيام المرابطين، وقد عاصرت نزهون هذه حمدة بنت زياد أو قاربت عصرها، فهي

1 - النفح ج4 ص 293 والمغرب ج2 ص21 والتحفة ص 239
2 - نفح ج4 ص 294

شاعرة وأديبة من شواعر غرناطة، وكانت واحدة صنفها في أدبها، وهي غاية في الحسن بعيدة، ومحاسنها شهيرة، وكانت من غرر الفاخر الغرناطية.[1]

قال ابن سعيد: "إنها من أهل المائة الخامسة"[2]، وذكرها الحجاري ووصفها بخفة الروح، والانطباع الزائد، والحلاوة، وحفظ الشعر، والمعرفة بضرب الأمثال، مع جمال فائق، وحسن رائق، وكان الوزير أبوبكر بن سعيد أولع الناس بمحاضرتها ومذاكرتها ومراسلتها، فكتبَ لها مرة:[3] المجتث

يا مَنْ لها ألف شخصٍ من عاشقٍ وعشيقِ[4]

أراكِ خلّيتِ للنَا سِ سدّ ذاك الطريق

يقصد بهذين البيتين الذين يدخلان في لون العتاب، أن الشاعرة تركت لمحبيها أن يمدوا جسور المحبة بينهم وبينها، وفتحت قلبها للجميع و كأنما أعدت للجميع منزلاً على الطريق، فتملكته الغيرة، فلقد كان كل ما يتمناه أن تكون له وحده!.

فأجابته[5]: الطويل

حللتَ أبا بكرٍ محلَّا منعتُهُ سواكَ، وهل غيرُ الرفيعِ له صدري

وإنْ كان لي كَمْ مِنْ حبيبٍ فإنّما يُقدِّمُ أهلُ الحقِّ فضلَ أبي بكرِ

تقول: إنها غير ما يقوله أبوبكر، حيث لم تكن تهوى غيره، وكأن أبا بكر يعلم ذلك فتسائله: وهل هناك من أحبه غيرك؟، وهناك مجاز مرسل في كلمة صدري حيث ذكرت المحل (الصدر) وأرادت الحال (القلب) مجاز مرسل علاقته المحلية.

- ابن الأبار، تحفة القادم، ص 236 وأعلام النساء ج5 ص 167 والإحاطة في أخبار غرناطة ج4 ص191 ورايات المبرزين ص 191

- المغرب و النفح ج4 ص 295 ونزهة الجلساء ص 84 2

3- انظر رايات المبرزين تح: نعمان ص 91 وتح، الداية ص 160 و تحفة القادم ص 236 و المسهب الحجاري وانفح ج4 ص 295 أعلام النساء ج5 ص168 والإحاطة ج4 ص

- وردت الأبيات في النفح ونزهة الجلساء: {يا من لها ألف خل من عاشق وصديق} ، {أراك خليت للنا س منزلا في الطريق} 4

- الإحاطة في أخبار غرناطة ج4 ص 191 و النفح ج4 ص 295 وتحفة القادم ص 237 ونزهة الجلساء ص 84 ورايات المبرزين ص 92 5

وفي البيت الثاني تورية جميلة، فالناس حقاً يقدِّمون أبا بكر الصديق على غيره من الناس لما له من سابقة في الإسلام، وهو رفيق الهجرة والغار، ولكنها لا تعني سيدنا أبابكر رضي الله عنه كما في ظاهر المعنى، وإنما تعني "أبا بكر بن سعيد"، والتورية فن من فنون البديع التي أولع بها أهل المشرق، وقلدهم فيها المغاربة.

يلاحظ أن الشاعرة نزهون قد خاضت تجربة إبداعية فريدة، تتجلى في هذا الإبداع الفني للشاعرة في اتخاذها من التاريخ الإسلامي مجالاً لتصوير عواطفها الصادقة تجاه حبيبها الوزير أبي بكر بن سعيد، فقد اختارته من بين عامة الناس تفضيلاً بمحسن بديعي تتمثل في: "التورية" التي توجد في لفظة "أبي بكر"، حيث تنصرف إلى صديق رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، كما تنصرف إلى عشيقها الوزير أبي بكر، وهي أيضاً واحدة من الشواعر اللاتي عمدن إلى ضرب المراسلات الشعرية، ولكنها قصرت عن سابقاتها، حيث جاء ردها في غير موافقة للرسالة من ناحية الوزن والقافية، ولكن هذا لا يقلل من قدرتها على مجارات صويحباتها في هذا المضمار.

قيل: لو قالت: "**وإن كان خلاني كثير... إلخ**" لكان أجود. ولمّا قال فيها المخزومي* أستاذها[1]: الطويل

على وجهِ نَزْهُوْنٍ من الحسن مسحةٌ وإنْ كان قد أضحى من الصّونِ عاريا[2]

قواصدُ نزهونٍ توارِكُ غيرها ومن قصد البحرَ استقلّ السواقيا

وقد ردت على هذا الوابل من الهجاء قالتْ وهي تدفع عن نفسها المزاعم مرة والانتصار لأنوثتها ونفسيتها الأديبة الشاعرة مرة أخرى:[3]

إنْ كانَ ما قُلْتَ حَقّاً مِنْ بعضِ عهدٍ كريمِ

فصار ذكري ذميماً يُعْزَى إلى كلِّ لومِ

- تحفة القادم ص 237 و نزهة الجلساء ص 85 والنفح ج4 ص 296 والإحاطة ج1 ص848 1

***المخزومي: هو أبوبكر محمد الأعمى المخزومي؛ بشار الأندلس انطباعا ولسنا وأذاة، وهو الذي أحيا سيرة الحُطيئة بالأندلس فمُقت، وكان لا يسلم من هجوه أحد، ولا يزال يخط الآفاق بعصاه، ويقع فيمن أطاعه وعصاه، وأصله من المدو، قرأ بقرطبة ثم جال على البلدان، وأكثر الإقامة في غرناطة.**

- ورد عجز البيت في النفح ج4 ونزهة الجلساء ص85: { وتحت الثياب العار لو كان باديا } 2

- النفح ج4 ص296 ونزهة الجلساء ص 85 وتحفة القادم ص 3238

وصرتُ أقبحَ شـــــــيء في صورة المخزومي

حاولتْ الشاعرة في هذه المرة أيضاً أن ترد بصورة مهذبة، ربما أخافتها سيول الهجاء الذي يمكن أن ترمي بها في غياهب الفضائح، أو ربما أرادت أن تحترم مجالس الأمـــراء والوزراء، والبلاط السلطانية، إذ إن كل هذه المساجلات كانت تدور رحاها فـــي مجلـــس الوزير أبي بكر بن سعيد.

وقد استمر الأعمى المخزومي في التعـــرض لتلميذتـــه الشـــاعرة نزهـــون فهجاهـــا بقوله:[1]

ألا قل لِنزهونةٍ ما لـــــها تجُّر من التيـــهِ أذيالها

و لو أبصرتْ فَيْشَةً شَمَّرتْ – كما عَوَّدَتنيَ – سِربالها[2]

تمزيق لعِرض الشاعرة نزهون، وتخديش لها في تحصينها، بهذه الأبيات غير اللائقات وصف المخزومي الشاعرة نزهون بممارسة الرذائل على الكثرة، وبخاصة مع أســـتاذها الذي يهجوها، فهو غير آبه حتى في أن يمزق عرضه بغية تحطيم الشاعرة.

ثم قالت فيه[3]: المجتث

قُل للوَضيعِ مقـــــــالاً يُتْلَى إلى حين يُحشرْ

من المدوَّر أُنْشِئْـــــــــــ ـــــت والخرا منه أعطر

حيث البداوةُ أمستْ في جهلـــــها تَتَبَخْتَرْ

لذاك أَمْسَيْتَ تَهْـــوَى حُلُولَ كـــــــل مُدَوِّرْ

خُلِقْتَ أعمـــى ولكنْ تَهِيمُ في كـــــــلِّ أعورْ

جاوبتُ هجواً بهجـــو فقُلْ لُعِنْتَ مَنْ أشعرْ؟

إنْ كُنتُ في الخلقِ أُنثى فإنّ شِعْرِي مُـــــذَكّرْ

يلاحظ الثأر من الشاعرة لشرفها وعِرضها بل لأنوثتها، ففحشت في قولها، مع تقديسها بإضافتها وتوظيفها للكلمات القدسية من نحو: يُتْلى، والحشر، مع تأكيدها لمقدرتها الفنيـــة

- المغرب في حلى المغرب ج1 ص228 1

-السربال: كل ما يلبس من قميص ونحوه 2

- المغرب في حلى المغرب ج1 ص 228 وأعلام النساء ج5 ص 169 3

والشاعرية على مضارعة من يهجوها، بل بألفاظ أكثر قذارة وبذاءة، دون الالتفات إلى مَن حولها ومكانتهم الاجتماعية، فوصفته بأنه من منشأ البدو الذي يكون ساذجاً سمجاً لا يستطيع الاستفادة من حياة الحضر ونعيمها.

ففي إذكاء جذوة نيران الهجاء بين الشاعرة نزهون وأستاذها الشاعر المخزومي، تضارع فيما نشب بين الشاعرتين حفصة وولادة، فكل منهما تحاول تمزيق صاحبها، فلا تظهر التأدب والاحترام للأستاذ.

ولم تكن الشاعرة نزهون قد بدأت بالهجاء، بدليل البيت قبل الأخير" **جاوبت شعراً**"، كما أنها استفادت من معنى بيت أبي النجم العجلي في مراجزة العجاج، وقوة شعره وخوف الشعراء منه بأن شيطانه ذكر وشيطان غيره أنثى قال:[1]

إني وكلُّ شاعرٍ من البشر شيطانه أنثى وشيطاني ذكر

وربما هنا تحدثت عن التميز من حيث النوع ، مع إشارتها إلى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾[2]

وقال لها بعض الثقلاء: ما عليَّ من آكلُ معك خمسمائة سوط؟ فقالت:[3] الطويل

وذي شقوةٍ لمّا رآني رأى لَهُ تمنّيه أنْ يَصلى معي جاحمَ الضربِ
فقلتُ: لَهُ كُلْها هنيئاً فإنّما خُلقتُ إلى لبس المطارف والشربِ

لم تتورع الشاعرة نزهون في هجائها حتى من معجبيها، فردت لمن أُعجب بها فقط بالأكل والمجالسة معها، ولو كان ثمن ذلك العذاب، فسخرت منه، وكرهت منطقه الثقيل، فوصفته بالشقاء والبؤس، والدمامة التي لا تحتملها النفوس والأرواح الجميلة.

4- ديوان أبو النجم العجلي، جم وشر وتح، محمد أديب عبد الواحد جمران، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دت، سورية دمشق ص161- 162/ انظرالشعر والشعراء ص 603 والحيوان للجاحظ ج 6ص226

- آل عمران 23 .
- نفح الطيب، ج4 ص296 3

قال المقري التلمساني: "حُكي أنّها كانت تقرأ على أبي بكر المخزومي الأعمى، فدخل عليهما أبو بكر الكتندي، فقال يخاطب المخزومي":[1] الكامل محذوذ

لو كُنتَ تُبصرُ من تجالسه

فأُفحم، وأطال الفكر فما وجد شيئاً، فقالت نزهون:[2]

لغدَوْتَ أخرسَ من خلاخلهِ[3]

البدرُ يطلعُ من أزرِّتِهِ والغصنُ يمرحُ في غلائلهِ[4]

تحدت نزهون الشاعر المخزومي، في إجازتها لبيت الكتندي، وأضافت بيت آخر، تتحدث عن زهوها وجمالها وأنوثتها الساحرة الفاتنة، بدقة ورقة وسرعة بديهة، مستأنسة بالطبيعة الحالمة، حيث استحضرت في ارتجال الطبيعة من بدر السماء وأغصان الرياض.

وكانت نزهون شاعرة ماجنة، كثيرة النوادر، وهي التي قالت لأبي بكر بن قزمان الزجال، وقد أتى بغفارة صفراء، وكان قبيح المنظر: أصبحتَ كبقرة بني إسرائل ولكن لا تسر الناظرين[5]، إشارة في ذلك إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾[6].

وهنا إشارة إلى تفضيل بقرة بني إسرائيل على أبي بكر بن قزمان، منظراً وجمالاً، فما كان بها أن تجرأ لمثل هؤلاء الفحول من أدباء زمانها، إلا أنها تؤكد مقدرتها وتفوقها الأدبي على كل من يُشْتم منه راحة النيل من حصنها وحياءها.

ومن شعرها تصف ليلة قضتها مع من تحب، قولها[7]:البسيط

لله درُّ اللّيالي ما أُحيسنُها وما أُحيسنُ منها ليلةِ الأحَدِ

3- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج4 ص190 والنفح ج4 ص298 والذيل والتكملة ج5 ص 425 ورايات المبرزين ت: نعمان 91 وتح، الداية ص 160

- الذيل والتكملة ج5 ص 425 والنفح ج4 ص 298 ورايات المبرزين تح، نعمان ص 91 وتح، الداية ص 160 2

- الخلاخل: جمع خلخال وهي من الأسورة التي تتزين بها المرأة تُلبس على الأرجل. 3

- غلائله: لباس رقيق تلبس تحت الثياب 4

- المغرب في حلى المغرب ج2 ص 121 ورايات المبرزين تح، الداية ص 159 5

- البقرة (69) 6

- النفح ج4 ص 298 وتحفة القادم ص 237 7

لو كنتَ حاضرنا فيـــــها وقَدْ غفلتْ عينُ الرقيب فلمْ تنظرْ إلى أحدِ

أبصرتَ شمسَ الضُّحى في ساعديْ قمرٍ بل ريمَ خازمةٍ في ساعدَيْ أســدِ

إنها تحسس المستمع بصورة حكوية تقريرية، مع استخدامها أسلوب التصغير لتحبيب القصة للمتلقي، وإبراز مواطن جمال الليلة، وقد غفلت عنهما عين الرقيب، وهذا دليل علـــى الخـــوف الذي ينتاب الشاعرة، فهي تختلف عن أخواتها الشواعر، إذ كن يتمنين في غزلهن، غيـــر أنهـــا تصف ليلتها الموصولة بنوع من الانكشاف.

وتُعد الشاعرة نزهون واحدة من الشعراء والشواعر المحبـــين للطبيعـــة الأندلســـية، وتتجلى ذلك في استخدامها للمعاني المتداولـــة(HackneyedFigures)، مـــع اســـتقائها للمعاني من مثل: (الشمس، والضحى، والقمر، والريم، والاسد).

أيضاً يلاحظ استخدامها لكلمة (الليل)، علماً بأن الليل هي فترة زمنية محـــددة، ولكـــن تختلف من شاعر لآخر، فليلة الأحد هي من أجمـــل الليـــالي عنـــد الشـــاعرة نزهـــون، واستخدامها التصغير لكلمة (الحُسن) لتلك الفترة دليل على جمالها وقصرها.

ولها في قبيح الصورة عَرَضَ لخِطبتها[1]:

عذيري من أنـــــــــوكٍ أصلعِ سفيهِ الإشارة والمنـــــــــزعِ[2]

يروم الوصالَ بما لو أتى يرومُ به الصفعَ لم يصفع

برأسٍ فقيرٍ إلى كـــــــــية ووجهٍ فقيرٍ إلى برقـــــــع[3]

تراه قد أشبعته هجاءً من دون أن تحفظ له كرامة، فوصفته بصورة القبح والحمق والغبـــاء، وسفه الهمة، بل وأنه لو أتاها لتصفعه لم يكن على مستوى الصفع من شدة دمامة وجهه الـــذي يحتاج إلى ما يستر قبحه من برقع ونحوه، حتى لا يؤذي الآخرين بقباحـــة المنظـــر، فانتقمـــت وانتصرت لمكانتها التي ترى أن من تقدم لخِطبتها أقل منها كفاءة.

الشاعرة: أمة الرحمن بنت القاضي عبد الحق بن غالب بن خُفاف المُحاربي الغرناطية

(أم هاني أو أم الهناء)

---

1 - تحفة القادم ص 237

2 - أنوك: غبي أحمق

3 - كية: تريد علاج رأسه الصلع / برقع: قناع توضع على الوجه تخص النساء، وهي تريد شدة دمامة وقبح وجهه.

أخذت عن أبيها العلم والأدب، وأُخذ عنها، وكانت من أهل الفهم والعقل جيدة الخط، حاضرة النادرة سريعة التمثيل. دخل أبوها داره بغرناطة وقد قُلد قضاء المرية، وعيناه تدمعان أسفاً على مفارقة وطنه فأنشدته متمثل[1]: الكامل

يا عينُ صار الدمعُ عندك عادةً تبكين في فرحٍ وفي أحزانِ

وهذا البيت من قصيدة لها مطلعها: الكامل

جاء الكتابُ من الحبيـــــبِ بأنهُ سيزورُني فاستعبرتْ أجـــــفاني

غلب السرور عليَّ حتـــــــى إنه من فرط عُظم مسرتي أبكاني

يا عينُ صار الدمعُ عندك عادةً تبكين في فــرحٍ وفي أحزانِ

فاستقبلي بالبِشرِ يوم لقـــــــائه ودعي الدموع لليلة الحِجْـــــراني

على الرغم من أن المصادر لم تحكِ عن القصة الغرامية للشاعرة أم الهناء ولا عن أي فصل من فصولها، وقد أوردوها عند وداع أبيها إلى المرية ومفارقة غرناطة، ولكنها قد خاضت تجربة التغزل، فتحكي لنا فرحتها ومسرتها لحد البكاء حينما راســلها حبيبهــا ضارباً لها موعداً للزيارة، فصار الحوار مع عينيها دونما الخوض في مآلات اللقاء كمــا فعلت نزهون وحفصة، بل واكتفت بترجمة عينيها لما في قلبها، فهي لم تكشف عما يجيش بخاطرها، كما أنها لم تبادر باللقاء وإنما جاءت هذه القطعة الغزلية رداً لرســالة حبيبهــا، فربما هي لم تعش قصة حب حقيقية وإنما من باب التخيل والشعراء يتخيلون.

كذلك هذه القطعة الغزلية التي ألقتها أمام والدها ولم تتحرج، ولم ترد أي ردة فعل من والدها بالرفض لهذه الأبيات كما فعل المعتصم بن صُمادح مع ابنتــه أم الكــرام ســابقة الذكر، مما يدلل هذا على مدى الظرف والفهم الدقيق للمعاني العامة عند أهل الأندلس.

- الذيل والتكملة، ، ج5 ص 406 1

المبحث الثاني:

الشواعر الأندلسيات في عصري الموحدين ودولة بني الأحمر(سيادة قرطبة)

الشاعرة :أم السعد (سعدونة) بنت عصام بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن يحيى الحميري:

هي من أهل قرطبة، وتعرف بسعدونة، ولها رواية عن أبيها وجدها، وخاليها: أبي القاسم عامر، وأبي يحيى أبي بكر ابني هشام ، كما حكاه ابن الأبار في ترجمتها وأنشدت لنفسها في تمثال نعل النبي (صلى الله عليه وسلم) تكملة لقول غيرها ما صوَّرته[1] (يريد أن البيت الأول ليس من نظمها)، قال: "كانت أديبة شاعرة، وقفتُ على خطها بالإجازة، وبلغها قول بعضهم في صفة نعل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من قطعة من السريع"[2]

(سألتمُ المِثَالَ إذْ لمْ أجدْ للَثم نعلِ المصطفى من سبيلْ)

فقالت:[3]

لعَّلـــــــيَ أحْظَى بِتَقْبيله في جنةِ الفِرْدَوسِ أسْنَى مقِيلْ
في ظلِّ طُـــوبى ساكناً آمناً أُسْقَى بأكْـــواسٍ من السَّلْسبِيلْ
وأمْســـــحُ القلبَ به علّه يسكنُ ما جـــاش بهِ من غِيلْ
فطالما اسْتَشْفَى بأطلالِ مَنْ يَهْواه أهْلُ الحُبِّ في كلِّ جيلْ

لعل هذه القطع الشعرية تندرج في باب المدائح النبوية أو شعر التصوف والتشوق إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وطبيعة الدولة الموحدية دولة دينية فطبيعي أن تشيع فيها روح التصوف، فشاركت الشاعرة أم السعد المجتمع الأندلسي ببئتها الدينية.

- نفح الطيب ج4 ص 166 وأعلام النساء ج2 ص 1184

2- المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح تع، إحسان عباس ومحمد بن شريفة وبشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1 تونس،2012م ج5، ص 411-412 أنظر نزهة الجلساء ص 29

3- نُزهة الجلساء في أشعار النساء، دراسة وتح وتع، عبد اللطيف عاشور، دت ط، مكتبة القرآن، القاهرة، مصر، ص 29.انظر الذيل والتكملة،ص412

وقال المقري التلمساني: "وأنشدني ابن جابر الوادي آشي عن شيخه المحدِّث أبي محمد بن هرون القرطبي لجدته سعدونة، وأظنّها هذه"[1]: مجزوء الكامل

آخِ الرجالَ من الأبـــــــــا عِدِ والأقاربَ لا تُقـــــــارب
إنّ الأقـــــاربَ كالعقـــــا ربِ أو أشدّ من العقـــــارب

غير أن الثعالبي ينسبهما لابن العميد[2]، تُوفّيت بمالقة سنة أربعين وست مئة أو نحوها[3].

فإن كان هذان البيتان لأم السعد، فهي حكمة بالغة التأثير، ربما عاشت الشاعرة تجربة حقيقية مع أحد أقاربها فلم يحسن معاملتها، وإن كانت كذلك فهي حالة تخصها ولا تندرج في باب التعميم، اللهم إلا إن كانت ظاهرة في عصرها، وعلى هذا وتلك فإن الشاعرة استطاعت أن تترجم ظاهرة وتحولها إلى أبيات شعرية، فهي أيضاً تكون قد خدمت الشعر الأندلسي بمادة مطروقة ولكنها عالجتها بطريقة تخصها وتنسب إلى الشواعر ليكون لهن الدور الريادي في الشعر الأندلسي.

وقد أخذت معاني حكمتها من قول بعضهم في ذم الأقارب حين قال: "الأب رب، والعم غم، والأخ فخ، والولد كمد، والأقارب عقارب"[4].

ومن قول أحدهم[5]:

إنّ الأقاربَ كالعقاربِ أو أضر من العقارب

وكذلك من قول الآخر[6]:

يقولونَ عزٌ في الأقاربِ إنْ دنتْ وما العِزُ إلا في فِراقِ الأقاربِ
تراهم جميعاً بين حاسدَ نعمةٍ وبين أخي بغضٍ وآخر غائب

وربما أخذتها من قول أبي نواس[7]:

4- أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، ط5، بيروت، لبنان،1984م، ج2، ص184.انظر نفح الطيب ج4 ص167

1- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك النيسابوري يتيمية الدهر في محاسن أهل العصر، شر وتح، مفيد محمد قميحَة، دار الكتب العلمية، ط1 بيروت، لبنان،1983م ج3 ص 211

- الذيل والتكملة ج5 ص412 3

3- الراغب الأصبهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء،هذبه واختصره، إبراهيم زيدان، دط، مطبعة الهلال، فجالة، مصر،1902م، ص145

- محاضرات الأدباء ص145 5

- المصدر نفسه ص 145 6

- ديوان أبو نواس ص ومحاضرات الأدباء ص 145 7

وما أنا مسرُورٌ بقُربِ الأقاربِ إذا كان لي منهم قلوبُ الأباعدِ

الشاعرة: أمةُ العزيز بنت الشريف أبي محمد عبد العزيز:

أمة العزيز ابنة الشريف أبي محمد عبد العزيز ينتهي نسبها إلي زين العابدين علي بن الحسين بن علي كرم الله وجه، وزوجه فاطمة الزهراء سيدة نساء الجنة صلى الله على أبيها وعليها، ورضي الله عن بعلها وبنيها.[1]

قال المقري التلمساني: "قال الحافظ أبو الخطاب ابنُ دحْيَة: أنشدتني أخت جدي الشريفة الفاضلة أمة العزيز الشريفة الحسينية لنفسها"[2]: السريع

لحاظُكم تَجْرَحُنا في الحشا ولحظُنا يجرحُكم في الخدودْ

جَرْحٌ بجَرْحٍ فاجعلوا ذا بذا فما الذي أوجبَ جرحَ الصُدُودْ

يشكو المحبون كلهم الفرقة والبعد والتمنع والصدود، وهي تبحث عن السبب، لعلهم يعملون على إزالته، ليعود من جديد ذلك التقارب والتداني.

والشاعرة هنا قد بحثت ولكنها لم تهتد إلى ما يوجب هذا الصدود وتبحث ثانية فتقول: إنّ نظرات المحب كما تركت أثرها في أعماقها، فأوجعتها، كذلك نظراتها قد تركت أثرها في خديه فكلاهما أصاب الآخر، فليس أحدهما معتدياً ولا جانياً ففيم الصدود إذن؟

يلاحظ على الرغم من الكَبْت السائد في عصر الموحدين إلا أن الشاعرة أمة العزيز استطاعت أن تنتصر لعاطفتها، وترفع صوتها، مع عدم التصريح، غير أن البيت الثاني يُلمح بوجود لقاءات سبقت هذا التصريح، ثم بدأ الصدود والحرمان.

الشاعرة: حفصة بنت الحاج الركونية ت 580ه أو 581ه

هي حفصة بنت الحاج الركونية من بُشُرّات[3] غرناطة، رخيمة الشعر، رقيقة النظم والنثر[4]، فريدة الزمان في الحسن والظرف والأدب و اللوذعية[5]، كانت

- الكلبي، عمر بن حسن بن دحية، المطرب من أشعار أهل المغرب، تح، إبراهيم الأبياري وآخرون، المطبعة الأميرية، ط1، 1955م ص 6 1

- أعلام النساء ج1 ص 86-87 و نفح الطيب ج4 ص 170 و نزهة الجلساء ص 28 2

- البُشُرّات: منطقة جبلية في إقليمي غرناطة والمرية 3

- المطرب من أشعار أهل المغرب، ص10 4

- الإحاطة في أخبار غرناطة ج2 ص 60 ورايات المبرزين تح، نعمان ص 161 ، اللوذعية: ألمعي ذكي حاضر البديهة متوقد فصيح اللسان. 5

شاعرة أديبة، نبيلة، جيدة البديهة، سريعة الشعر، أستاذة، علَّمت النساء في دار المنصور،[1] وهي مشهورة بالجمال، والحسب والمال، ذكرها الملاحي وأنشد لها مما قالته في أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي ارتجالاً بين يديه:[2] المجتث

يا سيِّدَ الناس يا مَنْ يؤمَّلُ الناسُ رِفْدَهْ

أمننْ عليَّ بطِرْسٍ[3] يكونُ للدهر عُدَّهْ

تخطّ يمناك فيه: "الحمد للهِ وحده"

أبيات غرضها المدح، مرتجلة مطلبية، ولكنها تشير إلى المقدرة الشعرية للشاعرة حفصة الركونية، كما أنها وظفت العلامة السلطانية عند الموحدين، –أشارتْ بذلك إلى العلامة السلطانية عند الموحدين، فإنه كان السلطان يكتب بيده بخط غليظ في رأس المنشور "الحمد لله وحده"– فتكسب بهذه الأبيات، فأخرجت المعنى التي تبتغيه من المدح، فوصلت إلى مبتغاها حين منَّ عليها السلطان بما أرادت.

وقال السيوطي: "هي إحدى شريفات غرناطة الظاهرات بوفر المال، وفرط الجمال، وما تزدان به المجالس من حسن المساجلة، وهو الحديث، ولذلك لم يكن بدعاً أن يغدو في أثرها كثير من نساء هذا العصر، وكانت نشأتها في القرن السادس وعمرت إلى منتهاه. وكانت حفصة –كما رأيت– متدفقة غير متجملة ولا محتشمة لأنها إنما تحكي صورة هذا العصر، وتنزع من غايته وكانت تذيع هذا الشعر فيرويه الناس عنها وهم به معجبون"[4].

وقد وصفها ابن دحية بقوله: "حفصة من أشراف غرناطة، رخيمة الشعر رقيقة النظم والنثر"[5].

وعلى شهرتها بالجمال والحسب والمال قد ولع بها السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن ملك غرناطة، وبسببها نقم على أبي جعفر بن سعيد وقتله، وبينها وبين

- الإحاطة في أخبار غرناطة ج2 ص60 1

7- النفح ج4 ص 171 والاحاطة ج2 ص 66 والمغرب ج2 ص 138 ومعجم الأدباء ج3 ص1182 ورايات المبرزين تح، نعمان عبد المتعال القاضي ص 92 وتحقيق محمد رضوان الداية 162 والمقتضب ص والنزهة ص141

- في الإحاطة وردت {بصك بدلاً عن بطرس} الصك أقرب لأنها تعني وثيقة مالية، أما الطرس معناه: تعني كتبت بعد محو فلا تستقيم معها المعنى. 3

- نزهة الجلساء للسيوطي ص 41 4

- المطرب لابن دحية نفح الطيب ج4ص176 ومعجم الأدباء ج3 ص1183 5

أبي جعفر مراسلات شعرية كثيرة، وطلب أبو جعفر منها الاجتماع، فمطلته قدر شهرين، فكتب لها:[1]

يا مَنْ أُجانبُ ذكرَ اســـ ـــمه وحسبي عَلامَهْ
ما إنْ أرى الوعدَ يُقْضَى والعمرُ أخشَى انْصِرامَهْ
اليومَ أرجوكَ لا أنْ تكونَ لي في القيامهْ
لو قدْ بَصُرْتَ بحالي والليلُ أرخى ظلامَهْ
أنوحُ وجداً وشوقاً إذ تستريحَ الحمامهْ
صبٌ أطالَ هواه علَى الحبيبِ غرامهْ
لمنْ يَتيهُ عليهِ ولا يردُّ سلامهْ
إنْ لمْ تُنيلي أريحي فاليأسُ يثني زمامهْ

فأجابته:[2]

يا مُدَّعي في هَوَى الحُسـ ـنِ والغرامِ الإمامَهْ
أتى قريضُكَ، لكنْ لم أرضَ منهُ نظامَهْ
أمدّعي الحبَّ يَثني يأسُ الحبيبِ زِمامَهْ؟
ضللتَ كلّ ضلالٍ ولمْ تُفِدْكَ الزعامَهْ
ما زلتَ تصحبُ مذ كنْـ ـتَ في السّباق السلامَهْ
حتى عثرتَ وأخجلتَ بافتضاحِ السآمَهْ
بالله في كل وقتٍ يُبْدي السحابُ انسجامَهْ؟
والزهرُ في كلّ حينٍ يشقُّ عنْهُ كمامَهْ؟
لو كنتَ تعرفُ عذري كففتَ غَرْبَ المَلامَهْ

ووجهت هذه الأبيات مع موصل أبياته، بعدما لعنته وسبته، وقالت له: لعن الله المرسِل والمرسَل، فما في جميعكما خير، ولا لي برؤيتكما حاجة، وانصرف بغايته من الخِزْي، ولما أطلّ على أبي جعفر وهو في قلق لانتظاره قال له: ما

- النفح ج4 ص 173 و أعلام النسا لعمر ج1 ص 267 وتحفة القادم ص 240 1
- أعلام النساء ج1 ص268 ونفح الطيب ج4 ص173 2

وراءك يا عصام؟ قال: ما يكون وراء مَنْ وجَّهه خلف إلى فاعلة تاركة، اقرإ الأبيات تعلم، فلمّا قرأ الأبيات قال للرسول: ما أسخفَ عقلك وأجهلك! إنّها وعدتني للقُبة التي في جنّتي المعروفة بالكمامة، سر بنا، فبادروا للكمامة، فما كان إلا قليلاً، وإذا بها قد وصلت، وأراد عَتْبها، فأنشد:[1]

دعي عَدَّ الذنوبِ إذا التقينا تعالي لا نَعُدُّ ولا تَعُدَي

وجلسا على أحسن حالة، وإذا برقعة الكتندي الشاعر لأبي جعفر، وفيها:[2]

أبا جعفر يا ابنَ الكرامِ الأماجدِ خَلَوْتَ بمَنْ تهواهُ رغْماً لحاسدِ
فهل لكَ في خِلٍّ قَنُوعٍ مهذّبٍ كتومٍ عليمٍ باختفاء المراصدِ؟
يبيتُ إذا يخلو المُحبُّ بحبّهِ ممتّعَ لذّاتٍ بخمسِ ولائدِ

فقرأها على حفصة، فقالت: لعنه الله، قد سمعنا بالوارش على الطعام والواغل على الشراب، ولم نسمع اسماً لمن يعلم باجتماع محبين فيروم الدخول عليهما، فقال لها: بالله سميه لنكتب له بذلك، فقالت: أُسمية الحائل، لأنّه يَحُول بيني وبينك إنْ وقعتْ عيني عليه، فكتب له في ظهر رقعته ما كان منها من كلام، وذيل ذلك بقوله:[3]

سَمّاكَ من أهواهُ حائلْ إنْ كنتَ بعد العتب واصلْ
مع أنَّ لونكَ مزعجٌ لوكنتَ تُحبسُ بالسلاسلْ

وتعد بهذه اللفظة "حائل" ملهمه الشعراء، حيث جعلت أبا جعفر يُكَوِّن من تلك اللفظة أبيات ترفد بحر الشعر الأندلسي.

ومن رقيق شعرها قولها:[4]

سلامٌ يُفَتِّحُ في زهرهِ الـ ـكمامُ ويُنْطِقُ وُرقَ الغصونْ
على نازحٍ قد ثَوَى في الحشا وإنْ كان تحرمُ منهُ الجفونْ
فلا تحسبوا البُعدَ يُنسيكمُ فذلكَ واللهِ ما لا يَكونْ

- النفح ج4 174 واعلام النساء ج1 ص 269 1
- نفح الطيب ج4 ص 174 2
- المصدر نفسه 175 3
- المغرب ج2 ص 139 والنفح ج4 ص 175 وأعلام النساء ج1 ص 269 ونزهة الجلساء ص 42 4

أبيات غزلية يكسوها الاحتشام، فالشاعرة حفصة لم تصرح بحبيب معين، ولم تذكر اسم من تحب، فتراها اكتفت بالسلام وهي بعيدة عنه فأرسلت أحاسيسها عبر سلامها من على البعد دون إشارة إلى لقاء.

رأستَ فما زال العُداة بظُلْمِهِمْ وعِلْمِهِمُ النامي يقولون ما رأس

وهلْ منكرٌ أن ساد أهلَ زمانه جَمُوحٌ إلى العُليا حَرُونٌ عن الدنس

من يتأمل هذين البيتين، يشتم فيهما رائحة المدح، ولكنَّ العلاقة ما بين الممدوح والمادحة علاقة ودية، فتحول المدح إلى العاطفة القلبية النابعة، وكأن هناك من يحسدهما.

وقد شاركت الشاعرة حفصة الشعراء الأندلسيين في غرض التهنئة ومنه قولها في السيد أبي سعيد ملك غرناطة تهنئه بيوم عيد:[1]

يا ذا العُلا وابن الخليـــفةِ والإمامِ المرتضَى

يَهْنِيكَ عيدٌ قد جَرَى فيهِ بما تهوى القَضَا

وأتاك من تهواهُ في قيدِ الإنابةِ والرضى[2]

ليُعيدَ من لَذّاته ما قد تَصرَّمَ وانقضى

جاءت هذه الأبيات في صياغ التهنئة بالعيد، ولكن تحمل في طياتها المدح والمفاخرة بعلو الجرثومة، حين تلاحظ الإشارة إلى كرم الأصل والحسب والنسب، فقربت هذه المعاني الأبيات إلى قطعة من المديح، وهي مجاملات بعكس ما كان لإبي جعفر، وهنا تكمن العاطفة التي وزعت بين هذين الشخصين.

ويقول المقري التلمساني: "ذكر الملاحي في تاريخه أنها سألتها امرأة من أعيان غرناطة – أخت أبوبكر بن يحي الهمداني– أنْ تكتب لها شيئاً بخطها، فكتبت إليها"[3]:البسيط

يا ربةَ الحُسنِ، بل يا ربةَ الكرمِ غُضِّي جفونَك عمَّا خَطّهُ القلم

تَصفّحيهِ بلحظِ الودِّ مُنْعمةً لا تحفلي بقبيح الخطِّ والكلمِ

- نفح الطيب ج4 ص 177 والمغرب في حلى المغرب ج2 ص140 ونزهة الجلساء ص 42 وأعلام النساء ج1 ص 270 1
- البيت في المغرب: {وافاك من تهواه في طوع الإجابة والرِّضا} 2
- الإحاطة في أخبار غرناطة ج2 ص61 و النفح ج4 ص177 و أعلام النساء ج1 ص 270 3

تبحُّر الشاعرة حفصة الركونية من الشعر والقبض على ناصية الكلام جعلتها تجيب سائلتها في ظُرف وملاحة، وتذكر هذه اللوحة الشعرية ما اهتم بها الأندلسيون من فن الخط كما اهتموا بضروب الآداب الأخرى، فتُمثل الشاعرة الركونية دورها في نهضة الشعر الأندلسي .

واعتاد الأندلسيون -خاصة أهل الظرف والأدب- المبيت على الرياض أنساً، واتفق أن بات أبو الحسن بن سعيد معها في جنة له بحَوْر مُؤمَّلٍ[1]، فلمّا حان الانفصال، قال أبو الحسن[2]:الطويل

رعى الله ليلاً لم يَرُعْ بِمذمِّمٍ رعانا ووارانا بحوزِ مُؤَمَّلِ
وقد نفحتْ من نحو نجدٍ أريجةٌ إذا نفحتْ هَبَّتْ بِريح القَرَنفُلِ
وغرّد قُمريٌّ[3] على الدوح وانثنى قضيبٌ من ريحان من فوق جدولِ
يُرَى الروضُ مسروراً بما قد بدا له: عناقٌ وضمٌ وارتشافُ مُقَبِّلِ

لم يكتف الحبيبان بالسلام، فقد تم اللقاء بينهما، على بستان حور مؤمل بغرناطية، فيُرى الشاعر محاولاً إخفاء المحبوبة في صورة الطبيعة الصامتة، والطبيعة عندهم – شعراء الأندلس – متسمة بملامح المرأة، إذ يزاوجون ما بين الطبيعة والمرأة، فالطبيعة عندهم فتاة جميلة متوشحة بالزينة، حتى يصعب التفريق والتمييز بين المرأة والطبيعة في كثير من الأحيان.

وقد اعتادت الشاعرة حفصة أن تجيبه في مثل ذلك، ولكن على الرغم ما تحملها الأبيات من رنات جميلة ومرح وتفاؤل إلا أن حفصة ردت بأبيات تشاؤمية يشوبها الخوف وربما الغيرة حتى من الطبيعة، أو تمثيلاً للوشاة الذين قد يكونون من عنصر المرأة فرفضت تجاوب الرياض معهما، فكتبتْ إليه بقولها[4]:
الطويل

- حوز مؤمل: موضع جميل يرتاده الناس للتنزه والتمتع بجمال الطبيعة 1
2- الإحاطة في أخبار غرناطة ج2 ص62 و النفح ج4 ص 177 ورايات المبرزين، تح، نعمان ص 92 وتح، الداية 162 ونزهة الجلساء ص 40 ومعجم الأدباء ج3 ص 1183
- القمري: هو طائر شبيه بالحمام ويسمى باليمام؛ اشتهر بصوته المعبر 3
4- نفح الطيب ج4 ص177 والاحاطة في أخبار غرناطة ج2 ص63 ورايات المبرزين تح، نعمان ص 92 وتح الداية 162 ونزهة الجلساء ص 40

لَعُمرُك ما سُرِّ الرياضُ لوصلنا ولكنّهُ أبدى لنا الغلّ والحَسَدْ
ولا صفّقَ النهرُ ارتياحاً لقــربنا ولا غرّدَ القمريُّ إلاّ لما وَجَـــدْ
فلا تُحسنَ الظنَّ الذي أنــت أهلهُ فما هو في كلّ المواطن بالرَشَدْ
فما خِلْتُ هذا الأفقَ أبدى نجومه لأمرٍ سوى كيما يكونَ لنا رَصَدْ

مما تقدم فإن الحوار الغزلي لغة استخدمتها الشواعر الأندلسيات بصــورة كبيــرة، وتطور تطوراً كبيراً، والبيئة لها الأثر الكبير في هذا التطور، فاستعملت الشاعرة حفصــة الكثير من عناصر الطبيعة من نحو: (الرياض، والنهــر، القمــري، والأفــق، والنجــوم الراصدة).

ولم تكن مفردات الذكر الحكيم بعيدة عن الشاعرة حفصة فاستفادة من قوله تعالى: (وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا).[1] فوظفــت الشــهب والنجــوم الراصدة توظيفاً شعرياً في موقع التشبيه بالرقيب المتتبع لحبهما بغية إفساده.

ولعل الإشارة قد سبقت إلى تنافس الأمير"أبي ســعيد عثمــان بــن عبــد المــؤمن" للوزير"أبي جفعر" في حب الشاعرة "حفصة"، وهي أميل إلى الوزير أبي جعفــر أكثــر، فتصويرها لخوفها من الغيرة والحسد والمراقبة لم تكن من الرياض ولم تكن مــن امــرأة مثلها جارية أو حرة، وإنما تَنْبُؤ خوفها من مراقبة الأمير أبي ســعيد، وقــد وُفقــت فــي استعمال المفردات القوية التي تناسب وقوة المراقب ومكانته وأدوات مراقبته! يُرى ذلــك في قولها: "**فما خِلْتُ هذا الأُفق أبدى نجومه**" .

وقال ابن سعيد: " كتبت حفصة الركونية إلى بعض أصحابها"[2]:

أزُورُكَ أمْ تزورُ فإنّ قلــبي إلى ما تشتهي أبداً يميلُ
فثغري موردٌ عــــــذبٌ زلالٌ وفرعُ ذؤابتي ظلٌ ظليلُ
وقد أملتُ أن تظمأَ وتَضــــحى إذا وافى إليك بيَ المقيلُ
فعجِّل بالجــــوابِ فما جميلٌ إباؤك عن بُثينةَ يا جميلُ

---

1 - الجن 9

2 - الطالع السعيد في اخبار الصعيد ، نفح الطيب ج4 ص178 وأعلام النساء ج1 ص271 و نزهة الجلساء ص 43 معجم الأدباء ج3 ص1184

بعثت حفصة بهذه القطعة إلى حبيبها، معبرة له بكل صراحة عن ميلها إليه، وتذكره أن ثغرها مورد ومنبع ماء لحبيبه الذي يَرِدْ إليه فتراها، وفرع ذؤابتها أي ضفائرها وما تتدلى من شعرها ظل لمن تحبه تقيه حر الطبيعة وحرارة الحب ولوعاته، وقد شُهد لها بالحسنِ والآداب، وجمال الخِلقة، فتراها تجعل من نفسها بثينة، ومن حبيبها جميلاً، وكما تراها تبادر بالزيارة.

حفلت هذه القطعة بالطبيعة الأندلسية من: ماء زلال عذب، وظل ظليل، كما تمثلت بشخصيتي الحب العربي العذري "جميل وبثينة" وهو لون بلاغي "التشبيه"، ومما يلاحظ أيضاً أن المرأة تبدو عاشقة متلهفة للرجل خلافاً لما عليه شعر الغزل العربي عامة، وهذا يماثل ما حدث في الحجاز في عصر بني أمية فيما يسمى "الغزل الحسي أو اللاهي أو الحجازي"[1]، مع تقديمها للإغراءآت للمحبوب دون استحياء ولا خجل، فهي لم تحتبس حبها، فخرجت عما عرف من النساء بإضمار حبهن، وإشهار الرجال في الجهر بما يجيش بالخواطر، وربما استبد الشوق بها مما جعلها تضرب بكبريائها عُرض الحائط.

وقال أبو جعفر في جوابها:[2]

أُجِلَّكُم ما دام بي نَهْضَةٌ عن أن تزوروا إنْ وجدتُ السبيلْ

ما الروضُ زَوَّاراً ولكنما يزورُهُ هبُّ النسيمِ العليلُ

جاء الرد يملؤها الحب والوقار والإجلال للمحبوبة، وهذا الرد الحسن والجميل يدل على مكانة حفصة عند أبي جعفر وإحسانها في وصفها لحبيبها، لذلك بادلها العواطف الإنسانية العالية، وقد صورها روضة بكل ما تحويها من أدوات المتعة والراحة، جاعلاً من نفسه نسيم زاد الرياض ألقاً وجمالاً.

وكتبت له حفصة:[3]

سار شِعري لكَ عنْ زائرٍ فأعرْ سَمْعَ المعالي شِنْفَهُ

- حمد النيل محمد الحسن إبراهيم، الأدب الجاهلي، دار جامعة الخرطوم للنشر،ط4، الخرطوم، السودان، 2017م، ص73وما بعدها. 1

- المغرب في حلى المغرب ج2 ص 166 2

- معجم الأدباء ج3 ص 1184 والمغرب ج2 ص 166 3

وكذاك الروضُ إذْ لم يستطعْ زَورةً أرسلَ عنه عَـــرْفَهُ

تصور هذه الأبيات مدى الاحترام المتبادل بين حفصة وأبي جعفر أكثر مما تعبر عن لوعة الحب ومنية اللقاء، فتراها تؤثره على نفسها لتكون المبدئة للزيارة مما تؤكد زيادة شغفها وحبها، فإن وصفها أبوجعفر بالروض التي تُزار ولا تزور فإن نسمات حبها وعرفها ستزور حبيبها!، فكتب إليها:[1]

قد أتانا منكِ شِعْرٌ مثلَما أطلع الأفقُ لنا أنْجُمَهُ

وفم فاهَ به قد أقْسَـــمَتْ شفتي بالله أنْ تَلْثَمَهُ

وفي هذا يقول أبو جعفر بن سعيد: "أقسم ما رأيت ولا سمعت بمثل حفصة، ومن بعض ما أجعله دليلاً على تصديق عزمي، وبر قسمي، أني كنتُ يوماً في منزلي مع من يجب أن يخلى معه من الأجواد الكرام على راحة سمحت بها غَفَلات الأيام، فلم نشعر إلا بالباب يُضرب، فخرجتْ جارية تنظر مَنْ الضارب، فوجدت امرأة، فقالت لها: ما تريدين؟ فقالت: ادفعي لسيدك هذه الرقعة، فجاءت برقعة فيها"[2]:الخفيف

زائرٌ قد أتى بجيـــدِ الغزالِ مُطْلِعٌ تحت جنحِهِ الهـــــلالِ[3]

بلحاظٍ من سحرِ بابل صيغتْ ورُضابٍ يفوقُ بنـــــتَ الدَّوالي

يفضحُ الوردَ ما حوى منه خدٌ وكذا الثغرُ فاضـــــحٌ للآلي

ما تَرى في دخولهِ بعـــد إذنٍ أو تراه لعارضٍ في انفـــصالِ[4]

قال: فعلمتُ أنّها حفصة، وقمتُ مبادراً للباب، وقابلتها بما يقابل به من يشفع له حُسْنُهُ وآدابه والغرام به، وتفضُّله بالزيارة دون طلب في وقت الرغبة في الأنس به.[5]

- المغرب ج2 ص166 ومعجم الأدباء ج3 ص 1185 1
- النفح ج4 ص 178 والاحاطة في أخبار غرناطة ج2 ص 65 والمغرب في حلى المغرب ج2 ص 140 ومعجم الأدباء ج ص 1182 وما بعده 2
- عجز هذا البيت في الإحاطة: { طامع من محبه الوصال} 3
- ورد في الإحاطة: { أتراكم بإذنه مسعفيه أم لكم شاغلٌ من الأشغال } 4
- النفح الطيب ج4 ص179 ومعجم الأدباء ج3 ص 1184 5

كلمات تصب في معين وصف الطبيعة الأندلسية الساحرة، وقد أكثرت من التشبيه الموائم من مفردات الطبيعة لمفردات الغزل، فقد وصفت نفسها بالغزال في جمال جيدها، وطلعتها كالهلال في جنح الظلام، ولم تنس المشرق حيث الحاضرة البابلية وجمال لحاظها الفاتنة، وسلافتها أكثر رقة من خمر، وخدودها كالورود وثغرها ذا الثنايا كاللؤلوة بياضاً، وبعد هذا الوصف الساحر لذاتها لم تر كبرياء في أن تستأذن بالدخول للمؤانسة أو الصد، وما هذا إلا لمكانة محبوبها السامي عندها، وتراها في كل مرة تبرز شخصيتها المتشربة بالثقافة الدينية، فصورت في بيتها "**ما ترى في دخوله بعد إذن**" معنى قوله جل شأنه: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)**[1] **أو استفادت من قوله تبارك وتعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ...)**[2] .

وهذه الأبيات للشاعرة حفصة ورفيقاتها الشواعر الأندلسيات تؤكد مدى التأدب والرقي في التعامل الاجتماعي المتحضر الذي وصل إليه المجتمع الأندلسي، وكيف كانت الثقافة الإسلامية تدب في نفوسهم لتخرج في جميع أصناف المعاملات الحياتية عندهم.

وهذه أبيات جاءت تعبر عن معارضة شعرية، فعارضت بها الشاعرة سلمى بنت القراطيسي ، حيث شاركتها المعاني وربما الألفاظ، واقتباسها للمعنى أكثر فقالت سلمى:[3]

عيونُ مها الصريم فداء عيني وأجيادُ الظباء فداء جيدي
أزَيّنُ بالعقود وإنّ نحري لأزينُ للعقود من العقودِ
ولا أشكو من الأوصابِ ثِقلا وتشكو قامتي ثِقلَ النهودِ

---

1 - النور 27
2 - الأحزاب من الآية 53
3 - نفح الطيب ج4 ص178

وفي أخبار سلمى القراطيسي، أن أبياتها هذه بلغت المقتفى أمير المؤمنين فقال: اسألوا هل تصدق صفتها قولها؟ فقالوا: ما يكون أجمل منها، فقال: أسألوا عن عفتها، فقالوا لهُ: هي أعفُّ الناس، فأرسل إليها مالاً جزيلاً، وقال: تستعين به على صيانة جمالها، ورونق بهجتها.[1]

لم يعثر الباحث في المصادر إن كانت الشاعرة حفصة مُحصنة أم غير محصنة؟، فإن كانت محصنة، فأبياتها هذه تعد في غاية من الرعونة قولاً وفعلاً، كيف لا وتراها تفقد كبرياءها مرات ومرات، وبدل من أن تكون طريدة النظرات والرغبات، ترمي هي بنفسها في منزل الحبيب.

وتتجلى في هذه المقطوعة اللغة النرجسية، إذ تتغزل الشاعرة بنفسها كما فعلت ولادة، فحفصة تصف نفسها: مشبهة جيدها بجيد الغزال، وكذا مطلعها، وسحر لحاظها، وعذوبة رضابها، وجمال خدها، وبياض أسنانها، وبهذا تدعو بصراحة الوصال للحبيب.

كما أنها تدعو في غزلها إلى المشاركة الفعلية وعدم الحرمان إذ كل شيء عندها مباح لحبيبها، فأغرت أبا جعفر، وحافظت على دوام الوصل واستمراريته، وتعاقب اللقاءات.

فيما قال ابن الخطيب: "فلما وصلت الرقعة إليه، قال ورب الكعبة، ما صاحب هذه الرقعة إلا الرقيقة حفصة، ثم طلبت فلم تجود. فكتب إليها راغباً في الوصال والأنس الموصول"[2]:الخفيف

أي شغلٍ عن الحبيب يعوقُ ... يا صاحباً قد آن منه الشروقْ
صل وواصل فأنت أشهى إلينا ... من جميع المنى فكم ذا تشوقُ
بحياة الرضى يطيب صبوحٌ ... عرفاً إنْ جفوتنا أو غبوق
لا وذل الهوى وعز التلاقي ... واجتماع إليه عز الطريق

- المراة العربية رضا كحالة / نفح الطيب ج4 ص 178 1
- الإحاطة في أخبار غرناطة ج2 ص66 ومعجم الأدباء 2

هذا الرد يدل على التلهف والرغبة في الوصال من أبي جعفر أيضاً، ولا يوجد شغل في القلب غير وصالها ولقائها، ولا يوجد من أشهى لقلبه منها، فإن كان هذا من أبي جعفر فحُق لحفصة التصريح لرجل ملتهب حباً فيها.

كما قال ابن الخطيب أيضاً: "قال أبو الحسن بن سعيد: وبالله ما أبدع ما كتبت به إليه؛ وقد بلغها أنه علق بجارية سوداء؛ سعت له من بعض القصور؛ فاعتكف معها أياماً وليالي، بظاهر غرناطة، في ظل ممدود، وطيب هوى مقصور وممدود"[1]:مخلع البسيط

يا أظرف الناس قبل حالٍ أوقعه وسطه القدر
عشقتَ سوداءً مثل ليلٍ بداءِ الحسنِ قد ستر
لا يظهرَ البشرُ في دُجاها كلا ولا يبصر الخفر
بالله قل لي وأنت أدرى[2] بكل من هام في الصور
من الذي حب قبل روضا لا نوار فيه ولا زهر

تعبر حفصة في هذه الأبيات، عن مدى غيرتها لعيشقها، حيث أظهرت السخرية من تلك الجارية، وكذا الطبيعة حاضرة في قولها، ولكنها طبيعة متجردة خالية من صفات الجمال فوصفتها بالليل الحالك السواد، وروضة جافة خالية النوار والأزهار، وأظهرت كذلك تقديرها لحبيبها حينما وصفته بالظرف، مع التماسها العذر له مؤذية الأمر إلى مجاري الأقدار.

فكتب إليها بأظرف اعتذار، وألطف أنوار قال[3]:مخلع البسيط

لا حُكمَ إلا لآمرٍ ناهٍ له من ذنبه مُعتذرْ
له محيا به حياتي أعيذ مداه بالسور
كصحبة العيدِ في ابتهاجٍ وطلعةٍ الشمسِ والقمر
سعده لم أمل إليه إلا اطِّرافاً له خَبر

- معجم الأدباء ج3 ص 1183 و الإحاطة ج2 ص64 1
- في الإحاطة كتبت صدر هذا البيت {من الذي هام في جنان} 2
- الاحاطة في أخبار غرناطة ج2 ص 64 ومعجم الأدباء ج3 ص1184 3

عدمت صُبحي فاسود عِشـــــ ـــقي وانعكس الفِكر والنظر

إنْ لمْ تلحْ يا نعـــــــــــيم رو حي فكيف لا تفـــــــسد الفكر

وكانت حفصة صادقة في دعواها، بدليل هذه الأبيات الاعتذارية، التـــي تـــدل علـــى مكانتها عند أبي جعفر، فجاءت تحمل في طياتها المكانة السامية للمعشوقة.

وهذه الاتهامات وغيرها قد جرت بين العاشقين، وتبادلوا الرسائل في ذلك بين معترف معتذر ومنكر ومبرر، وقد حظي أبو جعفر بقبول الاعتذار من حفصة.

ومن غرائب العاشقَيْن الوزير أبو جعفر والشاعرة حفصة، فكل واحد منهما واجهـــه التنافس، فمثلما نافس الأمير "أبوسعيد عثمان بن عبد المؤمن" الوزير أبا جعفـــر، نافســـت تلكم الجارية السوداء الشاعرة حفصة في حب أبي جعفر!، ولكن صبر المرأة محتمل أمام غيرتها بدرجة ما، أما غيرة الرجل فهي غير محتملة، يظهر ذلك في استفزاز أبي جعفـــر للأمير أبي سعيد، انتهى بقتل الوزير أبي جعفر.

ومما يُنسب إليها البيتين الشهيرين[1]:

أغارُ عليك مِنْ عَيْنَيْ رقيبي ومِنْكَ ومِنْ زمانِكَ والمكانِ

ولو أنِّي خبأتُك في عيـــوني إلى يومِ القيامةِ ما كفـــاني

داء الغيرة ظل في قلب الشاعرة حفصة الركونية، فقد حاولت في هذين البيتين الانتصـــار لنفسها الشاعرة، فأثبتت الغيرة العنيفة حتى من نفسها وجوارحها، ومن المحبوب أيضاً، ومـــن الزمان والمكان، وأنها لا تكتفي من حبه دليل تعمقها وشدة ولعها إلى قيام الساعة، وأنهـــا لـــن تكتفي من حبها إياه، فقد تصرفت في الكلمات(الزمان والمكان ويوم القيامة...) بحسن ومقـــدرة فنية مكنتها من إخراجها في صورة شعرية نادرة وزاهية.

تتفق في معاني بيتيها مع أبي تمام[2] في قوله[3]:

بنفسي من أغارُ عليه مني وأحسدُ مقلةً نظرتْ إليه

ولو أني قَدِرتُ طمستُ عنه عيونِ الناسِ مِنْ حذري عليه

---

1 - النفح ج4 ص 176

2 - حبيب بن أوس الطائي، ولد في جاسم، ونشأ في جبل عامل، شاعر عباسي كان قوي الحافظة، حاضر البديهة.

3 - ديوان أبي تمام ص أخبار النساء، ابن قيم الجوزية ص 100

ومن معاني قول الآخر[1]:

أغارُ عليك من قلبي ولو أعطيتْني أمـــــــلي
وأشفقُ أنْ أرى خديـــــ ـــكِ نصبَ مواقع القُبَلِ

وقد أنشد لها أبو الخطاب قولها[2]:

ثنائي عل تلك الثنايا لأنني أقولُ على علمٍ وأنطقُ عن خُبْرِ
وأُنصفها لا أكذبُ الله إنَّني رشفتُ بها ريقاً ألذّ من الخـمرِ

تتحدث عن ثنايا من تحب عندما انفرجت عنهمـا شـفتا المحبـوب، لقـد رشـفت ريقاً–كما وصفت– ألذ من الخمر!

التصريح بمعاني الحب والهيام قد غلبـت علـى لغـة الشـاعرة حفصـة، فهـي غير آبهة بأن تصرح وتهجم على هذه المعـاني مـن غيـر كنايـة ولا تشـبيه، وهـذه المعاني التي صرحت بها الشاعرة من ثنايا، وريق المحبـوب، لـم تكـن جديـدة علـى الشعر العربي بصورة عامـة ولا الأندلسـي خاصـة، ولكنهـا جديـدة علـى ألسـنة الشواعر، سيما الأندلسيات، ولكنها – الكلمات– قد خرجـت مـن طيـات قلبهـا لـتعلن عن مدى حبها للوزير أبي جعفر.

فهي لا تنكر العلاقة العاطفية بينها وبـين أبـي جعفـر، ولـم تنتظـر أن يتغـزل فيها أبي حعفر، فقد بادرت هي بهـذه الأبيـات الغزليـة التـي تفـوق غـزل الرجـال بالنساء.

وقولها في حبيبها أبي جعفر بعد أن دُبرت له مكيدة وقتلوه[3]:الطويل

ولو لمْ يكنْ نجماً لما كان ناظري وقد غبتَ عنهُ مُظلماً بعد نُورهِ
سلامٌ على تلك المحاسنِ من شجٍ تنـاءتْ بنعماه وطيبِ سرورهِ

- أخبار النساء، ص 100 1
- المطرب من أشعار أهل المغرب ص ، و النفح ج4 173 ونزهة الجلساء ص 42 وأعلام النساء لعمر رضا كحالة ج1 ص267 2
- النفح ج4 ص 176 و أعلام النساء ج1 ص 270 والمغرب ج2 ص 3139

الحسرة واللوعة على عشيقها جاءت في رنات ملؤها الحزن، فهي تعلي من مكانته وهو ميت، وترسل التحايا على سيد المحاسن عندها على الرغم من النوى غير المرجو عودته.

وقولها[1]: الطويل

سلوا البارقَ الخفَّاقَ والليلُ ساكنٌ أظلَّ بأحبابي يُذَكِّـــــرُني وَهْنا

لعمري لقد أهدَى لقلبيَ خـــفقةُ وأمطر عن مُنْهَلٍّ عارضِهِ الجَفْنا

يعد هذان البيتان –ربما– مقدمة لقصيدة في رثاء حبيبها، غير أن الباحث لم يعثر على بقيتها بين طيات المصادر، فهي جاءت مقدمتها غزلية ممزوجة بالرثاء كما نهج الأقدمون من شعراء العرب، فتراها تشارك الناس في الكشف عن حال محبوبها، ولم تفارق الطبيعة خاطرتها في التأسي، فالليل، والبرق، والمطر، والسحب، تشكل المفردات الرئيسة لبيتيها، للإشادة بمآثر المحبوب.

يمكن القول بأن: حفصة قد أثرت الساحة الأدبية الأندلسية بالجديد من ألون الشعر، مما جعلتها تتفوق على وصيفاتها الأندلسيات، وبخاصة الشاعرة الأميرة ولادة التي تضارعها في كثير من الأمور، سيما قوة التشبث العاطفي بالمحبوب والغيرة، بيد أن مفارقة بينهما؛ حيث دامت عاطفة الشاعرة حفصة حتى بعد مجريات القدر، بينما الشاعرة ولادة أبغضت وهدت جسر الوصال مع ابن زيدون.

وعموم القول: فإن الشاعرة حفصة، قد حولت مسار الغزل النسائي على مر العصور، فبدأت بدور جديد للمرأة حيث جعلتها فاعلة للعشق لا مفعولة بها، وعاشقة لا معشوقة، وبذا تكون قد أثرت الأدب الأندلسي بدور كبير ونهضة.

توفيت الشاعرة حفصة بنت الحاج الركونية بحضرة مراكش، في آخر إحدى وثمانين وخمسمائة للهجرة، الموافق 1185م، أما الحموى فيثبت وفاتها في سنة ست وثمانين وخمسمائة للهجرة الموافق 1190م[2].

- أعلام النساء ج1 ص 270 والمغرب في حلى المغرب ج2 ص 140 ونفح الطيب ج4 ص 176 1

- معجم الأدباء ج3 ص 1185 والإحاطة ج2 ص 266

الشاعرة: الشلبية:

قال ابن الأبار: "ولم أقف على اسمها، هي أديبة وشاعرة مجيدة، وكتبت إلى السلطان أبي يوسف يعقوب المنصور من بني عبد المؤمن، تتظلم من وُلاة بلدها وصاحب خراجها قالت"[1]:الكامل

قد آن أنْ تبكي العُيونُ الآبيهْ ولقد أرَى أنّ الحجارةَ باكيهْ
يا قاصدَ المصر الذي يُرجى بِهِ إنْ قَدّرَ الرحمنُ رَفْعَ كراهيه
نادِ الإمام إذا وقفتَ ببابهِ: يا راعياً إنّ الرعيّةَ فانيه
أرسلتَها هَمَلاً ولا مَرْعَىً لها وتركتَها نهبَ السباع العافيه
شِلْبٌ كلا شِلْب، وكانت جنّةً فأعادها الطاغون ناراً حامية
حافُوا و ما خافُوا عقوبة ربهم واللهُ لا تخفى عليه خافية

قال صاحب المقري: "إنها أُلقيت يوم الجمعة على مصلى المنصور، فلما قضى الصلاة وتصفحها بحث عن القصة فوقف على حقيقتها، وأمر للمرأة بصلة".

الشاعرة الشلبية تقفت آثار الشاعرة حسانة التميمية في هذا اللون الهجاء؛ وهو مزج الهجاء بالظلم السايسي الذي يمس الجانب الحياتي اليومي للعامة، فقد ثارت على طغيان الحكام، وهذا دليل شجاعتها ومواجهتا.

وهذه الأبيات تحكى عن الثقافة الإسلامية ومدى استقامة قائلتها، فهي هَجَتْ بصورة مهذبة ملؤها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، والنصح للراعي وما ينبغي أن يكون من مراقبة من ولّاهم أمر الناس. فحملت الأبيات معاني الآيات:

قال تعالى: (وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (10) نَارٌ حَامِيَةٌ)[2] ، وقوله تعالى: (يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ)[3]وحملت معنى الحديث **(كلكم راع وكلم مسؤل عن رعيته)**[4]

---

1 - النفح ج4 ص294 والذيل التكملة ج5 ص 428
2 - القارعة 10،11
3 - الحاقة 18
4 - صحيح البخاري

اتسمت هجاء الشلبية برفع الظلم عن كاهل الرعية.

وحكى أن بعض قضاة لُوشَة كانت له زوجة فاقت العلماء في معرفة الأحكام والنوازل، وكان قبل أن يتزوجها ذُكر له وصْفها فتزوجها، وكان في مجلس قضائه تنزل به النوازل، فيقوم إليها فتشير عليه بما يحكم به، فكتب إليه بعضُ أصحابه مداعباً بقوله:[1]

بلُوْشَةَ قاضٍ له زوجةٌ وأحكامُها في الورى ماضيةْ

فيا لَيْتَهُ لم يكنْ قاضياً ويا ليتها كانتِ القاضيهْ

فأطلع زوجته عليه حين قرأه فقالت: ناولني القلم، فناولها، فكتبت بديهة:[2]

هو شيخُ سوء مُزْدَرىً لهُ شيوبٌ عاصيَهْ

كلاَّ لئن لـــمْ يَنْتهِ لنسفعاً بالناصيهْ

وحكى المقري التلمساني: " وسمعتُ بعضَ أشياخنا يحكي القضية عن لسان الدين بن الخطيب، وأنّه هو الذي كتب يُداعب زوج المرأة فكتبتْ إليه: "[3]

إنّ الإمامَ ابن الخطيبِ لَهُ شيوبٌ عاصيَهْ

كلاَّ لئن لـــمْ يَنْتهِ لنسفعاً بالناصيهْ

لم يتوصل الباحث إلى المصادر التي تناولت اسم هذه الشاعرة، وكذلك لم تذكر اسم زوجها القاضي، ولم تتحدث عن الفترة الزمنية التي عاشا فيها، ولكن من خلال رواية المقري التلمساني آنفة الذكر يتضح أنها في الفترة التي عاش فيها الإمام لسان الدين بن الخطيب، مما جعل الباحث أن يصنفها ضمن شواعر عصري الموحدين وبني الأحمر، ولم تُورد لها أي أشعاراً أخرى، فقد أكتفت المصادر بتسميتها (زوج قاضي لوشة).

فعلى الرغم من ذلك الغموض الذي يكتنف مجريات الدراسة الوافية عن الشاعرة –زوج قاضي مدينة لوشة–، فإن صح نسبة ما هو بين مفردات الدراسة

---

1 - نفح ج4 ص 294

2 - المصدر السابق ج4 ص 294

3 - نفح الطيب ج4 ص295

إليها من أشعار فإنها قد أسهمت في رفد نهر الشعر الأندلسي، وتتجلى ذلك في ثقافتها الإسلامية وربما معرفتها بالقرآن الكريم وضروباً من الفقه التي جعلها تكون موضع المشورة في النوازل القضائية، وقد استطاعت أن تستفيد من تلك المعارف الأسلامية وتوظفها في الشعر، فقد اقتبست آية بأكملها اقتباساً محموداً في قولها: **(كلا لئن لم ينته)**، وقال تعالى: **(كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعَنْ بِالنَّاصِيَةِ)**[1]

الشاعرة: قسمونة بنت إسماعيل بن بغدَالة اليهودي:

شاعرة من شواعر اليهود بالأندلس، اعتنى والدها بتأديبها، وكان شاعراً فأخذتْ عنه نظم الشعر، وهي من أهل المائة السادسة، ربما صنع القسيم من الموشحة[2] فأتمتها بقسيم آخر.[3]

وقال لها أبوها يوماً أجيزي:[4]

لي صاحبة ذات بهجة قد قابلت نفعاً بضرٍ واستحلتْ جرمها

ففكرتْ مدة غير كثيرة وقالت:[5]

كالشمسِ منها البدرُ تلبس نوره أبداً ويكسفُ بعد ذلك جرمها

فقام كالمُخْتَبَل، وضمها إليه، وجعل يقبّل رأسها، ويقول: أنتِ والعشر كلمات أشعر مني.[6]

الشاعرة قسمونة من الأجناس غير العربية فهي يهودية أو أنها سليلة العرب الذين اعتنقوا اليهودية، ولكنها تشربت بالثقافة العربية، وامتازت في ضروبها، فاجازت بيت والدها، كما يجيز فحول الشعراء، واستحضرت الطبيعة في بيتها، فالشمس وما تصاحبها من الظواهر الكونية المعهودة ظاهرة الخسوف، والكسوف، وكون القمر يستمد ضوءه من الشمس، فدلت على معرفتها بعلم الفلك.

ونظرتْ في المرآة، فرأت جمالها، وقد بلغت أوان التزويج، ولم تتزوج فقالت أبيات ما أن سمعها أبوها حتى نظر في تزويجها:[7]

أرى روضةً قد حان قافُها ولستُ أرى جانٍ يَمُدُّ لها يَدَا

- العلق 15 1

- الموشحة: فن ابتكره الأندلسيون، وحاولوا به أن يجددوا في نظام الوزن والقافية في الشعر العربي، فلم يتقيدوا بالوزن ولا بقافية موحدة. 2

- نزهة الجلساء ص 74 والمغرب في حلى المغرب ج ص والنفح ج ص وأعلام النساء ج4 ص 207 3

- أجيزي: من الإجازة وهي أن تتم ما بدأ وتبني عليه، أنظر نزهة الجلساء ص 74 4

- أعلام النساء ج4 ص 208 ونزهة الجلساء ص 75 5

- نفح ج3 ص 530 6

- نزهة الجلساء ص 75 7

فوا أسفى يمضي الشبابُ مُضَيّعاً ويبقى الذي ما إن أسميه مُفْرَدَا

تبدي الشاعرة قسمونة أسفها وحسرتها على ضياع شبابها دون تزويجها، فهي تشبه ذاتها بالروضة وما تحويها من جمال، وقد أثمرت وأينعت، ولم يتقدم لها أحد، فهي تشكو وتقلق على ضياع الجمال.

وقالت في ظبية عندها:[1]

يا ظبية ترعى بروضي دائماً إني حكيتك في التوحُّش والحَور[2]

أمسى كلانا مفرداً عن صاحبٍ فلنصطبر أبداً على حُكْمِ القدر

يلاحظ أنها ظلت مستمرة في الحزن والقلق والشكوى على شبابها، فتظهر لوعتها، وإن بينها وبين ظبيتها لشبهاً كبيراً، فكلتاهما تشعر بالوحشة فلا أنيس يؤنسها، ولا رفيق يسعدها، وهي أيضاً مثلها حوراء، ولا عتاب لها إلا على حكم القدر.

وبهذه الأبيات في مختلف الأغراض للشاعرة قسمونة، دور فاعل مساهمة في الشعر الأندلسي ونهضته.

الشاعرة: أم الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي:

هي شاعرة وأديبة من أديبات وشواعر لَوْشَة*[3]، نبيلة حسيبة، تجيد قراءة القرآن، وتشارك وتشارك في فنون الطب، من مباديء عربية، وخلافها وبعض مسائل الطب، وتنظم أبياتاً من الشعر، ثالثة حمدة وولادة، وفاضلة الأدب والمجادة، تقلدت المحاسن قبل ولادة، وولدت أبكار الأفكار قبل سن الولادة، نشأت في حجر أبيها لا يدخر عنها تدريجاً ولا سمهاً حتى نهض إدراكها، وظهر في المعرفة حراكها، ودارسها الطب ففهمت أغراضه، وعلمت أسبابه وأعراضه.[4]

ولما قدم أبوها من المغرب، وحدث بخبرها المُغرب، توجه بعض الصدور إلى اختبارها، ومطالعة أخبارها، فاستنبل أغراضها واستحسنها، واستظرف لَسْنها وسألها عن الخط وهو أكسدُ بضاعة جُلبت، وأشحُ درة جُلبت، فأنشدته من نظمها[5]:البسيط

الخط ليس له في العلم فائدة وإنما هو تزيين بقرطاس

- أعلام النساء ج4 ص 208 1

- الحَور: الحوراء هي شدة بياض العين مع شده سوادها وجمال في العينين، ومنها الحور العين 2

***لوْشة: مدينة بالأندلس غرب ألبيرة، على نحر سنجل نهر غرناطة 3**

- الإحاطة في أخبار غرناطة ج1 ص 856 وأعلام النساء ج1 ص 259 4

- الإحاطة في أخبار غرناطة ج1 ص 856- 857 وأعلام النساء ج1 ص 260 5

والدرس سؤلي لا أبغي به بدلاً بقدر علم الفتى يسمو على الناس

وراجعها بعض المُجان[1]:مجزوء البسيط

إنّ فرطَ الدرس يا أمي سحق وهذا هو المشهودُ في الناسِ

فخُذ من الدرسِ شيئاً تافهاً خط ما وبالفهم يحيى كل الناس (هذا الشطر مختل)

ومن شعرها في المديح[2]:الكامل

إن قيل مَنْ الناسِ ربُ فضيلةٍ حاز العُلا والمجد منه أصيل

فأقولُ رضوان وحيد زمانٍ إن الزمان بمثله لبخيل

الشاعرة: أسماء العامرية

كانت أسماء شاعرة محسنة، خاطبت عبد المؤمن بن علي برسالة تمتُّ إليه فيها بسلفها {العامري} وتسأله رفع الإنزال عن دارها والاعتقال عن مالها، وفي آخر قصيدة منها[3]: الوافر

عَرفْنا النّصرَ والفتحَ المبينا بِسيدِنا أميرَ المؤمنين

إذا كان الحديثُ عن المعالي رأيتُ حديثَك فيها شُجونا

ومنها ورثِتم علمَهُ فعلِمتموه وصُنتم عهده فغدا مصُونا

يلاحظ في هذه الأبيات المدحية، أنها لم تطلب مالاً من الأمير، وإنما تطلب رفع الظلم عنها، ومع ذلك تقدمت بذكر أصالة حسب ونسب الأمير وما له من فضل العلم وصيانة العهود، فهي في موقفها قريبة من أختها حسانة التميمية.

الشاعرة: فاطمة بنت أبي القاسم عبد الرحمن الأنصاري الشُرَّاط قرطبية (أم الفتح) ت 613:

تعد الشاعرة فاطمة من المتشربات بالقرآن الكريم، فقد تلتْ على أبيها القرآن بحرف نافع، وسمعتْ من لفظ أبيها كثيراً، وحفظت من شعره في الزهد، وكانت تجز لمن قراء عليها القرآن بخط يدها[4].

وبشهادة ابنها أبي القاسم بن الطيلسان أن والدته فاطمة أم الفتح أنشدت لإبيها أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد[5]:المتقارب

سئمتُ الحياةَ على حُبِّها وحُقٌ لذي السُّقم أن يسأما

- أعلام النساء ج1 ص 260 1
- الاحاطة 439 وأعلام النساء ج1 ص 260 2
- المراكشي، الذيل والتكملة ج5 ص 410 3
- المصدر السابق ج5 ص 422 4
- المصدرنفسه، ج5 ص 422 5

فلا عيشَ إلا لذي صحةٍ تكونُ له للتُّقى سُلّما
ولا داء إلا لمن لم يزل يُفارقُ في دينهِ مأثما
فلستَ تُعالجُ جَرحَ الهوى هُديتَ بمثل التُّقى مرهما

تظهر الشاعرة فاطمة زهدها وورعها، وربما كانت أميل إلى التصوف، فما جاءت بها من أبيات شعرية تنضوي تحت الحكم والزهد، مستيقظة قريحتها الشعرية لتجويد استعمال المفردات الإسلامية الخالصة،(التُقى، الدين، والإثم). كما تؤكد معرفة أهل الأندلس لعلم الصيدلة والطب، فتراها تستعمل مفردات الجانب الصحي(السقم، الصحة، الداء، العلاج، الجراح، والمرهم) وكل هذه المفردات تعالجها في الجانب الروحي أكثر من الجانب العضوي.

الشاعرة: ابنة محمد بن فَيرُّه الأموي التطيلي:

سكنت مراكش وكانت من بيت خير وصيانة، وهي صاحبة خير وفضل وذكاء ونُبل،[1] وقد روت عنها أختها سعيدة، أنها كتبتْ في بعض ذوي قرابتها، وقد رأت منه بخلاً كثيراً، قالت[2]:البسيط

بخِلْتَ والبُخْلُ داءٌ لا دواءَ لهُ أعيا الأطباءَ طُرَّاً والمداوينا
أطعتْ شُحّك حتى لستَ مُقتدياً إذا اقتدي الناسُ يوماً بالنّبِيّينا
إذا دعا لك داعٍ بعدُت مُبتـــــهلاً بطولِ فقرٍ وشحّ قلتَ: آمينا

- الذيل والتكملة للمراكشي، ج5 ص 417 1
- المصدر نفسه، ج5 ص 426 2

الفصـــــل الرابـــــع

الدراسة التحليلية والفنية وموسيقى الشعر في شعر الشواعر الأندلسيات

المبحث الأول: المضـــــــــمون والمعنى.

المبحث الثاني: الصـــــــور البلاغية.

المبحث الثالث: الأسلوب وموسيقى الشعر.

المبحث الأول:

المضـــــــــ والمعنى.

مـــن خـــلال مـــا تقـــدم يتضـــح أن الإبـــداع الفنـــي مطلقـــاً ســـواء كـــان فـــي المنظـــوم أو المنثـــور، لا يتحقـــق إلا بـــالنظر فـــي المضـــمون والبنيـــة، ولا يمكـــن لأحـــدهما أن ينفـــرد عـــن الآخـــر، فكلمـــا اجتمعـــا تحقـــق الإبـــداع الفنـــي للنص الشعري.

والمضـــمون تتحـــرك فيـــه رؤى وأفكـــار الشـــاعر ويتضـــح فيـــه شخصـــيته أيضاً، بينمـــا يشـــكل الســـياق التعبيـــري للمضـــمون جانـــب البنيـــة وهـــو الجانـــب الآخـــر للإبـــداع الفنـــي. وهـــي التـــي تتجلـــى مـــن خلالهـــا خصـــائص الأســـلوب وأدواته الفنية والتعبيرية[1].

الشـــعر يختلـــف عـــن العلـــوم الأخـــرى، ولـــه قيمتـــه وتـــأثيره ولا يمكـــن معرفـــة الشـــعر وتمييـــزه عـــن العلـــوم الأخـــرى، كمـــا لا يمكـــن تقـــدير قيمتـــه الأدبيـــة وبيـــان تأثيره إلا بمعرفـــة البنيـــة والمضـــمون معـــاً. وفـــي ذلـــك يقـــول إحســـان عبـــاس: "وقـــد ظلـــت ثنائيـــة الشـــكل والمضـــمون مـــن أقـــدم المشـــكلات التـــي رافقـــت الكـــلام عـــن الشـــعر، لتميـــزه عـــن العلـــوم الأخـــرى، ولتقـــدير قيمتـــه وتبيـــين تـــأثيره، ولا تـــزال هذه الثنائية تشغل حيزاً واسعاً في النقد الأدبي."[2]

فيمـــا يخـــص خصـــائص المضـــمون فـــي شـــعر الشـــواعر الأندلســـيات مـــن خلال مـــا تناولنـــه مـــن أغـــراض وفنـــون شـــعرية فـــإن الـــذي عُثـــر عليهـــا فـــي ثنايا المصادر والمراجع، يمكن أن يُلخص في الآتي:

أولاً: خاصية المعنى حسب الأغراض.

ثانياً: خاصية التراث الثقافي الأدبي والديني والتأريخي.

ثالثاً: خاصية المبالغة.

---

1 - أدويس،علي أحمد سعيد زمن الشعر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط5، بيروت لبنان، 1986م، ص 167.

2 - إحسان عباس، فنّ الشعر، دار الثقافة، ط6، بيروت، لبنان،1979م، ق2، ص190

رابعاً: خاصية الوضوح والغموض.

ولتتضح الرؤية لا بد من تفصيل هذه النقاط الأربع.

أولاً: دراسة الخصائص المعنوية للمضمون:

دراسة المعاني أو علم المعاني: هو العلم الذي يبحث في مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وهو البحث في الطرق التي يجب على الأديب أن ينتهجها لتكون موضحة لمعانيه، وهو في اصطلاح البيانيين: التعبير باللفظ عما يتصوره الذهن[1].

تعد دراسة الخصائص المعنوية لمضون القصيدة عند الشواعر الأندلسيات ذات أهمية كبرى، وقد خاضت الشاعرة الأندلسية في مختلف فنون وأغراض الشعر العربي: من مدح، وغزل، وهجاء، ووصف، وغيرها من الأغراض، وقد استفادت الشاعرة الأندلسية من الشعر العربي القديم حين اغترفت من ذلك المورث القديم جُلَّ معانيها، وفي كل أغراض الشعر العربي كما يبدو من خلال أشعارهن.

الخصائص المعنوية لمضمون غرض المدح:

يُلاحظ أنّ الشواعر الأندلسيات قد تطرقن في مدحهنّ للمعاني التقليدية المورثة في الشعر العربي القديم، واستخدمن ما شاع فيه من معانٍ نحو الإقدام والشجاعة في وصف الممدوح، ويُلمح ذلك في قول حسانة التميمية في الأمير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام[2]:

إنْ هَزّ يومَ الوغى أثناء صعدته روّى أنابيبها من صرفِ فِرْصَادِ

ومن تلك المعاني أيضاً أن الممدوح ذو جرثومة بحسن وأصالة وعراقة وطيب أرومة كقول عائشة القرطبية في عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر[3]:

فأنتم آلَ عامرَ خيرُ آلٍ زكا الأبناءُ منكم والجدودُ

- الهاشمي، أحمد، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ض، يوسف الصميلي، دط، دت، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ص46 1
- نفح الطيب ج4 ص168 / و شعراء العرب أحمد سيلم ص 530 / وأعلام النساء ج1 ص 257 2
- نفح الطيب ج4 ص290 / ونزهة الجلساء ص 61- 62 3

وقد يكون الممدوح جواداً كريماً سمحاً يفيض بعطائه ويجزل في نواله، كقول قمر البغدادية في سيدها إبراهيم بن حجاج اللخمي[1]:

ما في المغارب من كريم يُرتَجى إلا حَلِيف الجودِ إبراهيم

وحينما يكون الممدوح ناصراً للمظلومين، يستخدم له كذلك المعاني التقليدية التي شاعت، وتُرى هذه المعاني في قول حسانة التميمية أيضاً في الأمير عبد الرحمن[2]:

ليجبرَ صَدْعي إنه جابر ويَمْنَعُني من ذي الظلامةِ جابرِ

وقد تُظهر الشاعرة ممدوحها في طيب أرومته ونسبه، خاصة حين يكون الممدوح من بيت الخلافة المنتسبة إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم)، أو لبيت من بيوت صحابته الكرام رضي الله عنهم، كذلك نحو قولها:[3]

ابن الهشامين خيرُ الناسِ مأثرةً وخيرُ مُنْتَجَعٍ يوماً لروّادِ

قلْ للإمامِ أيا خيرَ الورى نسباً مقابلاً بينَ آباءٍ وأجدادِ

وأحياناً ينعتن الممدوح بكل صفاته حينما يرحل عنهن أو يرحلن عنه، تاركاً لهن الصفات الجميلة، ووصله المغدق، مثل قول الشاعرة الغسانية البجانية:[4]

فما بعدُ إلا الموتُ عند رحيلهم وإلا فصبرٌ مثل صبر وأحزانُ

عهدْتُهُمُ والعيشُ في ظل وَصلِهم أنيقٌ وروضُ الوصلِ أخْضَرُ فيْنَانُ

ولم تكن الجوانب الخُلقية والفضائل بمنأى عن المضمون العام لقصائد الشواعر الأندلسيات، فقد تناولت الشاعرة حفصة بنت حمدون الحجارية الجانب الخُلقي للممدوح حين قالت:[5]

لهُ خُلْقٌ كالخمرِ بَعْدَ امتزاجِها وَحُسْنٌ فما أحلاهُ مِنْ حين خِلْقَتِهْ

- التكملة لكتاب الصلة، ص 245 وما بعدها / ونفح الطيب ج3 ص141 1

- اعلام النساء ج1 ص 257 / ونفح الطيب ج4 ص168 / وشعراء العرب، ص 529 2

- نفح الطيب ج4 ص168 / و شعراء العرب أحمد سيلم ص 530 / وأعلام النساء لعمر رضا كحالة ج1 ص 257 3

1- الحُميدي، جذوة المقتبس، ص 601 / وانظر نفح الطيب ج4 ص 171 / والمغرب في حلى المغرب ج2 ص 192 / وأعلام النساء ج4 ص 10

2- ونزهة الجلساء في أشعار النساء، جلال الدين السيطي، تح، عبد اللطيف عاشور، دط، دت، مكتب القرآن، القاهرة، مصر، ص 43 ، وانظر النفح ج4 ص 285

وللشاعرة مريم بنت أبي يعقوب الفصولي في الجوانب الخلقية للمدوح قولها:[1]

للهِ أخلاقُكَ الغرُّ التـــــي سُقيَتْ ماءَ الفُراتِ فرقّتْ رقّـــــــةَ الغزلِ

وفي هذا الجانب لهذه المعاني قول الشاعرة أم الحسن بنت القاضي الطنجالي:[2]

إن قيل مَنْ في الناسِ ربُ فضيلةٍ حاز العُلا والمجد منه أصيل

فأقولُ رضوان وحيد زمانٍ إن الزمان بمثله لبخيل

ولمّـــا كانـــت معـــاني الشـــرف وصـــفات النبـــل مـــن المعـــاني التـــي يحبهـــا كـــل شـــخص فـــي نفســـه وممدوحـــه، حاولـــت شـــواعر الأنـــدلس أن يصـــفن ممدوحيهن بهذه الصفات الإنسانية التي تطمئن إليهن أنفسهن وتحبها.

الخصائص المعنوية لمضمون غرض الهجاء:

لم تقصر الشواعر الأندلسيات عن غرض مـــن أغـــراض الشـــعر العربـــي، فقـــد طرقن فن الهجاء حسبما اقتضـــته طبيعـــتهن الاجتماعيـــة فقـــد هجـــون الرجـــال كمـــا هجون بعضهن، وقـــد جـــاءت معـــاني الهجـــاء عنـــدهن ســـوقية مبتذلـــة، وتميـــزت الشاعرة الأندلسية في معاني هذا الضـــرب بـــالفحش والقـــذارة كقـــول الشـــاعرة ولادة في ابن زيدون:[3]

إنّ ابن زيدون على فضـــله يعشق قضبان السراويلِ

لو أبصرَ الأير على نخلة صارَ من الطيرِ الأبابيلِ

ولها فيه أيضاً ما ينفر الأذن عن سماعه قالت:[4]

ولُقبتَ المسدَّسَ وهو نعتٌ تُفارقُكَ الحياةُ ولا يُفارقْ

فلوطيٌ ومـــــأبونٌ وزانٍ وديُّوثٌ وقَرْنانٌ وســـارقْ

- نفح الطيب ج4 ص 291 / ونزهة الجلساء ص 79 / وأعلام النساء ج5 ص48 / والجذوة ص 600 1

- الاحاطة 439 وأعلام النساء ج1 ص 260 2

- نفح الطيب ج4 ص206 ونزهة الجلساء ص 89 3

- نزهة الجلساء ص 88 والنفح ج4 ص205 4

وعندما يكون المهجو من أهل البدو ولا يهتم بالمظهر العام لنفسه، يكون محل سخرية الشاعرة، فتستخدم في هجائها معاني فاحشة قذرة، تجعله في حضيض المجتمع، كقول نزهون القلاعية:[1]

قُل للوَضيعِ مقـــــــالاً يُتْلَى إلى حين يُحشرْ
من المدوَّر أُنْشِئْـــــــ ـت والخرا منه أعطر
حيث البداوةُ أمستْ في جهلـــــها تَتَبَخْتَرْ
لذاك أَمْسَيْتَ تَهْـــــوَى حُلُولَ كـــــل مُدَوِّرْ
خُلِقْتَ أعمـــــى ولكنْ تَهِيمُ في كـــلِّ أعورْ

وقد استفادت الشاعرة ولادة من التراث الأدبي والتأريخي القديم، وتراثها الديني أيضاً، ووظفت معانيه في الهجاء لتكون أكثر بذاءة وقذارة نحو هجائها للأصبحي وقت قالت:[2]

يا أصبحيُّ اهنأ فكم نِعْمَةٍ جاءتك من ذي العرش ربِّ المِنَنْ
قد نلتَ باسْتِ ابنك ما لمْ ينلْ بفرج بُوْرَانَ أبوها الحـــــــسنْ

كما وظَّفْن الصفات الخَلقية التي لم يكن لبشر فيها اختيار أيضاً من الهجاء في الهجاء لتأتي المعاني أشد وقعاً وتقبيحاً لصورة مهجوهن ومن شاكلة هذا النوع من الهجاء قول الشاعرة نزهون:[3]

عذيريَ من أنـــــوكٍ أصلعِ سفيهِ الإشارة والمنـزعِ
يروم الوصالَ بما لو أتى يرومَ به الصفعَ لم يصفع
برأسٍ فقيرٍ إلى كـــــية ووجهٍ فقيرٍ إلى برقـــع

مثلما هناك صفات محببة للنفس تتوق إليها نفس كل إنسان، فإن هناك صفات مبغضة تكرهها كل نفس أبية، فيلاحظ على شواعر الأندلس في هجائهن استخدام هذه

- المغرب في حلى المغرب ج1 ص 228 وأعلام النساء ج5 ص 169 1
- نفح الطيب ج4 ص206 ونزهة الجلساء ص 89 2
- تحفة القادم ص 237 3

المعاني المقللة للمروءة وإباء الضيم ومنها البخل وشح النفس الذي ظهر في هجاء الشاعرة ابنة محمد بن فَيرُّه الأموي التطيلي[1]:

بخِلْتَ والبُخْل داءٌ لا دواءَ لهُ أعيا الأطباءَ طرَّاً والمداوينا
أطعتْ شُحّك حتى لستَ مُقتدياً إذا اقتدى الناسُ يوماً بالنّبِيّينا
إذا دعا لك داعٍ بعدُت مُبتــهلاً بطولِ فقرٍ وشحّ قلتَ: آمينا

ولم تسلم الشواعر أنفسهن من هجــاء بعضــهن بعضــاً، فهــا هــي مهجــة بنــت التياني تجرؤ على أديبتها وسيدتها باستخدامها للألفاظ السوقية المبتذلة قالت[2]:

ولادةٌ قد صِرتِ ولّادةً من دون بَعلٍ، فُضِحَ الكاتمُ!
حَكَتْ لنا مَريَمَ لكـــــنّهُا نَخلَةُ هذي ذَكـــــرٌ قائمُ

وأحياناً تصفن المهجو بمعان تجعله في مصــاف الحيــوان، بغيــة شــفاء غــيظهن، والتعبير عن مدى صدودهن وبغضهن، منه قول عائشة بنت أحمد القرطبية[3]:

ولو أنّني أختارُ ذلك لم أُجب كلباً وكم غَلّقْتُ سمـــــــــــــــــعي عن أسدْ

أما حفصة بنت حمدون الحجارية فقد هجــت عبيــدها فــي صــفاتهم، مصــورة مكانة العلم والنجابة والفطانة عند الأندلسيين وكيف كانوا يقــدرونها حتــى فــي طبقــة العبيد والجواري، ويذمون من كان جاهلاً لا يفطن ولو كان حراً قالت[4]:

يا ربّ، إنِّي مِنْ عبيدي على جمرِ الغضا، ما فيهمُ مِنْ نَجيبْ
إمّا جَهُولٌ أبْلَهٌ مُتْـــعِبٌ أو فَطِنٌ من كيـــــده لا يجيبْ

أما قول الشاعرة الشلبية التي انتقدت فيها نظــام الحكــم وقتئــذن يعــد هجــاءً، لكنهــا ابتعدت عن الابتذال والفحش فيها، حيــث جــاءت معــاني الهجــاء فــي مقطوعتهــا تمثــل معان مشرقة صرفة، قائلة[5]:

قد آن أنْ تبكي العُيونُ الآبيهْ ولقد أرَى أنّ الحجارةَ باكيهْ

- الذيل والتكملة للمراكشي ج5 ص 426 1
1- المُغرب في حُلى المغرب ، ج1 ص 143. /أنظر نزهة الجلساء ، ص81 ،/ ونفح الطيب ج4 ص293
- النفح ج4 ص 290 / ونزهة الجلساء ص 62 والوفي بالوفيات ص 3
- النفح ج4 ص 285 / وأعلام النساء ج1 ص 272 / و المغرب في حلى المغرب ج2 ص 38 / ونزهة الجلساء ص 44 4
- ابن الأبار والنفح ج4 ص294 والذيل التكملة ج5 ص 428 5

يا قاصدَ المصر الذي يُرجى بِهِ إنْ قَدّرَ الرحمنُ رَفْعَ كراهيه
نادِ الإمام إذا وقفتَ ببابهِ: يا راعياً إنّ الرعيّةَ فانيه
أرسلتَها هَمَلاً ولا مَرْعَىً لها وتركتَها نهبَ السباع العافيه
شِلْبٌ كلا شِلْب، وكانت جنّةً فأعادها الطاغون ناراً حامية
حافُوا و ما خافُوا عقوبة ربهم واللهُ لا تخفى عليه خافية

الخصائص المعنوية لمضمون غرض الغزل:

هذا الغرض واسع في الشعر العربي عامة، وإنتاجه في الشعر الأندلسي أوسع، وباتساعه تتسع استخدام الخصائص المعنوية له، ولا تختلف المعاني الغزلية لشواعر الأندلس عما عرفت في القصيدة الغزلية القديمة من معان: من ذكر متعة لقاء الحبيب أو الأحبة، أو ألم الفراق لمن تحب، أو كيد الوشاة، أو الجرأة في البوح بما جرى عند اللقاء، أو الجرأة في إغراء الأحبة بالوصال والمتعة الجسدية وغير ذلك.

ولما كانت معاني الغزل الإباحي تغلب على شعر الشواعر الأندلسيات، دون المعاني الغزلية المتداولة عند الأقدمين، قصد الباحث أن يمثل بمعاني الجرأة قبل غيرها من المعاني.

تقول الشاعرة حفصة الركونية في إغراء حبيبها بالوصال والإغراء الجسدي مستخدمة معاني جريئة[1]:

أزُورُكَ أمْ تزورُ فإنّ قلبي إلى ما تشتهي أبداً يميلُ
فثغري موردٌ عذبٌ زلالٌ وفرعُ ذؤابتي ظلٌ ظليلُ

كذلك قولها في معان جريئة بالبوح عن لقاء حبيبها ومبادلتهما القُبل وارتشافها سلافاً زلالاً، قالت[2]:

ثنائي على تلك الثنايا لأنني أقولُ على علمٍ وأنطقُ عن خُبْرِ

- الطالع السعيد في اخبار الصعيد ، نفح الطيب ج4 ص178 وأعلام النساء ج1 ص271 و نزهة الجلساء ص 43 معجم الأدباء ج3 ص1184 1

- المطرب من أشعار أهل المغرب ص ، و النفح ج4 173 ونزهة الجلساء ص 42 وأعلام النساء ج1 ص267 2

وأُنصفها لا أكذبُ الله إنَّني رشفتُ بها ريقا ألذّ من الخـــمرِ

وعلى تلك الشاكلة قول نزهون في التصريح بقضـــاء ليلتهـــا مـــع محبوبهـــا وهـــي تصور معانقتهما فاستخدمت معاني ذِكر متعة لقاء الأحبة قالت:[1]

لله درُّ اللّيالي ما أُحيسنـــــــُـــها وما أُحيسنُ منها ليلةَ الأحَـــــدِ

لو كنتَ حاضرنا فيـــها وقَدْ غفلتْ عينُ الرقيب فلمْ تنظرْ إلى أحدِ

أبصرتَ شمسَ الضُّحى في ساعديْ قمرٍ بل ريمَ خازمةٍ في ساعدَيْ أســدِ

ومنها جرأة الإغراء بالمتعة الجسدية حين اللقاء قالت الشاعرة ولادة[2]:

أنا والله أصلُحُ للمـــــــعالي وأمْشِي مِشْيَتِي وأتِيهُ تِيْهَا

أُمْكِنُ عاشقي من صَحْن خدي وأُعْطِي قُبْلَتِي مَنْ يَشْتَهِيها

وجرأتها في زيارة حبيبها أيضاً كقول ولادة بنت المستكفي[3]:

ترقبْ إذا جنَّ الظـــلامُ زيارتي فإنِّي رأيتُ الليل أكتمَ للســـــــرِّ

وكذلك تبين الجرأة في التصريح بالخلوة مع المحبـــين والبعـــد عـــن الرقيـــب فـــي قول الشاعرة أم الكرام بنت المعتصم بن صمادح[4]:

ألا ليت شعري هل سبيلٌ لخلوةٍ يُنَزِّهُ عنها سمعُ كلِّ مُراقِبِ

ويا عجباً أشْتَاقُ خلْوة منْ غدا ومَثْواهُ ما بين الحشا والترائب

إن الطبيعة الإنسانية بعضها جبلـــت علـــى التحاقـــد والتحاســـد، لقولـــه جـــل مـــن قائل: (وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (4) وَمِنْ شَـــرِّ حَاسِـــدٍ إِذَا حَسَـــدَ)[5]، لـــذلك يلاحـــظ علـــى كل قصص الحب ارتباطها بكيد الوشاة، وقـــد تناولـــت الشـــواعر الأندلســـيات معـــاني الكيد منها قول حمدونة بنت زياد المؤدب[6]:

ولّما أبَى الواشـــونَ إلا قِتالنا وما لهمُ عنـــــدي وعندكَ من ثأرِ

- النفح ج4 ص 298 وتحفة القادم ص 237 1
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج1 ص 268 / والمطرب من أشعار أهل المغرب ص8 2
- الذخيرة ج 1 ص 269 / والمطرب من اشعار أهل المغرب ص 9 / ونفح الطيب ج4 ص206 / ونزهة الجلساء ص 91 3
- المغرب في حلى المغرب ج2 ص 203 4
- الفلق. 4،5 5
- الإحاطة في أخبار غرناطة ج2 ص58 تحقة القادم ص 235 و أعلام النساء ج1 ص293 و النفح ج4 ص287 ونزهة الجلساء ص 45 6

وشنُّوا على آذانِنا كلّ غارةٍ وقَلّتْ حُماتِي عند ذاك وأنْصـــــاري

وللوعة الفراق وألمه معان جمة عند شواعر الأنــدلس ومــنهن ولادة بنــت المســتكفي تقول:

ألا هلْ لنَا من بعدِ هذا التــفرق سبيلٌ فيشْكُو كلُّ صبّ بما لــقي

والجاريــة العجفــاء أيضــاً تتــألم لفــراق أحبتهــا، وتشــكو طــول ليــالي الفــراق بقولها[1]:

يا طول ليلي أُعالج السقما إذ حلّ كلُّ الأحبَّة الحرما

ما كنتُ أخشى فراقكم أبداً فاليوم أمسى فراقكم عزما

والشــعور بالوحشــة حــين الفــراق وتَــذَكُّر الأيــام ولــذتها مــع المحبــوب كقول حفصة بنت حمدون الحجارية:[2]

يا وحشتي لأحبَّتي يا وحشةً متمــاديهْ

يا ليلةً ودعتُــهم يا ليلةً هي ما هيهْ

ولهن الغــزل الملفــوف بالعتــاب وعــزة الــنفس كقــول حفصــة بنــت حمــدون الحجارية:[3]

لي حبيبٌ لا يَنْثني لِعتــــــابٍ وإذا ما تركْــتُهُ زادَ تيها

قال لي: هل رأيتِ لي شبيها؟! قلتُ أيضاً: وهل ترى لي شبيها

المضمون في وصف الطبيعة:

سبق أن أشــار الباحــث إلــى الطبيعــة الأندلســية الغلابــة ومــا حوتهــا مــن آيــات الجمــال، وكيــف تجلــت تلــك الطبيعــة الأخــاذة فــي شــعر ومقطوعــات الشواعر.

- الأغاني 23: 282 والنفح ج3 ص 141 وأعلام النساء ج3 259 1

3- الحدائق والجنان من أشعار أهل الأندلس، ص 9 / وانظر وأعلام النساء ج1 ص 272 / ونفح 4 الطيب ص 286/ ونزهة الجلساء ص 44

- نزهة الجلساء ص 44 / و النفح ج4 ص285 / والمغرب ج2 ص 38 / وأعلام النساء ج1 ص 272 3

فبالنظر في شعر الشاعرة حمدونة يلاحظ أن طبيعة مكان إقامتها_ وادي آش_ قد مكنتها من توليد الصور الإبداعية، وتصوير المشاهد يُلمح ذلك في قولها:[1]

نزلنا دَوْحَه فَحَنَا عَلَيْنا حُنُوَّ المرضعاتِ على الفطيم
يَرُوعُ حَصَاهُ حاليةَ العذارى فتلمسُ جانبَ العقدِ النظيم

فهي تشبه حصى نهر وادي آش بحبات اللؤلؤ، وباستخدامها لهذه المعاني جعلت العذارى يتلمسن عقودهن خوفاً أن تكون قد انفرطت.

استخدمت الشاعرة حمدونة بنت زياد الطبيعة في معاني شعرها، ملفوفة بالغزل، فصورت النهر المحيط بالرياض و الخمائل والأزهار، كما صورت العذارى بالظباء الحالمات قالت[2]:

فمِنْ نهرٍ يطوفُ بكلِّ روضٍ ومن روضٍ يطرفُ بكل وادي
ومِنْ بينِ الظِّباء مهاةُ إِنْسٍ سبت لبي وقد سلبَتْ فؤادي

استطاعت الشاعرة حمدة أن ترسم صورة تشخيصية متحركة للطبيعة الأندلسية وهذا دليل على تبحرهن–الشواعر الأندلسيات– في استخدام المعاني ونسجها في لوحات شعرية.

والطبيعة الأندلسية الساحرة تحرك الشوق وتذكر مراتع الصبا عند الشاعرة قمر وتجعلها تتشوق وتحن إلي بيئتها الأولى بغداد، فتصف طبيعتها الساحرة ما بها من ظبائها وفراتها وهلالها في صورة غزلية، منها قولها تتشوّق إلى بغداد[3]:

آهٍ عَلى بَغدادِها وعرَاقِهَا وظِبَائِها والسحر في أحداقِها
ومجالها عندَ الفراتِ بأوجه تبدو أهلّتُها على أطواقِها

1- الأربيلي، التذكرة الفخرية، ص 264 ، وشعراء العرب 531 ونزهة الجلساء ص 47 و النفح ج4 ص 288
2- الإحاطة ج2 ص57 /المراكشي الذيل والتكملة ج5 ص 415 أعلام النساء ج1 ص 293 و تحفة القادم ص 235 و النفح ج4 ص 288 و المطرب من أشعار أهل المغرب ص 11 ونزهة الجلساء ص 47 شعراء العرب ص 530 ومعجم الأدباء ج3 ص 1212 ورايات المبرزين ص 94
- نفح الطيب ج3 ص 141 / ابن الآبار التكملة لكتاب الصلة، ص 246 3

متُبخترات في النعيم كأنّـــما خُلق الهوى العُذْريِّ من أخــلاقِها
نفسي الفداء لها فأيُّ محاســن في الدهر تُشرق من سنا إشــراقِها

كمـــا لـــم يســـتعص علـــى أم العـــلاء الحجاريـــة تصـــوير البيئـــة والطبيعـــة الإندلسية، فقـد صـورت قصـب بسـتانها، وقـد بـدا كنبـات البنـود التـي يهفـو بها الريح بقولها[1]:

لله بُسْـــــــــــــتاني إذا يَهْفُو به القَصَبُ المُنَدَّى
فكأنما كفُّ الرِّيـــــــــــا حِ قدَ اسنـدتْ بَنْدا فَبنْدا

يلاحـظ أن الشـواعر قـد اسـتخدمن معـاني قديمـة فـي الشـعر العربـي، وقد زدن فـي حسـن التـأليف وجـودة التركيـب، ويـرى الباحـث أن هـذا لـيس بعيب، حيث لا غنـى عـن تنـاول المعـاني التـي تناولهـا الأقـدمون، وقـد قـال أبـو هـلال العسـكري: "كـل شـيء ثنيتـه قصـر، إلا الكـلام فإنـك إذا ثنيتـه طال"[2].

ثانياً: التأثر بالتراث الثقافي والأدبي والديني والتأريخي:

أفـادت الثقافـات المختلفـة للمجتمـع الأندلسـي الشـواعر فائـدة قصـوى، وقـد ظهـرت تلـك الثقافـات التاريخيـة والأدبيـة والدينيـة فـي تغذيـة مضـمون شعرهن وثرائه.

فالثقافة الدينية كانت لها الأثر الواضـح فـي شـعر الشـواعر الأندلسـيات، وقـد وظفنها في كثير من أغراضهن حتى الهجاء الفـاحش قـد اقتبسـن لـه مـن القـرآن معانياً، فرغم فحش الأبيـات ومـا بهـا مـن قـذارة القـول إلا أن التوظيـف الفنـي لأبياتهن جاء عالي الجودة، لكنـه شـنيع المعنـى، منهـا قـول الشـاعرة ولادة بنـت المستكفي[3]:

لو أبصْرَ الأيرَ على نخلة صارَ من الطيرِ الأبابيلِ

---

1 - المغرب في حُلى المغرب، 2/2 ص38
2 - أبو هلال العسكري، الصناعتين، ب6، ف1، ص 163217
3 - نفح الطيب ج4 ص206 ونزهة الجلساء ص 89

وفي البيت لفظ(الطير الأبابيل) اقتباس من قوله تعالى: (وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ)[1]

ولم تكن قصة السيدة مريم _عليها الرضى والسلام من الله_ بعيدة عن التصوير الفني لشعر الشواعر الأندلسيات، فقد وظفت الشاعرة مهجة بنت التياني في هجائها لولادة توظيفاً فنياً رائعاً غير أن التوظيف المعنوي قذرٌ غير مقبول، قالت[2]:

حَكَتْ لنا مَريَمَ لكنّهُ نَخلَةُ هذي ذَكرٌ قائمُ

كما اتكأت الشاعرة مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري على التراث الإسلامي إتكاءة جيدة، فصورت معنى الشيخوخة وهوان قوتها وضعفها بقولها[3]:

وما يُرتجى من بنتِ سبعينَ حجّةً وسبعٍ كنسجِ العنكبوتِ المُهلْهَلِ

فقولها هذا ربما أخذته من معنى قوله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)[4].

ومن الاقتباسات القرآنية، بوصفها كواحدة من عناصر التناص الأدبي وتوظيفها في شعرهن، قول الشاعرة نزهون للشاعر الزجال ابن قزمان:

" أحسنت يا بقرة بني إسرائيل، إلا أنك لا تسر الناظرين"

فيلحظ أنها استمدت معاني بيتها من قوله تعالى: (قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ)[5].

وأما حفصة الركونية فقد استقت معنى من القرآن الكريم حين قالت:[6]

فما خِلْتُ هذا الأفقَ أبدى نجومه لأمرٍ سوى كيما يكونَ لنا رصَدْ

- الفيل، 3 1

5- المُغرب في حُلى المغرب ، ج1 ص 143. /أنظر نزهة الجلساء ، ص81 ،/ ونفح الطيب ج4 ص293

6- الحميدي جذوة المقتبس ص 600 / والصلة لابن بشكوال ص 995 / و أعلام النساء ج5 ص48 ونفح الطيب ج4 ص 291 / ونزهة الجلساء ص 81

- العنكبوت 41 4

- البقرة، 569

3- نفح الطيب ج4 ص177 والاحاطة في أخبار غرناطة ج2 ص63 ورايات المبرزين تح، نعمان ص 92 وتح الداية 162 ونزهة الجلساء ص 40

أخذته من قوله تعالى: (وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا)[1]

ولحفصة الركونية أيضاً استيحاء معنىً من القرآن الكريم، قالت[2]:

زائرٌ قد أتى بجيدِ الغزالِ مُطْلِعٌ تحت جنحِهِ الهلالِ
ما تَرى في دخولهِ بعد إذنٍ أو تراه لعارضٍ في انفصالِ

فهي تبرز شخصيتها المتشربة بالثقافة الدينية، فصورت في بيتها " **ما ترى في دخوله بعد إذن** " معنى قوله جل شأنه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)[3] أو استفادت من قوله تبارك وتعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ...)[4].

والشلبية قالت[5]:

نادِ الإمام إذا وقفتَ ببابهِ: يا راعياً إنّ الرعيّةَ فانيه
أرسلتَها هَمَلاً ولا مَرْعَىً لها وتركتَها نهبَ السباع العافيه
شِلْبٌ كلا شِلْب، وكانت جنّةً فأعادها الطاغون ناراً حامية
حافُوا و ما خافُوا عقوبة ربهم واللهُ لا تخفى عليه خافية

وهذه الأبيات فيها من التناص، فهي تحكى عن الثقافة الإسلامية ومدى استقامة قائلها، فهي هجت بصورة مهذبه ملؤها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، والنصح للراعي وما ينبغي أن يكون من مراقبته على من ولّاهم أمر الناس.

فحملت الأبيات معاني الآيات: قال تعالى: (وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (10) نَارٌ حَامِيَةٌ)[6]، وقوله تعالى: (يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ)[7]وحملت معنى الحديث **(كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)**[8]

---

1 - الجن 9
2 - النفح ج4 ص 178 والاحاطة في أخبار غرناطة ج2 ص 65 والمغرب في حلى المغرب ج2 ص 140 ومعجم الأدباء ج ص 1182 وما بعده
3 - النور 27
4 - الأحزاب من الآية 53
5 - ابن الأبار والنفح ج4 ص294 والذيل التكملة ج5 ص 428
6 - القارعة 10،11
7 - الحاقة 18
8 - صحيح البخاري

ولزوجة قاضي مدينة لوشة اقتباسات محمودة نحو قولها:[1]

هو شيخُ سوء مُزْدَرىً لهُ شيوبٌ عاصيَهْ
(كلاَّ لئن لـــمْ يَنْتهِ لنسفعاً بالناصيهْ)

ويتجلى إبداعها في ثقافتها الإسلامية ومعرفتها بالقرآن الكريم ودروس الفقه الذي جعلها تكون موضع المشورة في النوازل القضائية، وقد استطاعت أن تستفيد من تلك المعارف الإسلامية وتوظفها في الشعر، فقد اقتبستْ آية بأكملها اقتباساً محموداً في بيتها الثاني: **(كلا لئن لم ينته)**، وقال تعالى: **(كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعَنْ بِالنَّاصِيَةِ)**.[2]

ومثلما استمدت الشاعرة الأندلسية معانيها من القرآن الكريم والسنة المطهرة، كان للتاريخ الإسلامي حضوراً في ذهنها، من سير الصحابة رضوان الله عليهم أو الحوادث التاريخية الإسلامية من غزوات وفتوحات وغيرها، كلها رفدت عقول الشواعر بمعين عذب، يدخل في هذا الجانب قول نزهون بنت القلاعي[3]:

حللتَ أبا بكرٍ محلّ منعتُهُ سواكَ، وهل غيرُ الرفيعِ له صدري
وإنْ كان لي كَمْ مِنْ حبيبٍ فإنّما يُقدِّمُ أهلُ الحقِّ فضلَ أبي بكرِ

وقد توسلت بالتورية دون الإشارة، فلفظ (أبي بكر) في البيت الثاني يمكن أن ينصرف إلى عشيقها أبي بكر الوزير، كما يمكن أن ينصرف إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وللحقائق التاريخية في التراث العربي مطلقاً دور في رفد عقول الشواعر الأندلسيات، فقد اعتمدت الشاعرة نزهون على تلك الحقيقة التاريخية العربية المتمثلة في تفضيل العرب للذّكَر على الأنثى تفضيل القوة على الضعف، وذلك في قولها[4]:

إنْ كُنتُ في الخلق أُنثى فإنّ شِعْرِي مُذَكّرْ

- نفح ج4 ص 294 1
- العلق 15 2
- الإحاطة في أخبار غرناطة ج4 ص 191 و النفح ج4 ص 295 وتحفة القادم ص 237 ونزهة الجلساء ص 84 ورايات المبرزين ص 92 3
- المغرب في حلى المغرب ج1 ص 228 وأعلام النساء ج5 ص 169 4

وهذا مستوحى من قوله جل وعلا: (فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)[1].

ومن التناص أيضاً قول حسانة التميمية[2]:

إلى ذي الندى والمجد سارت ركائبي على شَحَطٍ تَصْلى بنارِ الهـــــــــواجرِ

فقد أنشدت حسانة التميمية مستوحية معنى بيتها من القرآن الكريم متناصاً بقوله تعالى: (تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً)[3].

وظفت الشواعر الأندلسيات أيضاً المعلومات التاريخية للتراث الأدبي فوظفنه كما وظفن القرآن الكريم والشريعة الإسلامية وتاريخها، قالت الشاعرة حسانة التميمية[4]:

أنت الإمام الذي انقاد الأنامُ لهُ وملّكَتْهُ مقاليدَ النُّـــــهى الأُممُ

فبيتها هذا مأخوذ المعنى من التراث الأدبي القديم حيث قول الحطيئة[5]:

أنت الأمين الذي من بعد صاحبه ألقت إليك مقاليد النهى البشر

وكذاك قولها[6]:

فإنِّي وأيتامي بقَبْـــضَةِ كفِّه كذي ريشٍ أضحى في مخالبِ كاسِرِ

مستوحى من قول الحطيئة أيضاً[7]:

ماذا تقولَ لأفراخٍ بذي مـــــرخٍ حمرُ الحواصلِ لا ماءٌ ولاشجرُ

فامننْ على صبيةٍ بالرملِ مسكنُـــهُم بينَ الأبـــاطحِ يَغْشَاهُم بها قررُ

فقد اعتمدت الشاعرة حسانة التميمية في تشكيل صورتها الشعرية الاستعطافية الشاكية على التراث الأدبي القديم-شعر الآخرين- لكنها في ثوب جديد بعد أن وظفته توظيفاً رائعاً.

1- آل عمران، 36
2- اعلام النساء ج1 ص 257 / ونفح الطيب ج4 ص168 / وشعراء العرب، ص 529
3- الغاشية 4
5- المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ج5 ص414 / وأعلام النساء ج1 ص256 / ونفح الطيب ج4 ص167 / وشعراء العرب، الأسماء والألقاب والكنى، أحمد سويلم، دار العالم العربي، ط1، 2012م، القاهرة، مصر، ص529
5- ديوان الحطيئة، ص 108
6- اعلام النساء ج1 ص 257 / ونفح الطيب ج4 ص168 / وشعراء العرب، ص 529
7- ديوان الحطيئة، ص 108،107

وعائشة القرطبية كذلك اعتمدت اعتماداً أدبياً يرجع إلى التاريخ الأدبي القديم لا سيما العصر الجاهلي قولها:

وليدكم لدى رأي كشيخ وشيخكم لدى حرب وليد

فقد استقت معنى بيتها من قول عمرو بن كلثوم:[1]

إذا بلغ الفطامَ لنا وليدٌ تخرُّ له الجبابرُ ساجدينا.

أما حفصة الركونية فقد غيرت طريقتها في استنباط المعاني من التراث الأدبي القديم، حيث وظفت الأعلام التي اشتهرت قصصها الأدبية وارتبطت بالحب سيما الحب العذري، فجميل وبثينة كانا من شخصيات الأدب العربي الأموي واشتهرا بحبهما، فاستعانت الشاعرة باسميهما في مقطوعة غزلية بارعة منها[2]:

فعجِّل بالجوابِ فما جميلٌ إياؤك عن بُثينةَ يا جميلُ

إذن ليس هناك عيبٌ في التقليد أو الاستفادة من الموروث القديم في الأدب الأندلسي عامة، أو شعر الشواعر خاصة، وكيف تكون الاتكاءة على التراث عيباً في الأدب وقد اتكأ على التراث أهل العلوم الأخرى؟ فالشعر جنس من الأجناس الأدبية له وعليه ما لغيره من العلوم، فقد اتكأت الشواعر الأندلسيات خير متكأ، حيث ألبسن المعاني الجدة والابتكار، واستخدمن كل ضروب وأدوات التناص الأدبي من اقتباس ومعارضات وغيرها من أدوات للبراعة في ذلك.

وقد ساقت الشواعر الأندلسيات معانيهن من الألفاظ القرآنية والسنة الشريفة والشريعة الإسلامية والفقة الإسلامي عدداً غير قليل يمكن للباحث أن يشير إلى بعض منها تمثيلاً لا حصراً من نحو: **(الله، الإسلام، الصبر، العرش، الإمام، الكبائر، يحشر، الحشر، يتلى، القيامة،**

- عمرو بن كلثوم،الديوان تح، أميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، ط1 بيروت لبنان،1991م ص 91 1
- الطالع السعيد في اخبار الصعيد ، نفح الطيب ج4 ص178 وأعلام النساء ج1 ص271 و نزهة الجلساء ص 43 معجم الأدباء ج3 ص1184 2

العفـــو، النـــار، الحاميـــة، الجنـــة، الفـــردوس، الفـــتح، المصـــطفى، المبـــين، السلســـبيل، الإخـــلاص، رب النـــاس، العـــالمين، الحمـــد، المحـــارم، الأمـــم، النهـــى، أضحى، الأيتام، يقدم، أهل الحق، الطير الأبابيل، مريم، تصلى، ...الخ).

ثالثاً: خاصية المبالغة:-

هذه الخاصية من خصائص المضمون في شعر الشواعر الأندلسيات تُلمس في مدحهن ووصفهن للطبيعة، فقد أكثرن من المبالغة في التغني بهاتين الغرضين، ومن ذلك مبالغة الشاعرة قمر البغدادية:[1]

دَعْنِي من الجهل لا أرضى بصـــــاحبه لا يخْلُصُ الجهلُ من سبٍ ومن عارِ

لو لم تكن جنةٌ إلا لجـــــــاهلةٍ رضيتُ من حكم رب النـــــاس بالنارِ

فهي تبالغ في تفضيل دخول النار على مصاحبة النوكى والجُهال في الجنة، مقطـــع فيه إغراق في المبالغة، وإفراط في الغرابة، لكنه طريف!.

وكذلك قول عائشة القرطبية في مدح المظفر بن منصور بني عامر:[2]

فأنتم آلَ عامرَ خـــيرُ آلٍ زكا الأبناءُ منكم والجـــــــدودُ

وليدُكُمُ لدى رأيٍ كـــشيخٍ وشيخُكُمُ لدى حـــــربٍ وليدُ

حيث يلاحظ مبالغتها في وصف أبناء آل عـــامر برجاحـــة العقـــل وســـداد الـــرأي لدى أطفالهم، وشجاعة وإقدام شيوخهم وثباتهم في الحروب.

أما المبالغة في التغني بالطبيعة عند الشاعرة الأندلسية، قـــول حمدونـــة التـــي تعـــد مبالغة أدبية جميلة في وصف الطبيعة الحالمة[3]:

نزلنا دَوْحَه فَحَنَا عَلَيـــــــنْا حُنُوّ المرضعاتِ على الفطيم

فقد بالغـــت وأســـرفت فـــي المبالغـــة حينمـــا وصـــفت الهـــواء والنســـيم العليـــل في تلك الدوحة وشبهته بحنان المرضعة على فطيمها. أما قولها[4]:

يَرُوعُ حَصَاهُ حاليةَ العذارى فتلمسُ جانبَ العقدِ النـــــظيم

1- ابن عذاري، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ج2، ص 147- 148

- نفح الطيب ج4 ص290 / ونزهة الجلساء ص 61- 62 2

3- الأربيلي، التذكرة الفخرية، ص 264 ، شعراء العرب 531 ونزهة الجلساء ص 47 و النفح ج4 ص 288

4- التذكرة الفخرية، ص 264 ، انظر شعراء العرب 531 ونزهة الجلساء ص 47 و النفح ج4 ص 288

وصـــفتْ وبالغـــتْ ثـــم أســـرفت المبالغـــة فـــي وصـــفها لحصـــى النهـــر المتلألئ حتى شبهته بحبات اللؤلؤ المنظوم .

والشاعرة حفصة الركونية أيضاً قد بالغت فـي وصـفها لخوفهـا مـن الرقيـب أو الوشاة، وشدة حبها فقالت[1]:

لَعُمرُك ما سُرَّ الرياضُ بوصلنا ولكنّهُ أبدى لنا الغلّ والحسدْ
ولا صفّقَ النهرُ ارتياحاً لقـــربنا ولا غرّدَ القمريُّ إلاّ لما وجـدْ
فلا تُحسنَ الظنَّ الذي أنـــت أهلهُ فما هو في كلّ المواطن بالرُّشدْ
فما خِلْتُ هذا الأفقَ أبدى نجومه لأمرٍ سوى كيما يكونَ لنا رصَدْ

يتضـح خوفهـا وإفراطهـا فـي الخـوف حـين صـارت تشـك فـي النهـر والرياض والقمـري والنجـوم والأفـق، وهـذه المبالغـة التـي مثـل لهـا الباحـث، ما هي إلا سـمة مـن سـمات معـاني شـعر الشـواعر الأندلسـيات بـل والشـعر الأندلسي قاطبة، وقـد توجـد فـي كـل الأغـراض الشـعرية التـي تناولنـه. كمـا بالغت الشاعرة حمدة بنت زياد في فتاة أعجبتها مزجها بالطبيعة قالت[2]:

ومِنْ بينِ الظِّباء مـــهاةُ إِنْسٍ سبت لبي وقـد سلبَتْ فؤادي
لها لَحْظٌ تُرقّـــده لأمـــرٍ وذاكَ الأمرُ يَمْنعُني رقادي
إذا سدلَتْ ذوائبَها عَلَيْـــها رأيـتَ البدرَ في جنح السوادي
كأنّ الصّبحَ ماتَ لهُ شقـــيق فمِنْ حزنٍ تَسَـــــرْبَلَ في الحدادي

رابعاً: خاصية الوضوح والغموض:

يلاحـظ علـى المقطوعـات الشـعرية لشـواعر الأنـدلس أنهـا وبصـورة عامة قـد امتـازت بخاصـية الوضـوح، و ذلـك لخلوهـا مـن الجوانـب الفلسـفية المُعقِّدة للمعاني.

5- نفح الطيب ج4 ص177 والاحاطة في أخبار غرناطة ج2 ص63 ورايات المبرزين تح نعمان ص 92 وتح، الداية 162 ونزهة الجلساء ص 40

1- الإحاطة ج2 ص57 و الذيل والتكملة ج5 ص 415 أعلام النساء ج1 ص 293 و تحفة القادم ص 235 و النفح ج4 ص 288 و المطرب من أشعار أهل المغرب ص 11 ونزهة الجلساء ص 47 شعراء العرب ص 530 ومعجم الأدباء ج3 ص 1212 ورايات المبرزين ص 94

وقد وافقت شواعر الأندلس ما يطلبه الشعر حسب رأي بعض من تناول خاصيتي الوضوح والغموض في الشعر، حيث يرون أن الوضوح والبيان مطلوبان في المنظوم والمنثور معاً[1].

فيما خالفن رأي الآخرين ممن اتجه إلى الغموض في الشعر على اعتباره مطلوب فيه ويقويه، على الرغم من تعذره لفهم معاني الشعر، فالغموض خاص بالشعر الفاخر[2].

وخاصية الوضوح قد ميزت كل الشعر الأندلسي، وذلك لعدم إقبال الشعراء على الفلسفة العقلية[3].

ولعل هذه الصفة _ الوضوح _ التي ميزت جل شعر الشواعر الأندلسيات، يرى الباحث أن يمثل لها بأنموذج لكل عصر ففي عهد إمارة قرطبة تظهر خاصية الوضوح عند الجارية العجفاء قالت[4]:

يا طول ليلي أُعالج السقما إذ حلّ كلُّ الأحبّة الحرما
ما كنتُ أخشى فراقكم أبداً فاليوم أمسى فراقكم عزما

وفي عهد الخلافة الأموية بالأندلس تبدو خاصية الوضوح لدى الشاعرة مريم بنت يعقوب التي قالت[5]:

من ذا يجاريكَ في قولٍ وفي عملِ وقدْ بَدَرْتَ إلى فضلٍ ولم تُسَلِ
ما لي بشكرِ الذي نَظّمْتَ في عنقي منَ اللآلي وما أوليتَ مِنْ قِبَلِ

أما عصر ملوك الطوائف فخير من يُستشهد بشعرها من الشواعر هي الأميرة الشاعرة ولادة بنت المستكفي، التي تجلت خاصية الوضوح

- أبوهلال العسكر، الصناعتين، ص 217 1
3- مصطفى الجوزو، نظريات الشعر عند العرب،(الجاهلية والعصور الإسلامية)، ق4،ص332
- سعد بوفلاقة، الشعر النسوي الأندلسي، ص243 3
- أعلام النساء ج3 ص259 و النفح ج3 ص 142 ومحطات أندلسية، ص 89 4
- نفح الطيب ج4 ص 291 / ونزهة الجلساء ص 79 / وأعلام النساء ج5 ص48 / الحميدي، الجذوة ص 600 5

في كل ما عثر عليه من شعرها أعانها في ذلك جرأتها العالية من نحو قولها في العتاب[1]:

لو كنتَ تَنْصِفُ في الهوى ما بيننا لم تهوَ جاريتي ولم تتخيّرِ
وتركتَ غُصناً مثمراً بجَمَاله وجنحتَ للغصنِ الذي لمْ يُثمرِ
ولقدْ علمتَ بأنّني بدر السماء لكن دُهيتَ، لِشقوتي، بالمشترى

وخاصية الوضوح في عصر المرابطين تمثلها الشاعرة هند جارية أبي محمد عبد الله بن مسلمة الشاطبي حين كتبتْ الجواب في ظهر رقعة لمولاها[2]:

يا سيداً حازَ العُلا عن سادةٍ شُمِّ الأنوفِ من الطِرازِ الأولِ
حَسْبي من الإسراعِ نحوكَ أنّني كنتُ الجواب مع الرسولِ المقبلِ

ولعصر الموحدين ودولة بني الأحمر الشاعرة أسماء العامرية التي كانت سمة الوضوح في شعرها شاهداً على عصرها قالت في آخر قصيدتها[3]:

عَرفْنا النّصرَ والفتحَ المبينا بِسيدِنا أمير المؤمنين
إذا كان الحديثُ عن المعالي رأيتُ حديثَك فيها شُجونا
ومنها ورثِتم علمَهُ فعلِمتموه وصُنتم عهده فغدا مصُونا

- الذخيرة ج1 ص 270 / و أعلام النساء ج5 ص 289 / و نفح الطيب ج4 ص205 /ونزهة الجلساء ص 87 – 88 /ومحطات أندلسية ص 116 1
- النفح ج4 ص 294 2
- المراكشي، الذيل والتكملة ج5 ص 410 3

المبحث الثاني:

دراسة الصور البلاغية.

الجانب الأول: الصور البيانية؛ (التشبيه، والاستعارة، والكناية)

التشبيه:

لعل الأصل في الصورة الشعرية الوضوح وعدم التعقيد، لذلك فالجوانب البلاغية البيانية من: تشبيه واستعارة، وكناية، هي ما تجعل المقطوعة الشعرية محببة لسامعها، وتكسوها حلة تتزين بها.

وقد يبقى الشعر كلاماً عادياً ما لم يلجأ الشاعر إلى المقارنات والرموز وعقد التشبيهات والمجاز، فأحياناً يطوف الشاعر في العالم الخارجي والخيالي وما هو محيط ببيئته بغية الوصول إلى جمال المعنى وحلاوة الكلمة وفقاً لحاله.

وبعد تمحيص الأبيات والمقطوعات لشواعر الأندلس يظهر لجوؤهن إلى لغة التشبيه في تصوير كثير من مناسبات أغراضهن الشعرية، والتشبيه ركيزة أساسية عندهن، وفي ذلك قال إبراهيم عبد الرحمن الغنيم: "التشبيه عمود الصورة في النظرية الشعرية القديمة"[1].

فمن نماذج الصور البيانية لشواعر الأندلس ما عقدته الشاعرة حسانة التميمية في تصوير حالتها المتردية عندما أهانها والي ألبيرة، حيث شبهت نفسها وأولادها بطائر لا حول ولا قوة له وصغاره في قبضة الكواسر أو الجوارح قالت[2]:

فإني وأيتامي بقبضة كفه كذي ريش أضحى في مخالب كاسر

هذه الصورة التشبيهية معهودة عند القدماء، لذا فهي صورة تقليدية من حيث المشبه به، ولكن لعل الجوانب البلاغية ليس من الضرورة أن تكون

- الغنيم، إبراهيم عبد الرحمن، الصورة الفنية في الشعر العربي، مثال ونقد، الشركة العربية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة مصر،1996م، ص131 1

- اعلام النساء ج1 ص 257 / ونفح الطيب ج4 ص168 / وشعراء العرب، ص 529 2

جديدة لأنها قواعد تعارف عليها البيانيون منذ عهد بعيد، فلا جدة فيها إلا في تمكين الشاعرة من توظيفها.

وشبهت الشاعرة نزهون بنت القلاعي نفسها بالغزال رشاقة ولطافة وجيداً وعيوناً، فلم تقصر عن تشبيه حبيبها، فشبهته بالأسد قوة وشجاعة، قالت[1]:

لو كنتَ حاضرنا فيها وقَدْ غفلتْ عينُ الرقيب فلمْ تنظرْ إلى أحدِ

أبصرتَ شمسَ الضُّحى في ساعديْ قمرٍ بل ريمَ خازمةٍ في ساعدَيْ أسدِ

وقتما يُتأمل في مقطوعات الشواعر الأندلسيات إلا وتوجد عناصر الطبيعة حاضرة وفي أي غرض، فقد وظفت الشاعرة نزهون هذه العناصر توظيفاً جعلت من مقطوعتها غاية من الجمال، فشبهت نفسها بالشمس مرة وبالغزال مرة أخرى، كما شبهت حبيبها بالقمر مرة وبالأسد مرة أخرى، وقد ساوت بين الطبيعة الصامتة والمتحركة بينها وبين حبيبها. أما حفصة الحجارية فلها صورة تشبيهية تقليدية في حبيبها قالت[2]:

لهُ خُلْقٌ كالخمرِ بَعْدَ امتزاجِها وَحُسْنٌ فما أحلاهُ مِنْ حين خِلْقَتِهْ

بوجهٍ كمثلِ الشمسِ يدعُو بِبشرِه عُيوناً ويُعْشِيها بإفراط هيبتهْ

فالمشبه به (الخمر) فهذه الصورة قد وظفها الشعراء القدماء في العصور السابقة، فهو تشبيه قديم أيضاً، ولكن ما يُرى في الشاعرة أنها استمدته من موروثها الثقافي القديم وجودتها في معانيها، كما شبهت وجه محبوبها بالشمس في الوضاءة وحسن الطلعة، وهنا تدل على استحضارها لعناصر الطبيعة، وصورة التشبيه بالشمس قد ظهرت في الممدوحين على مرِّ العصور الأدبية شعراً ونثراً.

ولم تكتف شواعر الأندلس بالتشبيهات العادية ذات الأركان –المشبه والمشبه به والأداة– بل تناولن التشبيه البليغ أيضاً يتجلى ذلك في قول حفصة الركونية[3]:

فثغري موردٌ عذبٌ زلالٌ وفرعُ ذؤابتي ظلٌ ظليلُ

- النفح ج4 ص 298 وتحفة القادم ص 237 1

1- ونزهة الجلساء في أشعار النساء، ص 43 ، وانظر النفح ج4 ص 285

- الطالع السعيد في اخبار الصعيد ، نفح الطيب ج4 ص178 وأعلام النساء ج1 ص271 و نزهة الجلساء ص 43 معجم الأدباء ج3 ص1184 3

فعلى الرغم من السفور والخلاعة التي تكتنف هذا البيت، والإباحة الجسدية، إلا أنها أتت في صورة فنية جميلة، حيث الطبيعة الأندلسية بمائها العذب الزلال وظلها الظليل حاضرة في بيتها، وقد صورتها في تشبيه بليغ. ويظهر التشبيه البليغ أيضاً في قول الشاعرة ولادة بنت المستكفي[1]:

يا أخا البدرِ سناءً وسـناً حفظَ اللهُ زماناً أطلعكْ

فقد شبهت وبصورة بليغة متخذة من التشبيه المقلوب إبداعها، فشبهت البدر بحبيبها في علوه ورفعته وضياعه، وكذلك هذا التشبيه كان ظاهراً في الشعر العربي القديم وبكثرة، ولكن تمكنت ولادة من الاستفادة من معناه وتوظيفه في وصف ومدح حبيبها.

وشبهت مهجة بنت التياني فاكهة الخوخ التي أُهديت إليها بنهد فتاة في استدرتها وطري ملمسها قالت[2]:

يا مُتحِفاً بالخوخِ أحبابَهُ أهلاً بهِ من مُثلجٍ للصدرْ
حكى ثُدِيَّ الغيدِ تفليكُهُ لكنه أخزى رؤوس الأيورْ

الاستعارة:

الملاحظ على الصور البيانية في مقطوعات الشواعر الأندلسيات أنها ممعنة وموظفة حسب اقتضاء الغرض مما يؤكد أنهن بارعات في استمالة السامع، وتمكنهن من الوصول إلى غاياتهن الشعرية، ويؤكد أن الاستعارة هي محك الشاعرية، إذ إنها تفعل في نفس السامع ما لا تفعله الحقيقة، وهي دليل نبوغ الشاعر وعبقريته[3].

ظهرت الشواعر الأندلسيات بصورة قوية في مضمون المقاطع الشعرية وخصائصه، وسَرَحْن في بيان الكلمة وبلاغتها، فلم يكتفين

- الذخيرة ج1 ص 269 ونفح الطيب ج4 ص 206 والمطرب من أشعار أهل المغرب ص 9 1
- تحفة القادم ص 239 والنفح ج4 ص 293 2
- ابن الأثير، المثل السائر، ج2، ص 71 ما بعدها 3

بالتشبيهات وأنواعها، بل سبحن في بحر الاستعارة للتعبير عن ما يجيش بخواطرهن من أفكار وأحاسيس، فشخصن الجمادات والمعنويات لتوظيفها في معاني مقطوعاتهن ليضفين عليها طابع الرونق والجمال.

ولعل في جانب الاستعارة قد حفلت مقطوعاتهن بالكثير من التشخيص، فالشاعرة الغسانية البجانية قد شخصت **(المنى)** فجعلتها في صورة إنسان**(يُعانق)** دونما تذْكر المشبه به لتصبح الاستعارة مكنية، قالت[1]:

ويسطو بنا لهوٌ فنعتنقُ المنى كما أُعتنقتْ في سطوة الريح أفنان

وها هي حمدونة بنت زياد المؤدب جادت في وصف واديها ودوحتها فجسدت وشخصت الوادي والدوحة، بأفعال لا يؤديها كائن كان إلا الإنسان، قالت[2]:

وقانا لفحةَ الرمضاءِ وادٍ وقاه تضاعَفُ النبتِ العميمِ
نزلنا دَوْحَه فَحَنَا عَلَيْنا حُنُوَّ المرضعاتِ على الفطيم
وأرشَفَنا على ظمأٍ زُلالاً ألذَّ من المُدامَة للنّديم
يصدُّ الشمسَ أنّى واجهتنا فيحجبُها ويأذَنُ للنَّسيم

وترى إسنادها صفة الوقاية والحماية من هجير الشمس لدوحة الوادي، وصفة الحنو والعطف على الدوحة، وكذلك فعل الصد والاحتجاب عن أشعة الشمس لأشجار تلك الدوحة في البيت الرابع، وفي كل الأحوال يلاحظ أنها تعبر بضمير المتكلمين إشار إلى استمتاعها مع صويحباتها، وفي استعانتها بهذه الصفات تكون قد جسدت كل من الوادي والدوحة والأشجار وما حوتها تلكم الدوح وجعلها في صورة (إنسان) وهو مشبه به، لكن الإنسان لم يكن موجوداً أصلاً وإنما هي صور شعرية جملية تجعل منها استعارة مكنية. ولها من روائع التجسيد أيضاً قولها:[3]

3- جذوة المقتبس، ص 601 / وانظر نفح الطيب ج4 ص 171 / والمغرب في حلى المغرب ج2 ص 192 / وأعلام النساء ج4 ص 10

4- التذكرة الفخرية، الأربيلي، ص 264 ، انظر شعراء العرب 531 ونزهة الجلساء ص 47 و النفح ج4 ص 288

1- الإحاطة ج2 ص57 و الذيل والتكملة ج5 ص 415 أعلام النساء ج1 ص 293 و تحفة القادم ص 235 و النفح ج4 ص 288 و المطرب من أشعار أهل المغرب ص 11 ونزهة الجلساء ص 47 شعراء العرب ص 530 ومعجم الأدباء ج3 ص 1212 ورايات المبرزين ص 94

كأنّ الصّبحَ ماتَ لهُ شقـــيق فمِنْ حزنٍ تَسَـــرْبَلَ في الحدادِ

فمن صـــورة هاتيـــك الفتـــاة المترعـــة الجمـــال التـــي تظهـــر لناظرهـــا فـــي وجهـــا الجميـــل وشَـــعَرها الشـــديد الســـواد، لوحـــة فنيـــة رائعـــة، صـــورتها فـــي جمـــال الصـــبح البهـــي، بينمـــا اســـتعارت **(للصـــبح)** صـــفات الإنســـانية؛ مـــن الأخـــوة والمـــوت واللـــبس والحـــزن والأســـى و الحـــداد، لتبـــدع فـــي اســـتعارتها وترسم لوحة شعرية غاية من الجمال، ناتج عن عبقرية فنية متفردة.

وأنموذج الاستعارة المكنية في أبيات شـــواعر الأنـــدلس كثيـــر منـــه قـــول مـــريم بنت أبي يعقوب في ممدوحها أو حبيبها:[1]

للهِ أخلاقُكَ الغرُّ التي سُقيَتْ ماءَ الفُراتِ فرقّتْ رقّـــةَ الغزلِ

تتعجـــب مـــن جمـــال ودماثـــة أخـــلاق الممـــدوح، فجســـدتها فـــي صـــورة حيوان مبـــارك **(الفـــرس)** وكـــذلك نبـــت كـــريم، فاســـتعارت كلمـــة **(الغـــر)** وهـــو بيـــاض يكـــون فـــي نواصـــي الخيـــل اســـتعارتها لأخـــلاق الممـــدوح وجســـدتها على سبيل الاستعارة المكنية.

كمـــا وصـــفت الأخـــلاق بـــالفرس الـــذي يُســـقى فيشـــرب أو بالنبـــات التـــي تُسقى وهـــي الأقـــرب ههنـــا لمـــا جـــاءت بهـــا مـــن ربطهـــا بمـــاء نهـــر الفـــرات، وفي الحالين أيضـــاً تكـــون الاســـتعارة مكنيـــة. كمـــا يلاحـــظ فـــي تجســـيدها أنهـــا أتـــت بهـــا مـــن حيـــوان ونبـــات أي البيئـــة المحيطـــة بهـــا فـــي عـــالم ثقافتهـــا العربية، الواقعية والخيالية.

وتطل صفية بنت عبد الله الريى باستعارتها حينمـــا تصـــف جمـــال خطهـــا وبراعتهـــا فـــي ذلك، قالت[2]:

وعائبةٌ خطي فقلتُ لها اقصري فسوف أُريك الدُّرَ في نَظَم أسطُري

وناديتُ كفِّي كي تجودَ بخطّها وقربتُ أقـــــلامي ورقّي ومُحبِري

- نفح الطيب ج4 ص 291 / ونزهة الجلساء ص 79 / وأعلام النساء ج5 ص48 / والجذوة للحميدي ص 600 1
- الصلة لابن بشكوال ج2 ص 346 وجذوة المقتبس ص 600 2

فهي تستعير للكف (النداء) قولاً أو إشارة، بينما الكف لا يسمع ولايرى، وإنما يسمع النداء ويعرفه (الإنسان) الذي حذفته ولم تذكره، وذكرت قرينة من قرائنه وهو (النداء بالإشارة أو القول)، لشخص الكف على سبيل الاستعارة المكنية.

وبثينة بنت المعتمد بن عباد لم تقِل عن متقدماتها في استخدام الصور البيانية فيُلحظ لها الاستعانة بالاستعارة في قولها[1]:

لمَّا أراد اللهُ فُرقةَ شمْـــلِنا وأذاقنا طعمَ الأســـى عن زاد

تخيلت الشاعرة بثينة واعتمدت على خيالها في هذا البيت، إذ جعلت (للأسى) طعماً يذاق فشبهته ب(الأكل) ثم حذفته وأتت بأحد قرائنه التي تدل عليها وهو (المذاق) لتكون استعارة مكنية. ويلاحظ عليها تحولها عن المألوف في مقطوعات وصيفاتها، فهي جعلت من المعنويات (الأسى) محسوسات يحسها الإنسان وهو (الطعام أو الأكل).

أ- الكناية:

الكناية نوع من أنواع الإشارة تبنى على الحقيقة[2]، وهي ثالثة من الصور البيانية التي حفلت بها مقطوعات شواعر الأندلس، وتدلل الكناية عندهن على ثراء البيئة الطبيعة المحيطة بهن وعلى قوة وعلو ثقافتهن، ولمعرفة ذلك لابد من الوقوف على بعض من مقطوعاتهن مثلاً: قول الشاعرة الجارية قمر البغدادية[3]:

تُمسي على وَحَلٍ تغدو على سُبُلٍ تشقُ أمصارَ أرضٍ بعد أمصارِ

فهي تكني بهذا البيت عن قدومها من على بعد وعُلم أنها أُتي بها من المشرق، وتنقُلها في أماكن متفرقة أمصار وبوادٍ، وكذلك الجواري يفعل بهن، فكلما ابتاعها شخص نقلها إلى موقع آخر.

- أعلام النساء، ج1 ص 118-119 والنفح ج4 ص284 1
- نفح الطيب، ج4 ص 291 2
3- البيان المغرب،ج2، ص 147- 148

وكَنّتْ أم العلاء بنت يوسف عن عفتها وحيائها وعدم سفورها وجرأتها وإغراقها في الملذات التي تقلل من مكانتها وتنسف حيائها؛ قالت[1]:

لولا مُنَافَرةُ المُـــــدا مةِ للصَّبَـــابةِ والغِنَا

لعكفتُ بين كئوسها وجَمَعْتُ أسْبَابَ المُنَى

وأما حسانة التميمية فقد كنَّتْ عن الموت قالت[2]:

إني إليك أبا العاصي موْجّعةٌ أبا المخشيَّ سقَتْه الواكفُ الدِّيَمِ

كَنَّتْ عن دعائها بالرحمة والمغفرة لوالدها بنزول المطر على قبره وهو في باطن الأرض، دونما التعبير عنه بطريقة مباشرة، وهي كناية معهودة عند الشعراء المتقدمين خاصة في العصر الجاهلي. وفي قولها:[3]

إلى ذي الندى والمجد سارت ركائبي على شَحَطٍ تَصْلى بنارِ الهواجرِ

ففي بيتها كنايتان:

أولاهما: كناية عن كرم وفيض عطاء الممدوح

ثانيهما: كناية عن صعوبة الرحلة ومشقة السفر بغية الوصول إلى ممدوحها.

ولمريم بنت أبي يعقوب كنايات منها قولها[4]:

منْ كان والده العضبَ المهنّد لم يَلِدْ من النسلِ غيرَ البِيْضِ والأسَلِ

وفيها كناية عن موصوف، كنَّت ممدوحها بالعضب المهند، وعن أبنائه بالسيوف البيض والرماح. وأما قولها في بيتيها[5]:

وما يُرتجى من بنتِ سبعينَ حجّةً وسبعٍ كنسجِ العنكبوتِ المُهلْهَلِ

- المغرب في حُلى المغرب 2/2 ص 38 و نزهة الجلساء ص 28 1

1- الذيل والتكملة ، المراكشي، ج5 ص414 / وانظر أعلام النساء ج1 ص256 / ونفح الطيب ج4 ص167 / وشعراء العرب؛ الأسماء والألقاب والكنى، أحمد سويلم، دار العالم العربي، ط1، 2012م، القاهرة، مصر، ص529

- اعلام النساء ج1 ص 257 / ونفح الطيب ج4 ص168 / وشعراء العرب، ص 529 3

- نفح الطيب ج4 ص 291 / ونزهة الجلساء ص 79 / وأعلام النساء ج5 ص48 / والجذوة للحميدي ص 600 4

4- جذوة المقتبس ص 600 / والصلة لابن بشكوال ص 995 / و أعلام النساء ج5 ص48 ونفح الطيب ج4 ص 291 / ونزهة الجلساء ص81

تدبُّ دبيب الطفلِ تسعى إلى العصا وتمشي بها مِشْيَ الأسيرِ المُكبَّلِ

فقد كَنَّت بهما عن ضعف قوتها ووهنها عندما أصابها الكِبر، وهي حالة متلازمة للإنسان عند الكبر.

وللشاعرة ولادة بنت المستكفي في باب الكناية ضربان واحد عن نفسها وآخر عن مهجوها قالت عن نفسها:[1]

إني وإن نظر الأنام لبهجتي كظباء مكةَ صيدُهُنّ حرامُ

يُحْسَبْنَ من لين الكلام فواحشاً ويَصُدُّهُنّ عن الخَنَا الإسلام

فهي تكنِّي عن رشاقتها وجمالها في البيت الأول، وتكني عن عفتها وبعدها عن الخلاعة والمجون والاستهتار والسفور في البيت الثاني.

وتهجو حبيبها بالأمس بغيضها اليوم بقولها:[2]

إنّ ابن زيدون على فضله يعشق قضبان السراويلِ

لو أبصرَ الأير على نخلة صارَ من الطيرِ الأبابيلِ

وهنا تكني عن الأيور بقضبان السراويل.

وحفصة الركونية لها في كل الصورة البيانية مثال قالت[3]:

ولو أنِّي خبأتُك في عيوني إلى يومِ القيامةِ ما كفاني

ففي البيت كناية عن ولهها وتشبثها وشدة حبها وتعلقها بعشيقها وشدة غيرتها عليه من كل شي حتى من نفسه عليه!.

ولحمدونة أيضاً كناية في صفاء النهر قالت[4]:

يَرُوعُ حَصَاهُ حاليةَ العذارى فتلمسُ جانبَ العقدِ النظيم

1- النزهة الجلساء ص 91

2- نفح الطيب ج4 ص206 ونزهة الجلساء ص 89

3- النفح ج4 ص 176

3- التذكرة الفخرية ، ص 264 ، انظر شعراء العرب 531 ونزهة الجلساء ص 47 و النفح ج4 ص 288

كنَّت عن صفاء حصباء النهر الذي يضاهي اللؤلؤ المنظوم جمالاً حتى يخيف الفتاة المزينة بالعقود فتلمس عقدها لكون تلك الحصاة تشبه ما في جيدها فربما انفرط عنها.

وقالت نزهون الغرناطية[1]:

إنْ كُنتُ في الخلق أُنثى فإنّ شِعْرِي مُذَكّرْ

استمدت الكناية من خلال ثقافتها بالموروث العربي القديم من جهة، و إلمامها بالقصص الدينية من جهة ثانية، فكنَّت عن قوة شعرها ورصانته بالذكورة، واتخذت من أفضلية الذكور على الإناث سبيلاً إلى ذلك حيث قوتهم وشدتهم.

ويختم الباحث أمثلة الصور البيانية ببيت للشاعرة قسمونة بنت إسماعيل اليهودي قالت[2]:

أرى روضةً قد حان قطافُها ولستُ أرى جانٍ يَمُدُّ لها يَدَا

وفي البيت صورتين للكناية:

أولاهما: أنها تكني عن جمالها واكتمال نُضجها الجسدي ونضارتها وقمة بهجتها وأنوثتها بقولها: (حان قطافها).

وثانيهما: تكني عن تأخرها في الزواج وعدم تقدم الخطّاب لها مما يوحى لها ببقائها رهن التأنس بقولها: (لست أرى جان يمد لها يداً).

وفي قولها هذا أيضاً تناص مع خطبة الحجاج بن يوسف.

عموماً وفي كل صورة من الصور البيانية – التشبيه، والاستعارة، والكناية– التي أجراها الباحث يتضح أن الشواعر الأندلسيات لم يخرجن من محورين في استخدامهن لهذه الصور البيانية:

المحور الأول: نهلِهنّ من الثقافة العامة لحياتهن وكذلك المورث الأدبي القديم وقوة عبقريتهن في توظيف تلك المعارف.

---

1 - المغرب في حلى المغرب ج1 ص 228 وأعلام النساء ج5 ص 169

2 - نزهة الجلساء ص 75

المحـــور الثـــاني: روح الإبـــداع والابتكـــار المرتبطـــة بعناصـــر البيئـــة وتطويعها في قوالب شعرية عن طريق الصور البيانية .

الجانب الثاني: المحسنات البديعية (الطباق، والتورية، والجناس):

أ- الطباق

يلاحظ استخدام المحسن البديعي –الطباق– عند شواعر الأندلس في مواضع مختلفة منها قول قمر البغدادية[1]:

لو لم تكن جنةٌ إلا لجـــاهلةٍ رضيتُ من حكم رب النـــــاس بالنارِ

فقد طابقت بين الجنة والنار طباق إيجاب. وكذلك يوجد الطباق في قول أنس القلوب[2]:

قَدَمَ الليلَ عنـــــد سيرِ النّهارِ وبَدَا البدرُ مثلَ نصفِ السِّوارِ

الطبـــاق بـــين الليـــل والنـــار، وهنـــا يوجـــد تشـــكيل بلاغـــي متـــداخل بـــين صـــورة بيانيـــة ومحســـن بـــديعي، فاســـتعارت صـــفة الإنســـان وهـــو القـــدوم والمجيـــئ (الليـــل) وحـــذف الإنســـان وهـــو المشـــبه بـــه ورمـــز إليـــه بشـــيء مـــن لوازمـــه وهـــو القـــدوم والاستعارة مكنية، وكذلك تشبيه البدر بالسوار.

وقولها[3]:

وكأنَّ الكُؤوسَ جـــامدُ ماءٍ وكأنّ المُـــدَامَ ذائبُ نارِ

لفظا جامد وذائب بينهما تطابق.

وحسانة التميمية تطابق في بيتها التي قالت فيها[4]:

فإنْ أقمتُ ففي نُعماكَ عاطـــفة وإنْ رحلتُ فقـــد زوّدتَني زادي

طابق بين فعلي الإقامة والترحال.

والشاعرة أم السعد بنت عصام الحميرية قالت:[5]:

آخِ الرجالَ من الأبـــــا عِدِ والأقاربَ لا تُقـــــارب

1- البيان المغرب،ج2، ص 147- 148
- نفح الطيب ج ص 147 وما بعدها / و أعلام النساء ج1 ص 97 وما بعدها 2
- نفح الطيب ج ص 147 وما بعدها / و أعلام النساء ج1 ص 97 وما بعدها 3
- نفح الطيب ج4 ص168 / و شعراء العرب أحمد سيلم ص 530 / وأعلام النساء لعمر رضا كحالة ج1 ص 257 4
2- أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، عمر رضا كحالة،ج4 ص167

ففي حكمتها طباق بين الأباعد والأقارب

وتعود قسمونة اليهودية بصورة جمالية أخرى وهي محسن بديعي تزهي بها صورة بيتها الشعري الذي تتحسر فيه على فوات عمر الشباب ونضارته فعبرت عنها بقولها[1]:

فوا أسفي يمضي الشبابُ مُضَيّعاً ويبقى الذي ما إن أسميه مُفْرَدَاً

لفظة "يمضي"، "ويبقى" ترسمان طباقاً إيجابياً

وتُظهر أمة الرحمن (أم الهناء) بنت عبد الحق في وداع أبيها القاضي معبرة عن حبها وحنينها ربما لإبيها وربما لحبيبها، بيد أن مناسبة الأبيات وداع أبيها فطابق بين (فرح وأحزان) قالت[2]:

يا عينُ صار الدمعُ عندك عادةً تبكين في فرحٍ وفي أحزانِ

والشاعرة ولادة فقد قالت[3]:

وتركتَ غُصنا مثمراً بجَمَاله وجنحتَ للغصنِ الذي لمْ يُثمرِ

أما الأميرة الشاعرة ولادة بنت المستكفي فطابقت بين(مثمراً ولم يثمر) طباقاً سلبياً، _فهي الوحيدة التي طابقت طباقاً سلبياً بين شواعر الأندلس_ في هذه النماذج.

ب- التورية:

وقد استخدمت الشواعر الأندلسيات التورية كواحدة من المحسانت البديعية التي ترونق الشعر وتضيف له جمال الإخراج.

والملاحظ عليهن – شواعر الأندلس – لم تكثرن من التورية أو ربما تكاد تنعدم في المقطوعات الشعرية التي حصل عليها الباحث، وعُثر عليها في قول الشاعرة نزهون[4]:

- نزهة الجلساء ص 75 1

- الذيل والتكملة، المراكشي، ج5 ص 406 2

- الذخيرة ج1 ص 270 / و أعلام النساء ج5 ص 289 / و نفح الطيب ج4 ص205 /ونزهة الجلساء ص 87 – 88 /ومحطات أندلسية ص 116 3

- الإحاطة في أخبار غرناطة ج4 ص 191 و النفح ج4 ص 295 وتحفة القادم ص 237 ونزهة الجلساء ص 84 ورايات المبرزين ص 92 4

حللتَ أبا بكرٍ محــلّ منعتُهُ سواكَ، وهل غيرُ الرفيعِ له صدري
وإنْ كان لي كَمْ مِنْ حبيبٍ فإنّما يُقدِّمُ أهلُ الحقِّ فضـــــلَ أبي بكرِ

علـــى الـــرغم مـــن أن البيـــت مـــن ضـــمن الأبيـــات التـــي تتـــداخل فيهـــا صـــور التشـــكيل البلاغـــي، إلا أن لفـــظ (أبـــي بكـــر) فـــي عجـــز البيـــت الثـــاني ينصـــرف إلـــى إبـــي بكـــر الصـــديق _رضـــي الله عنـــه_ أولاً وهـــي لا تقصـــده، كمـــا ينصـــرف إلـــى أبـــي بكـــر الـــوزير عشـــيقها وهـــو المقصـــود بالتوريـــة المقصودة معناً وإيراداً في أشعار الشواعر الأندلسيات.

كما توجد التورية في قول الشاعرة البارعة حفصة الركونية[1]:

ولا صفّقَ النهرُ ارتياحاً لقـــربنا ولا غرّدَ القمريُّ إلاّ لما وجـــــــدْ

ويلاحـــظ التوريـــة فـــي كلمة(وجـــد) وتعنـــي وجـــد الشـــيء وهـــو غيـــر مقصود، وتنصرف إلى (موجدة) بمعنى الحسد وهذا تناسب غرضها.

ت- الجناس أو التجنيس:

ويُقصـــد بـــه عنـــد ابـــن المعتـــز: "ائـــتلاف كلمتـــين فـــي الحـــروف دون المعنى"[2].

ويبدأ الباحث أمثلة الجنـــاس بـــأنموذج للشـــاعرة حمدونـــة بنـــت زيـــاد، وقـــد خاضت في كل صور البلاغة قالت[3]:

أباحَ الدمعُ أسراري بِـــوَادي لهُ للحســـــــــــنِ آثارٌ بَوَادي

فلفـــظ (بـــوادي) فـــي صـــدر البيـــت تعني(المـــاء فـــي مجـــرى الـــوادي) بينما تعني لفـــظ (بـــوادي) فـــي عجـــز البيـــت (الظـــاهرة أو القـــرى) وبـــذا تكـــون قد جانست بينمها لفظاً مع اختلافهما معاً.

وأما قول حفصة الركونية:

1- نفح الطيب ج4 ص177 الاحاطة في أخبار غرناطة ج2 ص63 ورايات المبرزين تح، نعمان ص 92 وتح، الداية 162 ونزهة الجلساء ص 40

- ابن المعتز، كتاب البديع، ص25، 35 2

3- الإحاطة ج2 ص57 و الذيل والتكملة للمراكشي ج5 ص 415 أعلام النساء ج1 ص 293 و تحفة القادم ص 235 و النفح ج4 ص 288 و المطرب من أشعار أهل المغرب ص 11 ونزهة الجلساء ص 47 شعراء العرب ص 530 ومعجم الأدباء ج3 ص 1212 ورايات المبرزين ص 94

هددوني من أجل لبس الحداد لحبيب أردوه لي بالحداد

فقد جانست بين كلمة الحداد التي تعني (الحزن على ذوي القربى)، وكلمة الحداد التي تعني (كل ما حد من رمح أو سيف أو نبل...الخ) الذي قُتل به قريبها.

وقولها كذلك[1]:

فعجِّل بالجواب فما جميلٌ إباؤك عن بُثينةَ يا جميلُ

الجناس في كلمة جميل، في (جميل) صدر البيت هو صيغة مبالغة من الجمال، و(جميل) في عجزها تقصد بها أحد علمي أسطورة الحب العذري في العصر الأُموي جميل بن عمر صاحب بثينة الذي عُرف بها.

وتورد حسانة التميمية التجانس في بيتين قالت في الأول[2]:

سقاه الحيا لو كان حيَّاً لما اعتدى عليَّ زمانٌ باطشٌ بَطْشَ قادرِ

وعند حسانة التجانس في كلمة (حيا) المطر وتقصد تدفق النعم على ممدوحها، و(حيا) الثانية هي الفترة الزمنية المعروفة التي يعيشها الإنسان من لحظة الولادة إلى الموت.

وأما قولها[3]:

ليجبرَ صَدْعي إنه جابرٍ ويَمْنَعُني من ذي الظلامةِ جابرِ

ف(جابر) في صدر البيت يفيد اسم الفاعل للفعل جبر، و أما(جابر) في عجز البيت تعني بها اسم والي ألبيرة الذي ألقي عليها الظلم ومنعها من حقوقها.

الجانب الثالث: الجوانب المتداخلة من الصورة والتشكيل البلاغي:

الملاحظ على شواعر الأندلس أنهن اعتمدن في تشكل الصور البلاغة لمقطوعاتهن الشعرية على الخيال المؤلف أحياناً، وعلى الحقائق الواقعية حيناً

- الطالع السعيد في اخبار الصعيد ، نفح الطيب ج4 ص178 وأعلام النساء ج1 ص271 و نزهة الجلساء ص 43 معجم الأدباء ج3 ص1184 1

- اعلام النساء ج1 ص 257 / ونفح الطيب ج4 ص168 / وشعراء العرب، ص 529 2

- اعلام النساء ج1 ص 257 / ونفح الطيب ج4 ص168 / وشعراء العرب، ص 529 3

آخر، فجاءت أبياتهن الشعرية مشكلة من صور بلاغية متداخلة مستخدمات في ذلك عناصر وأدوات الطبيعة، وقد وقف الباحث على تلك المقاطع التي ظهرت خلالها التداخل ويمثل لذلك منها بقول الشاعرة البارعة حفصة الركونية[1]:

لَعُمرُك ما سُرَّ الرياضُ وصلنا ولكنّهُ أبدى لنا الغلّ والحسدْ
ولا صفّقَ النهرُ ارتياحاً لقربنا ولا غرّدَ القمريُّ إلاّ لما وجدْ
فما خِلْتُ هذا الأفقَ أبدى نجومه لأمرٍ سوى كيما يكونَ لنا رصَدْ

فتداخل الصور البيانية التي جاءت في عناصر الطبيعة الحية والصامتة من القمري والرياض والنهر والأفق والنجوم، تؤكد قوة خيال الشاعرة وتوظيفها للمعاني في صور بلاغية جميلة تم الوقوف عليها في مواضع متفرقة من هذا الفصل. كما يلاحظ التورية في كلمة(وجد) وتعني وجد الشيء وهو غير مقصود، وتنصرف إلى (موجدة) بمعنى الحسد وهذا تناسب غرضها. ويلاحظ على مقطوعة الشاعرة حمدونة التي تصف فيها وبازدواج جمال النهر وجمال الفتاة على النهر بين أخواتها قالت[2]:

أباحَ الدمعُ أسراري بِوَادي لهُ للحسنِ آثارٌ بوَادي[3]
فمِنْ نهرٍ يطوفُ بكلّ روضٍ ومن روضٍ يطرفُ بكل وادي
ومِنْ بينِ الظِّباء مهاةُ إِنْسٍ سبت لبي وقد سلبَتْ فؤادي
لها لَحْظٌ تُرقّدِه لأمرٍ وذاكَ الأمرُ يَمْنعُني رقادي
إذا سدلَتْ ذوائبَها علَيْها رأيتَ البدرَ في جنح السوادي
كأنّ الصّبحَ ماتَ لهُ شقيق فمِنْ حزنٍ تَسَرْبَلَ في الحدادي

3- نفح الطيب ج4 ص177 والاحاطة في أخبار غرناطة ج2 ص63 ورايات المبرزين تح، نعمان ص 92 وتح، الداية 162 ونزهة الجلساء ص 40

1- الإحاطة ج2 ص57 و الذيل والتكملة للمراكشي ج5 ص 415 أعلام النساء ج1 ص 293 و تحفة القادم ص 235 و النفح ج4 ص 288 و المطرب من أشعار أهل المغرب ص 11 ونزهة الجلساء ص 47 شعراء العرب ص 530 ومعجم الأدباء ج3 ص 1212 ورايات المبرزين ص 94

- هذه الأبيات في معظم المصادر مع بعض اختلاف في الرواية، وفي مناسبتها 3

فالصورة الجمالية المشكلة في هذا المقطع مزدوج بين بيان صورة النهر الصافي ماؤه، وهو يجري بين الرياض وما حوتها من آيات الجمال وما في النهر من فتيات كالظباء حسناً ورشاقة، فهذه هي لوحة واحدة.

أما الصورة الثانية في هذا المقطع فهي صورة متداخلة، فهي تصف فتيات جميلات بمحياهن كالظباء، وقد انفردت منهن واحدة في غاية جمالها واكتمال نضارة شبابها، وجمال عينيها، مقارنتة إياها مع البدر في الأفق ليلاً، فالفتاة ذات وجه دائر وأبيض كسنا البدر واستدارته، في رأس شديد سواد الشعر أطوله يتدلى على كتفيها كالليلة الظلماء، وذلك عند برودها أو استحمامها في النهر وقد تلاصقت عليها ثيابها وهي تسبح فوق الماء وبدت مفاتنها!.

وتختتم لوحتها الشعرية الرائعة المتداخلة بعقد مقارنة بين الفتاة والصبح حين تفلق بسناه وبياضه الناصع في وسط سواد ما تبقى من الليل، بصورة لفتاة أخرى في بهائها وحسنها ورونقها أتاها فجأة نبأ موت حبيبها أو أحد أقاربها فتسرع إلى لبس الحداد وهو السواد – غير أن الأندلسيين اعتادوا لبس البياض عند الحداد–، وفي هذا تأكيد لاستمداد الشاعرة لهذا المعنى من المورث الأدبي والثقافي العربي القديم.

وأما قول صفية بنت عبد الله الريئ:[1]

وعائبةٍ خطي فقلت لها اقصري ... فسوف أُريك الدُّرَ في نَظَم أسطُري

وناديتُ كفِّي كي تجودَ بخطّها ... وقربتُ أقلامي ورقّي ومُحبِري

- الصلة لابن بشكوال ج2 ص 346 وجذوة المقتبس للحميدي ص 600 1

ففيه مجاز مرسل علاقته الكلية، فمن المعروف أن الكف لا تَكْتُب وإنما تكتب الأصابع، ولما كانت الأصابع جزء من الكف صار المجاز مرسلاً علاقته الكلية. ومثلها قول نزهون[1]:

حللتَ أبا بكرٍ محلّ منعتُهُ سواكَ، وهل غيرُ الرفيعِ له صدري

فالحب محله القلب والقلب في الصدر، فذكر المحل وترك الحال فالمجاز مرسل علاقته المحلية، وكذلك يمكن أن تكون العلاقة كلية، لأنها ذكرت الكل الصدر وأرادت منها القلب الذي هو جزء منه.

ولما كان الشعر يعتمد على شيء من الخيال، يمكن أن تكون كلمة (صدر) تعني بها الضم والمعانقة بين المحبين، وإن كان كذلك فيرى فيه الباحث ضعفاً.

وأما ولادة فداخلت بين الصور البيانية والمحسنات في بيتين شكلتا لوحة من الإبداع وقوة الخلق الفني وجمال الفكر قالت[2]:

إني وإن نظر الأنام لبهجتي كظباء مكةَ صيدُهُنّ حرامُ

يُحْسَبْنَ من لين الكلام فواحشا ويَصُدُّهُنّ عن الخَنَا الإسلام

ففي البيت الأول شبهت الشاعرة نفسها في روعتها ورشاقتها بالظباء، وكذلك كَنّت عن ذاتها الرفيعة في الجمال والرشاقة بالظباء، ثم ربطت البيت الثاني بالأول، فاستعارت للظباء قرينة من قرائن الإنسان وهي لين الكلام ورقة القول وحلاوة الأسلوب، إذ جعلتها إنساناً يتكلم وبألين القول!، وكذلك كُنت عن العفة والتمسك بالأخلاق الإسلامية. ويلاحظ أيضاً في هذا البيت تشبيه التمثيل.

وقول أنس القلوب[3]:

قَدَمَ الليلَ عند سيرِ النّهارِ وبَدَا البدرُ مثلَ نصفِ السِّوارِ

- الإحاطة في أخبار غرناطة ج4 ص 191 و النفح ج4 ص 295 وتحفة القادم ص 237 ونزهة الجلساء ص 84 ورايات المبرزين ص 92 1

- نزهة الجلساء ص 91 2

- نفح الطيب ج ص 147 وما بعدها / و أعلام النساء ج1 ص 97 وما بعدها 3

يلاحظ أنها عقدت وجه شبه الاستدارة بين البدر والسوار، وهذا جانب بياني، وقد سبقته بالطباق بين الليل والنهار.

وكذا الحال في قولها[1]:

وكأنَّ الكُؤسَ جـــــامدُ ماءٍ وكأنّ المُـــــــدَامَ ذائبُ نارِ

كما لم تتخلف الشاعرة ولادة عن كل ما من شأنها أن تصبغ المقاطع الشعرية لشواعر الأندلس لوناً جمالياً متفرداً فقد قالت[2]:

وتركتَ غُصنا مثمراً بجَـــــمَاله وجنحتَ للغصنِ الذي لمْ يُثمرِ

بيت عتاب بلون الطبيعة الأندلسية، عاتبت فيه حبيبها حينما تركها ومال إلى غيرها، فبينما هي تطابق طباقاً سلبياً بين (يثمر ولم يثمر) كذالك تكني في البيت كلها عن جمالها وحسنها، كما تعقد المشابه في البيت فشبهت ذاتها بالغصن المثمر اللدن غيداً وتمايلاً وما فيه من ثمار.

ويختم الباحث هذه الملاحظة بقول الشاعرة حفصة الركونية:[3]

فعجِّل بالجـــــوابِ فما جميلٌ إباؤك عن بُثينةَ يا جميلُ

بينما هي تجانس بين جميل بثينة وجميل فعال حبيبها، تراها تشير إلى حبها وتصفه بالعذري العفيف الطاهر، فتجعل مكانتها وعشيقها في مقام جميل وبثينة.

- نفح الطيب ج ص 147 وما بعدها / و أعلام النساء ج1 ص 97 وما بعدها 1

- الذخيرة ج1 ص 270 / و أعلام النساء ج5 ص 289 / و نفح الطيب ج4 ص205 /ونزهة الجلساء ص 87 – 88 /ومحطات أندلسية ص 116 2

- الطالع السعيد في اخبار الصعيد ، نفح الطيب ج4 ص178 وأعلام النساء ج1 ص271 و نزهة الجلساء ص 43 معجم الأدباء ج3 ص1184 3

المبحث الثالث:

الأسلوب وموسيقى الشعر:

أولاً: جانب الأسلوب:

في هذا الجانب يحاول الباحث أن يقف على دراسة الشكل العام بالنسبة لقصيدة الشواعر الأندلسيات، وما يتعلق بجانب اللغة التي كتبت بها القصيدة ومطالعها عندهن، كما يقف الباحث أيضاً على المَواطن التي أسهمت فيها الشاعرة مع الشاعر في الشعر، وكيف اختلفت عنه في شكل القصيدة ولغتها.

أ- لغة القصيدة عند الشواعر الأندلسيات:

ولعل اللغة هي الأساس الذي يبني الشعراء مطلقاً عليه أشعارهم، ويعرف بها مدى قوتها، على مر العصور والأزمان، من حيث سلامتها وجودتها ورداءتها، وتكرارها وحداثتها، وما إلى ذلك.

فمن خلال مقطوعاتهن وأبياتهن يلاحظ على أن لغتهن الشعرية جاءت كما كانت لغة الشعر عند الشعراء عبر كل العصور الأدبية السابقة -ولغة الشعراء الأندلسيين من بينهم- حيث تجمعهم المساجلات في الصوالين الأدبية التي كانت ضمن حياتهم الثقافية.

وبتمحيص اللغة والكلمات التي تتألف منها أبياتهن أو مقاطعهن توجد ألفاظ كثيرة جداً هي ذات الألفاظ التي استخدمت في شعر من سبقهن من شعراء وشواعر في العصور السابقة لعصرهن، وهذا يؤكد على أن التراث الأدبي العربي القديم قد أمدهن بهذا الكم الهائل من الألفاظ، فلا يخلو بيت لهن من تلك الألفاظ من مثل: **(الضراغم، والخمر، والمحيا، والواكف الديم، والجود، والركائب، والرحال، والسيف، والنار، والكرم، والشجاعة، والحرب، والندى، والعزة القعساء،...الخ)** وما إلى ذلك.

كما أن هناك طائفة أخرى من الكلمات التي استعانت بها الشاعرة الأندلسية في لغة شعرها استخلصتها من بيئتيها الطبيعية -الحية والصامتة- و الاجتماعية، فمن الكلمات المستمدة من: (**الطبيعة الحية؛ الغزال، والقمري، والطير، والظباء، والطبيعة الصامتة وهي أكثرها؛ النهر، والزهر، والروض، والحصى، والبدر، والنجم، والشمس، والنسيم، ...الخ).**

ومنها ما تنتمي إلى البيئة الاجتماعية للشاعرة من: **(الجواري، والعبيد، والأحرار)**. وهذا طبيعي إذ إن من بينهن الشاعرة الأميرة، والشاعرة الجارية، والشاعرة التي تنتمي إلى الطبقة العليا من الشعب وكذلك الشاعرة التي تنتمي إلى عامة الشعب.

وتوجد أيضاً مفردات لغوية في أشعارهن استوحتها الشاعرة الأندلسية من طبيعة المجتمع الأندلسي في عقيدتها وتدينها، ولمّا كان الإسلام هو الدين والعقيدة الغالبة على البيئة الأندلسية وقتها وعلى الرغم من أن بعض الشواعر لم تكنّ قويات في التدين لما سادت في مجتمعهن من التحرر في كثير من الالتزام بالجوانب العقيدية إلا أن الشعر يمثل بيئة المجتمع مهما تكن، فظهرت المفردات الدينية وإن لم تكن كثيرة نحو: **(الجنة، والنار، والحشر، والله، وتصلى،...الخ).**

ولما كانت المفردات اللغوية المستخدمة في شعر الشاعرة الأندلسية أضحت معروفة المنبت والاستقاء، يُلاحظ عليها الآتي:

أ-أن تلك الألفاظ جاءت سهلة وبخاصة ما استخدمت في أغراض الغزل والمدح والوصف، وجاءت فيها المستنفرة المستخدمة في الهجاء مثلاً عند ولادة ومهجة ونزهون.

ب-سلاسة أسلوبهن لوقوفهن عند نظم الشعر فقط ولم يتعدينه إلى لغة الزجل والموشحات والدوبيت التي جاءت مفرداتها عامية ودارجة.

ب- مطلع القصيدة عند شواعر الأندلس:

أما ما يتعلق بالشق الآخر لجانب الأسلوب ودراسة الشكل العام للقصيدة عند الشواعر الأندلسيات، فهو الوقوف على مطلع القصيدة عندهن، ومن الواضح فإن الشعر عندهن عبارة عن نتف، ومقاطع وأبيات، ومطالع القصيد كما قال ابن رشيق: "المقصود بمطالع القصائد أوائل الأبيات"[1].

فلا توجد لهن قصائد حتى تكون لها مطالع، وقد اكتفين بالبيت أو النتف أو إجازة البيت فقط، وربما مقطوعة، وكذلك لا توجد الأطلال حتى يبكين عندها، ولم تظعن حتى يرحلن إلى أماكن أخرى، بيد أن الشاعرة حسانة التميمة وهي الوحيدة التي حاولت الترحال إلى الممدوح على صورة تقليدية قديمة وهي خيالية جاءت في مدحتها:

إلى ذي الندى والمجد سارت ركائبي على شحط تصلى بنار الهواجر.

كما أن ركوب الأهوال والمخاطر لا يتفق وطبيعة المرأة الأندلسية، وليس في بيئتها ما يشير إلى ذلك البتة، حتى ولو لم يكن التعبير عن الرحلات وركوب الأهوال حقيقة، بل يقصد بها التقليد فحسب.

ثانيا: جانب موسيقى الشعر:

حينما تُذكر موسيقى الشعر يتبادر إلى الأذهان وزنه وقافيته، وهذا ما سيذهب إليه الباحث حول المقطوعات التي عُثرت عن شواعر الأندلس، وما سُمي الشعر شعراً إلا لارتباطه بالوزن والقافية، كما قال القرطاجني في تعريفه للشعر: "بأنه كلام موزون مقفى"[2]. ومن هذا التعريف فإن هذا الجانب منه سيتناول الباحث فيه الأوزان والقوافي، ولكل منهما مفاصله.

- القيرواني أبو الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح، محمد محي الدين عبد الحميد، ط5، بيروت لبنان، 1981م ج1 ص346. 1

- منهاج البلغء وسراج الأدباء، القرطاجني، ص 73 2

أ- جانب الأوزان الشعرية:

الوزن أعظم أركان حد الشعر، وأولاها به خصوصية، وهو مشتمل على القافية، وجانبٌ لها ضرورة، إلا أن تختلف القوافي فيكون ذلك عيباً في التقفية لا في الوزن.[1]

فالقدماء كان يقصرون موسيقى الشعر على توفر الوزن والقافية، إذ بهما يميز الشعر من النثر.[2]، وقد سبقهم في هذه النقطة_ الوزن والقافية_ أرسطو حين قال: "الدافع الأساسي للشعر يرجع إلى علتين: أولهما غريزة المحاكاة أو التقليد، والثانية غريزة الموسيقى أو الإحساس بالنغم"[3]

وبالنظر إلى تعرف القرطاجني فإن الكلام عن الأوزان الشعرية أسبق من الحديث عن قوافيه لذلك يبحث الباحث عن البحور الشعرية التي استعملتها شواعر الأندلس في مقطوعاتهن وفقاً للأغراض من حيث كثرة تكرار البحور وعدم استعمالها.

من خلال الأبيات والمقاطع لشواعر الأندلس لاحظ الباحث أن هناك بحوراً اسُتعملت بصورة متكررة وكثيرة بينما البحور الأخرى حظيت باستعمال متوسط وأخرى ندرت استعمالها، وبحور لم تستعمل البتة.

فمثلاً تجد بحر الطويل والكامل والسريع كُثُر استعمالها، ويليها استعمال الوافر والبسيط، وقل استعمالهن لبحر المجتث ومجزوء الكامل، والخفيف، ولم يستعملن الرمل والمتقارب والخفيف والمجزؤات إلا نادراً، بينما انعدمت عندهن أبحر المجتث والهزج والمقتضب والمتدارك، والمنسرح والمضارع، والرجز، والمديد.

1- العمدة في محاسن الشعر، ابن رشيق، ص 218

2- إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ط2، 1952م، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ص11.

3- أرسطو، فن الشعر، تر، دكتور إبراهيم حمادة، دط، دت، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ص 56

نظمت شواعر الأندلس مقطوعاتهن على هذه البحور دون الربط بين الأغراض والبحور، وذلك لأن الأغراض في طبيعة الأمر لم تكون مرتبطة ببحر معين، وإنما يتوقف ذلك على عاطفة الشاعر وإحساسه حال نظمه للشعر. فتتاولن الأغراض المختلفة من مدح وغزل وهجاء وعتاب ووصف، وغيرها من الأغراض دون ربطهن بين الغرض وبحر معين.

وهذا ما يؤكده قول أنيس: "نغمة الإنشاد تتغير حسب حالة الشاعر النفسية، فهي في حالة السرور والغضب سريعة مرتفعة، وفي حالة اليأس والحزن بطيئة حاسمة"[1]

فجاء بحر الطويل كثيراً في غزلهن ومدحهن، وقد ورثنه من الموروث الأدبي القديم، إذ إن ثلثي الشعر العربي شُكِّل من البحر الطويل[2].

ومما يلاحظ عليهن في استعمال البحور أنهن قد وزن هجاءهن على البحر السريع، فيما تناولن بقية الأغراض على البحور الأخرى.

ب- جانب القوافي:

إذا كان الوزن هو الركن الأول للشعر فإن القافية تعد ركنه الثاني الذي يبُنى عليه، ولكنها أضحت ركناً للشعر القديم دون الحديث؛ كالشعر الحر وشعر التفعيلة.

القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يُسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية.[3] والقافية هي من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه من قبله، مع حركة الحرف الذي قبله في القافية، فتكون مرة بعض كلمة، ومرة كلمة، ومرة كلمتين.[4]

فالقافية لابد من ارتباطها بالوزن في الشعر العربي القديم، وذلك لدورها المهم في الإيقاع الشعري، فلولا القافية لما تمت العملية الإيقاعية للشعر عندهم.

---

1 - أنيس، موسيقى الشعر، ص 176 وما بعده

2 - إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص 176وما بعدها

3 - العمدة، ابن رشيق، ج1 ص243.

4 -: العمدة، ابن رشيق،ج1 ص242/ كتاب القوافي، الخليل ابن أحمد، ص43، لزوم ما لا يلزم، أبو العلاء المعري، ج4

والباحث حين يتناول القافية يتناولها على أساس أنها موسيقى خارجية من حيث نوعيها المطلقة والمقيدة، ومن حيث حروفها، وعيوبها. لا الموسيقى الداخلية التي تعتمد على تناسب أصوات الحروف والكلمات.

أنواع القوافي:

القافية المقيدة والقافية المطلقة، فالمقيدة منها؛ هي ما أُسكنت حرف رويها، بينما المطلقة ما كانت حرف رويها متحركة،[1].

وبالنظر في أبيات شواعر الأندلس محل البحث، يظهر استخدامهن للقافية المطلقة أكثر بكثير من استخدامهن للمقيدة، وقد برعت منهن: ولادة ومهجة بنت التياني، ونزهون الغرناطية، وحفصة الركونية، وقسمونة اليهودية، وعائشة القرطبية، وحفصة الحجارية، برعن في استخدامهن للقافية المقيدة، واستخدامهن للمقيدة دليل على درايتهن وقوة قرائحهن الشعرية، والتزامهن بكلام العرب الذين لا يقفون على متحرك.

ولكن تقيدهن لقوافي أبياتهن يدلل كذلك على نزعة التقليد والمحاكاة للشعر العربي القديم – الجاهلي خاصة–[2] الذي قلت فيه القافية المقيدة الداعية لحبس النفس لدى الشاعر، وربما كان المراد من الشعر ترويح النفس.

حروف القوافي:

أ– الروي:

ومن أهم حروف القوافي حرف الروي؛ وهو الصوت الذي تبنى عليها أبيات القصيدة أو المقطع، وهو الحرف الأكثر تكراراً في القصيدة، ويقفى الشعر باشتماله على الصوت المكرر في آخر كلمة من عجز البيت، تنسب إليه القصائد نحو: عينية سويد بن أبي كاهل اليشكري، ونونية أبو البقاء الرندي، والهمزية، وسينة البحتري، والرائية،...الخ.

- العمدة لابن رشيق، ج1 ص154وما بعدها. 1

- إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص 260 2

وبعد متابعة الأراجيز الشعرية للشواعر الأندلسيات لُوحظ حروف الروي الذي استعملنه من حيث عدد المرات على اختلاف مخارجها، على النحو التالي:

استخدمن الراء ستَّ عشرَة مرة، والدال جاءت حرفاً للروي ثلاث عشرة مرة، بينما استعملن الميم إحدى عشرة مرة، وست مرات استعملن الباء، ولم يأت القاف حرفاً للروي إلا في ثلاثة مواضع، بينما استعملن الياء والعين والهاء مرتين، ومرة لكل من التاء، والضاد، والسين، والنون، واللام والحاء. وقد انعدمت استعمال بعض الحروف غير المذكورة من مثل: الثاء، والذال، والغين،... الخ عندهن.

يلاحظ في استعمالهن لحرف الروي ثلاث مراحل: كثرة استعمال بعض الحروف، وقلة استعمال بعضها الآخر، وندرة استعمال بعضها ثالثاً، فمجتمع الأندلس غلب عليه اللهو وترف الحياة والغناء، والنشيد يحتاج إلى حروف روي أكثر وضوحاً في السمع حال تقيدها، لذلك يلاحظ لجوؤهن إلى إطلاق القافية، ولكي يتماشى مع حرف الروي يتطلب الوضوح لذلك كثرت الحروف الأكثر سماعاً عند تسكينها، لأنها المنوط بها الإيقاع في بيت القصيد.

وبهذا يلاحظ أن الشواعر الأندلسيات قد خالفن اشتراط عذوبة حروف القوافي وسلاسة مخارجها، أو نسبة ورودها في أواخر كلمات اللغة[1]

1- قدامة بن جعفر، نقد الشعر،دط، دت،تح،محمد عبد المنعم خفاجي،دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،ص 86./ إبراهيم أنيس،موسيقى الشعر، ص248.

ب- ألف التأسيس:

ألف التأسيس؛ هو ألف المد الذي ضمن الحروف المدية الثلاثة، وتقع في القصيدة قبل حرف الروي، أو تفصل بينها وبين حرف الروي حرف متحرك.[1]

وقد وظفت شواعر العصر الأندلسي ألف التأسيس في قوافي أبياتهن ومقطوعاتهن على مر عهودهن، وفقاً لما ألزمها الشعراء القدامى على أنفسهم، وتابعهم في إلزامها أهل علم العروض[2].

استعملت الشاعرة قمر البغدادية ألف التأسيس في قولها:[3]

وظِبَائِها والسِحر في أحداقِها
تبدو أهلّتُها علـــى أطواقِها

كما وظفتها حفصة الحجارية حين قالت:[4]

يا وحشةً متمــاديهْ
يا ليلةً هي ما هيهْ

وكذلك ألف التأسيس عند حسانة التميمة وقت قالت:[5]

على شَحَطٍ تَصْلى بنارِ الهــواجرِ
ويَمْنَعُني من ذي الظلامةِ جــــابرِ

وفي عهد الطوائف تطل الأميرة الشاعرة ولادة بقولها:[6]

تُفارقُكَ الحياةُ ولا يُفارقْ
وديُّوثٌ وقَرْنانٌ وســارق

ومهجة بنت التياني قالت:[7]

من دون بَعلٍ، فُضِحَ الكاتمُ!

- انظر: العمدة لابن رشيق ج1 ص161، / موسيقى الشعر لإبراهيم أنيس ص270. 1
- موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، ص271. 2
- نفح الطيب ج3 ص 141 / والتكملة لكتاب الصلة، ابن الآبار ص 246 3
5- الحدائق والجنان من أشعار أهل الأندلس، ص 9 / وانظر وأعلام النساء ج1 ص 272 / ونفح 4 الطيب ص 286 / ونزهة الجلساء ص44
- اعلام النساء ج1 ص 257 / ونفح الطيب ج4 ص168 / وشعراء العرب، ص 529 5
- نزهة الجلساء ص 88 والنفح ج4 ص205 6
3- المُغرب في حُلى المغرب ، ج1 ص 143. /أنظر نزهة الجلساء ، ص81 ،/ ونفح الطيب ج4 ص293

نَخلَةُ هذي ذَكـــــــرٌ قائمُ

وأما أم الكرام بنت المعتصم بن صمادح فقد تأسست في قافيتها فقالت:[1]

يُنَزِّهُ عنها سمعُ كلِّ مُراقِبِ

ومَثْواهُ ما بين الحشا والترائب

ويُستشهد بألف التأسيس للشـواعر الأندلسـيات فـي عهـد المـرابطين بقـول نزهـون القرناطية:[2]

لغدَوْتَ أخرسَ من خلاخلهِ

والغصنُ يمرحُ في غلائـــــــــــــلهِ

وأما ألف التأسيس عند شواعر الأندلس في عهد الموحدين فلـيحظ فـي قـول أم السـعد الحميرية:[3]

عِدِ والأقاربَ لا تُقـــــــارب

ربِ أو أشدِّ من العقارب

ويُلحظ كذلك في قول الشلبية:[4]

ولقد أرَى أنَّ الحجارةَ باكيهْ

إنْ قَدَّرَ الرحمنُ رَفْعَ كراهيه

التصريع:

وظفـت بعـض شـواعر العصـر الأندلسـي، ظـاهرة التصـريع فـي مقـاطعهن وأبياتهن، وهي ظـاهرة تزيـد البيـت الشـعري حـلاوة موسـيقية شـعرية، وقـد ظهـر لهـن التصـريع فـي مقـاطع كثيـرة، ويـذكر الباحـث منهـا استشـهاداً لا حصـراً، واستدلالاً على توظيفهن للجوانب المهمة لموسيقى الشعر.

والتصـريع فـي الشـعر هـو اتفـاق قافيـة صـدر البيـت الأول وعجـزه، أي مـا كانت عروضها تابعة ضربها.[5] تنقص بنقصه وتزيد بزيادته[6]

- المغرب في حلى المغرب ج2 ص 203 1
- الذيل والتكملة للمراكشي ج5 ص 425 والنفح ج4 ص 298 ورايات المبرزين تح، نعمان ص 91 وتح، الداية ص 160 2
6- أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، عمر رضا كحالة،ج4 ص167
- ابن الأبار والنفح ج4 ص294 والذيل التكملة ج5 ص 428 4
1- المثل السائر، ص 237 ما بعدها.
- العمدة، ابن رشيق، ج1 ص277. 6

منها قول أنس القلوب[1]:

قَدَمَ الليلَ عنـــــد سيرِ النّهارِ وبَدَا البدرُ مثلَ نصفِ السِّوارِ

وقول أسماء العامرية:

عرفنا النصر والفتح المبينا لسيدنا أمير المؤمنينا

أو قول حمدة بن زياد أعجبها قالت[2]:

أباحَ الدمعُ أسراري بِـــــوَادي لهُ للحســـــنِ آثارٌ بوَادي

ومنها أيضاً قول مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري[3]:

من ذا يجاريكَ في قولٍ وفي عـــــملِ وقدْ بَدَرْتَ إلى فضـــلٍ ولم تُسَلِ

أو قول عائشة بنت أحمد[4]:

أراك اللهُ فيه ما تـــــــــــريدُ ولا بَرِحَتْ معـــــــاليه تزيدُ

وكذلك قول الجارية العجفاء[5]:

برح الخفاء فأيما بكَ تكـــــتمُ ولسوف يظهرُ ما تسرُّ فيُعلمُ

وللشاعرة صفية بنت عبد الله الريَّ تصريع أيضاً يُلمح في قولها[6]:

وعائبةٍ خطي فقلت لها اقصري فسوف أُريك الدُّرَ في نَظَم أسطُري

ومنها قول قمر البغدادية التي تحن فيها إلى بغداد[7]:

آهاً علَى بَغدادِها وعـــــــرَاقِهَا وظِبَائِها والســـــــحر في أحداقِها

وقول ترد على من عاذلها[8]

قالوا أتتْ قمرٌ في زيِّ أطـــــمارٍ من بعد ما هتكتْ قلباً بأشـــــفارِ

وقد صَرَّعتْ الشاعرة نزهون في إجازتها لبيت أبي بكر الكتندي قالت[9]:

لغدَوْتَ أخرسَ من خلاخلهِ

- نفح الطيب ج ص 147 وما بعدها / و أعلام النساء ج1 ص 97 وما بعدها 1

4- الإحاطة ج2 ص57 و الذيل والتكملة ج5 ص 415 أعلام النساء ج1 ص 293 و تحفة القادم ص 235 و النفح ج4 ص 288 و المطرب من أشعار أهل المغرب ص 11 ونزهة الجلساء ص 47 شعراء العرب ص 530 ومعجم الأدباء ج3 ص 1212 ورايات المبرزين ص 94

- نفح الطيب ج4 ص 291 / ونزهة الجلساء ص 79 / وأعلام النساء ج5 ص48 / والجذوة للحميدي ص 600 3

- نفح الطيب ج4 ص290 / ونزهة الجلساء ص 61- 62 4

- النفح ج3 ص143 وأعلام النساء ج3 ص256 ومحطات أندلسية، محمد حسن جمعة، ص 89 5

- الصلة لابن بشكوال ج2 ص 346 وجذوة المقتبس للحميدي ص 600 6

- نفح الطيب ج3 ص 141 / والتكملة لكتاب الصلة، ابن الآبار ص 246 7

2- البيان المغرب ،ابن عذاري، ج2، ص 147- 148

- الذيل والتكملة ج5 ص 425 والنفح ج4 ص 298 ورايات المبرزين تح، نعمان ص 91 وتح، الداية ص 160 9

عجزاً لصدر بيت المخزومي الذي قاله[1]:

لو كُنتَ تُبصرُ من تجـــالسه

ولم تكن الشاعرة إعتماد جارية المعتمد بـــن عبـــاد بعيـــدة عـــن الإجـــاز بالتصـــريع حـــين قالت[2]:

أيّ درعٍ لقتـــــالٍ لو جَمَدْ

إجازة لمن قال لها أجز[3]:

صنع الريحُ من الماء زَرَدْ

أما أم العلاء الحجارية فصرعت بقولها[4]:

يا صُبْحُ لا تبد إلى جُنْـــــــــح والليلُ لا يَبْقَى مـــــع الصُّبْحِ

وقول نزهون أيضاً في التصريع لقبيح الصورة عَرَضَ لخطبتها[5]:

عذيريَ من أنـــــوكٍ أصلعِ سفيهِ الإشارة والمنـــــــــــزعِ

وتصرعت حفصة الركونية أيضاً بقولها[6]:

وفي بيتيها :[7]

أي شغلٍ عن الحبيب يعـــوقُ يا صاحباً قد آن منه الشروقُ

يا ربةَ الحُسنِ، بل يا ربةَ الكرمِ غُضِّي جفونَك عمّا خَطّهُ القلم

وبقولها[8]:

زائرٌ قد أتى بجيـــــدِ الغزالِ مُطْلِعٌ تحت جنحِهِ الهـــــلالِ

هذا البيت على الرغم من أنه جاء معارضـــاً لبيـــت الشـــاعرة ســـلمى، فـــإن براعـــة الشاعرة تظهر في المعارضة لبيت سابقتها في المعنـــى، وقـــد أضـــمرت فيـــه كـــذلك هـــذا الضرب من التقفية فصرعت فيه كما صرعت سلمى أيضاً حين قالت: سلمى[9]:

4- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج4 ص190 والنفح ج4 ص298 والذيل والتكملة ج5 ص 425 ورايات تح، نعمان 91 وتح، الداية ص 160

- المصدر نفسه، ص74 2

- ديوان المعتمد بن عباد،الأجازة (9) ص 74 3

- نزهة الجلساء للسيوطي ص 27 والنفح الطيب ج4 ص169 وأعلام النساء ج3 ص 328 4

- تحفة القادم ص 237 5

- الإحاطة في أخبار غرناطة ج2 ص61 و النفح ج4 ص177 و أعلام النساء ج1 ص 270 6

- الإحاطة في أخبار غرناطة ج2 ص66 ومعجم الأدباء 7

- النفح ج4 ص 178 والاحاطة في أخبار غرناطة ج2 ص 65 والمغرب في حلى المغرب ج2 ص 140 ومعجم الأدباء ج ص 1182 وما بعده 8

- نفح الطيب ج4 ص178 9

عيونُ مها الصريم فداء عيني وأجيادُ الظباء فداء جيدي

وفي التصريع يُوجد للشاعرة الشلبية قولها[1]:

قد آن أنْ تبكي العُيونُ الآبيهْ ولقد أرَى أنّ الحجارةَ باكيهْ

ثالثاً: عيوب القووافي:

وللقافية عيوب متفاوتة المراتب والدرجات، منها: الإيطاء، الإقواء، والإكفاء، والإجازة.[2] ومن خلال ملاحظة الباحث للنصوص الشعرية لشواعر الأندلس حول ما إذا كانت هناك بعض العيوب الشعرية في نصوصهن أم سلمن من ذلك، استوجب تحديد بعض العيوب ذات المراتب والدرجات الكبيرة في التأثير على النص الشعري، ومن العيوب التي تظهر في النص الشعري وتقلل من جودته هو: الإقواء والإكفاء، والإيطاء، والإجازة.

أ- **الإقواء:** هو اختلاف حركة روي البيت الأول، مع حركة روي البيت الذي يليه، كأن يكون الأول مضموماً، والثاني مكسوراً.[3] وبعض تمحيص تمحيص النصوص الشعرية للشواعر الأندلسيات، لم يظهر فيها إقواء واتضحت سلامة نصوصهن من هذا العيب.

ب- **الإكفاء:** هو اختلاف روي البيت مع روي البيت الذي يليه بحرفين متقاربين في المخرج.4 ولا وجود للإكفاء في نصوصهن أيضاً.

ت- **الإيطاء:** هو تكرار كلمة الروِّي لفظاً ومعناً في أقل من سبعة أبيات.[5] ومن الملاحظ أن النصوص الشعرية لشواعر الأندلس جاء أغلبها في أقل من سبعة أبيات- نتف، ومقطوعات- وقد لاحظ الباحث في أبيات حمدة بنت زياد قولها[6]:

قولها[6]:

- ابن الأبار والنفح ج4 ص294 والذيل التكملة ج5 ص 428 1

- العمدة، ابن رشيق القيرواني، ج1، ص 165وما بعدها. 2

- الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ص42. 3

- الشعر والشعراء، ابن قتيبة،ص41 4

-المصدر نفسه، ص 42 5

2- الإحاطة ج2 ص57 و الذيل والتكملة ج5 ص 415 أعلام النساء ج1 ص 293 و تحفة القادم ص 235 و النفح ج4 ص 288 و المطرب من أشعار أهل المغرب ص 11 ونزهة الجلساء ص 47 شعراء العرب ص 530 ومعجم الأدباء ج3 ص 1212 ورايات المبرزين ص 94

إذا سدلَتْ ذوائبَها عَلَيْـــــــها رأيـــــتَ البدرَ في جنح السوادي

كأنّ الصّبحَ ماتَ لهُ شقـــــــيق فمِنْ حزنٍ تَسَـــــرْبَلَ في الحدادي

جاءت كلمة(الحدادي) في عجز البيت الثاني (الســوادي) وهــذا هــو البيــت الوحيــد الذي وجده الباحث عند عبد الله عفيفي كما سبق فــي الفصــل الثالــث مــن هــذا البحــث، فإن كان كذلك فربما يكون هذا هو عيب في شعر شواعر الأندلس.

وما جاء في أكثر من سبعة أبيات قد سلم من العيوب الأخــرى بينمــا الــذي جــاء فــي قصائد كما عند بثينة بنت المعتمد قولها عند سبيها:[1]

اسمعْ كلامي واستمعْ لمقــالتي فهي السلوكُ بَدَتْ من الأجيادِ

وعند الشاعرة قمر البغدادية التي ردت بها على من عاذلها[2]

قالوا أتتْ قمرٌ في زيِّ أطـــمارٍ من بعد ما هتكتْ قلباً بأشـــفارِ

أو كما عند حفصة بنت الحاج الركونية حين أجابت حبيبها[3]:

يا مُدَّعي في هَوَ الحُســـ ـــــــنِ والغــرامِ الإمامَهْ

وكذلك لنزهون في هجاء المخزومي[4]:

قُل للوَضيعِ مقـــــــــالاً يُتْلَى إلى حين يُحشرْ

وكل قصــائدهن جــاءت ســالمة مــن الإيطــاء، وهــذا يؤكــد مســاهمتهن فــي الشــعر الأندلسي بما هو موافق لقواعد الشعر.

ث- **الإجازة:** هــي اخــتلاف روِّي البيــت مــع البيــت الــذي يليــه بحــرفين متباعــدين في المخرج.[5] ولم توجد الإجازة في أبياتهن الشعرية حتى يعاب لهن.

عمومــاً فــإن الشــواعر الأندلســيات قــد انــتهجن منهــاج الشــعر العربــي الــذي اهــتم بــالقوافي وضــروبه وعيوبــه، فجــاء إنتــاجهن مــن الشــعر وفــق مــا ورثنه من المــوروث العربــي القــديم مــن قواعــد تــنظم المنظــوم مــن القــول، ممــا دلل على مساهمتن في الشعر الأندلسي.

- أعلام النساء لعمر رضا كحالة، ج1 ص 118-119 والنفح ج4 ص284 1
2- البيان المغرب ،ابن عذاري ، ج2، ص 147- 148
- أعلام النساء لعمر رضا كحالة ج1 ص268 ونفح الطيب ج4 ص173 3
- المغرب في حلى المغرب ج1 ص 228 وأعلام النساء ج5 ص 169 4
- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص 41 5

الخاتمة

جاءت هذه الدراسة للتعرف بالشواعر الأندلسيات ودورهن في نهضة الشعر الأندلسي، فتم التعرض للملامح الجغرافية والحياة الأندلسية العامة السياسية منها والاجتماعية والحضارية والثقافية، وهي ملامح تساعد في التعرف على الشواعر ومدى مساهمتهن في النهضة الشعرية التي صاحبت الحقبة الأندلسية، الحياة العامة للمجتمع الأندلسي وضّحت مدى العلاقة بين الأندلس والمشرق سيما في العلم والأدب، فالأغراض الشعرية لشواعر الأندلس جاءت مشابهة لأغراض الشعراء التي سادت عند المشارقة، والطبيعة الأندلسية الخلابة كان لها دور مهم في تكوين قريحة الشاعرة ورفدها بالصور والأخيلة فتميزت بالعذوبة والرقة خاصة في وصفها للطبيعة وفي الغزل والمدح، أما اللغة الشعرية عندهن فجاءت سهلة موائمة للحضارة والبيئة، ولم يغفلن الصور البلاغية التي تخص المعاني أو البديع، كما ضمّن أشعارهن التراث الثقافي والتاريخي العربي الإسلامي فتناصين بقصائد الأقدمين والحديث الشريف والقرآن الكريم، وقد استخدمن البحور الشعرية التي تستوعب ذلك بالوزن وتلك القافية والروي.

النتائج:

من أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة: حرية المرأة في المجتمع الأندلسي أدت إلى تنوع الأغراض الشعرية لدى الشواعر، وشمولها لكافة جوانب البيئة الطبيعية والسياسية والاجتماعية والثقافية.

التجربة الشعرية عند الشواعر والشعراء في الأندلس لا تختلف كثيراً حيث ساجلت الرجل قصيدة بقصيدة وبيت ببيت وقافية بقافية في الجد والهزل، وقلن عنه في عدد القصائد.

للغزل نصيب أوفر بين أغراضهن لارتباطه بالطبيعة البشرية وانتعاشه من قبل المجتمع الأندلسي، فرسمت الشاعرة لوحتها الغزلية

بالبكاء وألم الفراق، والحزن، واللهفة وشدة التشوق، والخوف من الرقيب والوشاة والبوح والجرأة،

توظيف البيئة الأندلسية العامة في الأشكال الموسيقية والأوزان والميل إلى السهولة والوضوح في الألفاظ والتراكيب والأساليب، والتوظيف البلاغي، وقد نأين عن الإغراق والصنعة، وتجلت سعة ارتباطهن الوجداني بالمشرق بصورة واضحة في أشعارهن المتأثرة بقوالب وأقوال وأشعار الأقدمين، وقدمنه في ثوب جديد. وهذا دليل اطلاعهن لعلوم المشرق.

التمايز الطبقي والفني بين الشواعر الأندلسيات؛ أسهم في وجود شواعر جواري مغنيات، ووسطيات حرائر، وشواعر أميرات، وشواعر ناقدات وشواعر الحوار والبلاط.

ظهرت ثلاثة اتجاهات شعرية لدى شواعر الأندلس حسب العصور ففي العصر الأموي ظهر الاتجاه المحافظ وتمثله: حسانة التميمية، واتجاه محدث ظهر في عصر الطوائف، واتجاه محافظ مجدد يلمح عند شواعر عصر المرابطين والموحدين.

كلما كانت المرأة الأندلسية الشاعرة قريبة من عهد الفتح كانت ملتزمة وأقرب إلى عروبتها، ويترتب عليها احتشامها واحترازها في قولها وترددها في جرأتها، وابتعادها عن الإسفاف. وكلما كانت بعيدة العهد عن زمان الفتح وتربعت في الحياة الأندلسية الجديدة كانت أقرب إلى التحرر والتحلل وجرأة القول واقتحام معاني الفحش.

الكثير من المصادر لم ترفد المكتبة العربية بشعر المرأة الأندلسية، إلا بالجزء اليسير من أدبها، أو بالإشارة إلى محاوراتهن وممالتطهن وإجازتهن للشعراء والأدباء، أو الاكتفاء بتذكيتها، واهتمت بتقديم المثير المنتقى من أشعارهن لكونه أنموذج إنتاجهن من الفنون الأخرى قليل ونادر وفقاً لطبيعتها النفسية، فضلاً عن عدم وجود دواوين شعرية تخصهن.

تمثل كل من العجفاء وحسانة باكورة الشعر النسوي الأندلسي، ومدرستهما أموية مشرقية، على الرغم من عدم وصول قصائدهن كاملة الأمر الذي لا يحدد إلقاء الضوء كاملاً علي شخصيات الشواعر.

التوصيات:

توصي الدراسة بدراسة الشعر النسوي الأندلسي والتعمق فيه في كل عهوده، والاطلاع على أخبار الشواعر وإيراده بصورة علمية أمينة، وتضمينها في الدرس الجامعي.

إعداد دراسة بعدم الحكم بالفحش على الشاعرات الأندلسيات إلا من واقع شعرهن فقط؛ لأن كتب التاريخ الأدبي لم تشر إلى ارتباط حياة الخلاعة بهن كما جاء في شعرهن.

الاهتمام بإجراء موازنات لجميع أغراضهن الشعرية مع غيرهن في العصور الأدبية المختلفة من النواحي الفينية المتعلقة بالموسيقى والصور والأخيلة والأساليب.

وأخيراً يشير الباحث إلى أن دراسة دور الشواعر الأندلسيات في نهضة الشعر الأندلسي موضوع واسع يحتاج إلى المزيد من التمحيص لإثراء الدراسات الأدبية. وأرجو من الله أن تسهم هذه الدراسة في إثارة الباحثين لتلقى النصيب الأوفر من اهتمامهم.

ولله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

الباحث

الفهارس

فهرس المصطلحات
فهرس المصادر
فهرس الموضوعات

فهرس الرموز:-

الكلمة	رمزها
الجزء	ج
المجلد	م
القسم	ق
الباب	ب
الفصل	ف
الصفحة	ص
تحقيق	تح
شرح	ش
تبويب	تب
رواية	ر
دراسة	د
مراجعة	مر
تصحيح	تص
تقديم	تق
جمع	جم
تصنيف	تف
تعليق	تع
ترجمة	تر
ضبط	ض
الطبعة	ط
التاريخ	ت
دون تاريخ	د. ت
دون طبعة	د. ط
دون تاريخ طبعة	د.ت. ط

فهرس المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1. ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، التكملة لكتاب الصلة، تح، عبد السلام الهراس، دار الفكر، إعادة طبع، بيروت، لبنان، 1995م.
2. الحلة السيراء، تح، حسين مؤنس، دار المعارف، ط1 ، 2، القاهرة، مصر، 1985/1963م.
3. تحفة القادم، أعاد بناءه وعلق عليه، إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت لبنان، 1986م.
4. التكملة لكتاب الصلة، تح، عبد السلام الهراس، إشراف مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، إعادة طبع ، بيروت، لبنان، 1995م.
5. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، الكامل في التاريخ، تص، محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1987م.
6. ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح أحمد الحوفي وبدوي طُبانة، دار نهضة مصر، دط، القاهرة، 1987م.
7. ابن الأحمر، أبو الوليد إسماعيل، أعلام المغرب والأندلس، تح، محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، لبنان، 1987م.
8. أرسلان، الأمير شكيب، خلاصة تاريخ الأندلس، دار مكتبة الحياة، دط، بيروت، لبنان، 1983م.
9. بروكلمان، كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، تر، عبد الحليم النجار، دار المعارف، ط5، القاهرة، مصر، دت.
10. ابن العديم، الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة، بغية الطلب في تاريخ حلب، تص و تح، سهيل زكار، دار الفكر، دط، بيروت، لبنان، دت.
11. ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد، تاريخ علماء الأندلس، تح بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، تونس، 2008م.
12. ابن القوطية، أبوبكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسى بن مزاحم، تاريخ افتتاح الأندلس، تح، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري واللبناني، ط2، القاهرة، مصر/ بيروت، لبنان، 1989م.

13. ابن المعتز، أبو العباس عبد الله، كتاب البديع، تح، عرفان مطرجي، مؤسسة الكتاب للثقافة، ط1، بيروت، لبنان، 2012م.
14. ابن بشكوال، أبو القاسم، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، دار الغرب الإسلامي، ط1، تح، بشار عواد معروف، تونس، 2010م.
15. ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، طوق الحمامة في الإلفة والآلاف، تح، طه عبد الرءوف سعد، دار الحرم للتراث، ط1، سور الأزبكية، مصر، 2002م.
16. ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الأشبيلي، قلائد العِقيان ومحاسن الأعيان، تحقيق، حسين يوسف خربوش، مكتبة المنار، ط1، الأردن، 1989م.
17. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، تقديم محمد الإسكندراني، دار الكتاب العربي دط، لبنان، 2005م. / تح على عبد الواحد وافي،
18. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان، تح إحسان عباس، دار الثقافة، دط تـ، بيروت، لبنان.
19. ابن سعيد، علي بن موسى وآخرون، المُغرب في حُلَى المَغرب، تح، شوقي ضيف، دار المعارف، ط4، القاهرة، مصر، 1964م.
20. ابن ضحية، عمر بن حسن، المطرب من أشعار أهل المغرب، تح، إبراهيم الأبياري وآخرون.
21. ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تح، بشار عواد معروف، ومحمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، ط1، تونس، 2013م.
22. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، دط، لبنان، دت.
23. أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، الصناعتين،الكتابة والشعر، تح، علي محمد البحاوي ومحمد فضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط2، 1952م.
24. الأربيلي، الصاحب بهاء الدين المنشيء، التذكرة الفخرية، تح، حاتم صالح الضامن، دار البشائر، ط1، دمشق سورية، 2004م.
25. أرسطو، كتاب فن الشعر، تر، دكتور إبراهيم حمادة، مكتبة الأنجلو المصرية، دط، مصر، دت.
26. الأصبهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، كتاب الأغاني،
27. الأصبهاني، الراغب ، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، هذبه واختصره، إبراهيم زيدان، مطبعة الهلال، دط، فجالة، مصر، 1902م.
28. أمين، أحمد، فجر الأندلس، مكتبة النهضة المصرية، ط14، مصر، دت.

29. الأندلسي، أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد، رايات المبرزين وغايات المميزين، تح، نعمان عبد المتعال القاضي، دار طلاس، ط1، دمشق، سورية، 1987م.
30. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح، دار ابن كثير، ط1، دمشق وبيروت، سوريا ولبنان، 2002م.
31. التلمساني، أحمد محمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح، إحسان عباس، دار صادر، دط، لبنان، دت.
32. الثعالبي النيسابوري، أبو منصور عبد الملك، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، شرح وتحقيق، مفيد محمد قميحَة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1983م.
33. جعفر، قدامة، نقد الشعر، تح، محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، دط، بيروت لبنان، دت.
34. الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي، معجم البلدان، تح، فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، دط، بيروت، لبنان، دت.
35. معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1993م.
36. الحُميدي، أبو عبد الله محمد بن فُتوح بن عبد الله، جذوة المقتَبِس في تاريخ علماء الأندلس، تح، بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، ط1، تونس، 2008م.
37. الحميري، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح، إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط1، بيروت، لبنان، 1975م.
38. الخطيب، لسان الدين، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، المكتبة السلفية، دط، القاهرة، 1347هـ.
39. الزركلي، خير الدين ، الأعلام؛ قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، ط15، بيروت، لبنان، 2002م.
40. السيوطي، جلال الدين ، ونزهة الجلساء في أشعار النساء، تح، عبد اللطيف عاشور، مكتب القرآن، دط، القاهرة، مصر، دت.
41. الشنتريني، أبو الحسن علي بن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح، سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، لبنان، 2012م.
42. الضَّبي، أحمد بن حيان بن أحمد، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تح، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري واللبناني، ط1، القاهرة، مصر، بيروت، لبنان، 1989م.
43. العبادي، أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، دط، مصر، 2008م.
44. غَرْسِيَة، إميلو، الشعر الأندلسي؛ بحث في تطوره وخصائصه، تر عن الإسبانية، حسين مؤنس، النهضة المصرية، ط2، القاهرة، مصر، 1956م.

45. القرطاجني، أبو الحسن حازم، منهاج البُلغاء وسراج الأدباء، تح، محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، ط3، بيروت، لبنان، 1986م.
46. القلقشندي، أبو العباس أحمد، صبح الأعشى، دار الكتب المصرية، دط، القاهرة، مصر، 1922م.
47. القيرواني، أبو الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح، محمد محي الدين عبد الحميد، ط5، بيروت، لبنان،1981م.
48. الكلبي، عمر بن حسن بن دحية، المطرب من أشعار أهل المغرب، تح، إبراهيم الأبياري وآخرون، المطبعة الأميرية، ط1، مصر، 1955م.
49. المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، حققه وعلق عليه، إحسان عباس ومحمد بن شريفة وبشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، تونس،2012م.
50. المغربي، ابن سعيد ، ذخائر العرب10، المُغرب في حُلَى المَغْرب، تح شوقي ضيف، دار المعارف، ط4، مصر، دت.
51. ابن حمديس، عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد بن حمديس ، ديوان ابن حمديس، تص، جلستينو سيكايا ريللي، طبع في رومية الكبرى،1897م.
52. ابن خفاجة، أبو إسحق إبراهيم بن خفاجة الأندلسي، ديوان ابن خفاجة، تح، عبد الله سندة، ط1، دار المعرفة، بيروت لبنان، 2006م.
53. ابن دراج، أبو عمر أحمد بن محمد بن دراج الأندلسي القسطلي، ديوان ابن دراج القسطلي، تح، علي محمود مكي، المكتب الإسلامي، ط1، دمش سورية، 1961م.
54. ابن زيدون، أحمد بن عبد الله بن زيدن، ديوان ابن زيدون، تح، يوسف فرحات، دار الكتاب العربي، دط، بيروت لبنان، 2015م.
55. ابن عباد، محمد المعتمد بن عباد، ديوان المعتمد بن عباد، دط، رقم الإيداع بدار الكتب 14021/ الإجازة (9)، 2000م، دت.
56. ابن كلثوم، أبو عباد عمرو بن كلثوم بن مالك، ديوان عمر بن كلثوم، تح، أميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت لبنان، 1991م.
57. أبو النجم العجلي، الفضل بن قدامة بن عبيد الله بن الحارث، ديوان أبي النجم العجلي، جمع وشرح وتح، محمد أديب عبد الواحد جمران، مطبوعات مجمع اللغة العربية، سورية دمشق، 2006م.
58. أبو نواس، أبو علي الحسن بن هاني، ديوان أبي نواس (برواية الصولي)، تح، بهجت عبد الغفور الحديثي، دار الكتب الوطنية، ط1، أبو ظبي، الإمارات العربية، 2010م.

59. جرير، جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي، ديوان جرير، ش، محمد بن حبيب، تح، نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، ط3، القاهرة، مصر، دت.
60. الحطيئة، جرول بن أوس بن مالك، ديوان الحطيئة، رش، ابن السَّكيت، دراسة وتبويب، مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1993م.
61. إبراهيم، حمد النيل محمد الحسن، الأدب الجاهلي.
62. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، دط، دار الثقافة، لبنان.
63. فنّ الشعر، دار الثقافة، ط6، بيروت، لبنان، 1979م.
64. تاريخ الأدب الأندلسي عصر، سيادة قرطبة، دار الثقافة، دط، دت، لبنان.
65. أدويس، علي أحمد سعيد، زمن الشعر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط5، بيروت لبنان، 1986م.
66. أنيس، إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، مصر، 1952م.
67. بوفلاقة، سعد، الشعر النسوي الأندلسي في القرن الخامس الهجري، رسالة ماجستير، جامعة عنابة، 1986م.
68. بيومي، محمد رجب، الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير، إدارة الثقافة والنشر بجامعة محمد بن سعود الإسلامية، دط، السعودية، 1980م.
69. توفيق، عمر إبراهيم، الوافي في تاريخ الأدب العربي في الأندلس موضوعاته وفنونه، دار غيداء للنشر، ط1، الأردن، 2012م.
70. الجوزو، مصطفى، نظريات الشعر عند العرب،(الجاهلية والعصور الإسلامية).
71. الجوزية، ابن قيّم، أخبار النساء، تح، نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، دط، بيروت، لبنان، 1982م.
72. الحجي، عبد الرحمن علي، التاريخ الأندلسي؛ من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، دار القلم، ط2، دمشق، سورية، 1981م.
73. الداية، محمد رضوان، الحدائق والجنان من أشعار أهل الأندلس وديوان بني فرج شعراء جيان، جمعه وشرحه نادي تراث الامارات، دط ت.
74. دراسات أندلسية، تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، مؤسسة الرسالة، دط ت.
75. في الأدب الأندلسي، دار الفكر، ط1، سورية، 2000م.
76. الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، مراجعة، عبد الله المنشاوي ومهدي البحقيري، مؤسسة هنداوي للتعلم والثقافة، دط، القاهرة، مصر، 2012م.
77. الرياني، محبوبة أحمد، القصيدة الصوفية الأندلسية خلال القرن الثامن الهجري،.

78. الزيات، عبد الله محمد، رثاء المدن في الشعر الأندلسي، منشورات جامعة قاريونس، ط1، بنغازي، ليبيا، 1990م.
79. سالم، السيد عبد العزيز، تأريخ الإسلام في الأندلس، مطبع الأسكندرية، دط، 1984م، مصر.
80. قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، دراسة تاريخية، عمرانية أثرية في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، دط ت، مصر.
81. سلامة، علي محمد، الأدب العربي في الأندلس، تطوره، موضوعاته، وأشهر أعلامه، الدار العربية للموسوعات، ط1، 1989م.
82. سويلم، أحمد، شعراء العرب؛ الأسماء والألقاب والكنى، دار العالم العربي، ط1، القاهرة، مصر، 2012م.
83. السيوفي، مصطفى محمد، تاريخ الأدب الأندلسي، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، ط1، مصر، 2008م.
84. الشعكة، مصطفى، الأدب الأندلسي فنونه وموضوعاته، دار العلم للملايين، ط5، بيروت، لبنان، 1983م.
85. شهاب، شعبان رجب، أثر اللغة العربية وآدابها في الأدب الأسباني والأوربي،.
86. ضيف، شوقي، تاررريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، الأندلس، دار المعارف، ط4 ، القاهر، 2007م.
87. نوابغ الفكر العربي، ابن زيدون، دار المعارف، ط1، دت، مصر.
88. الطائي، صالح محمود محمد، هوية الشعر الأندلسي بين الاستقلال والتبعية للمشرق، شعر القرنين الخامس والسادس للهجرة أنموذجاً، المكتب الجامع الحديث ط1، 2012م.
89. عابدين، عبد المجيد، نماذج من الشعر الأندلسي، دار الفكر/ الدار السودانية للكتب، دط ت، لبنان/ سودان.
90. العامري، محمد بشير حسن، مظاهر الابداع الحضاري في التاريخ الأندلسي، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2012م.
91. عتيق، عبد العزيز، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، دط، بيروت، لبنان، 1976م.
92. عوض الكريم، مصطفى، الأدب الأندلسي في عهد المرابطين، دط، 1968م.
93. غراب، سعيد أحمد، أطياف من تاريخ الأدب العربي ونصوصه في الأندلس، دار العلم والإيمان، ط1، 2016م.
94. غَرْسِيَة، إميلو، الشعر الأندلسي؛ بحث في تطوره وخصائصه، تر عن الإسبانية، حسين مؤنس، النهضة المصرية، ط2، القاهرة، مصر، 1956م.

95. الغنيم، إبراهيم عبد الرحمن ، الصورة الفنية في الشعر العربي، مثال ونقد، الشركة العربية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، مصر، 1996م.
96. فرُّوخ، عمر، تاريخ الأدب العربي، الأدب في المغرب والأندلس، دار العلم للملايين، ط2، بيروت، لبنان، 1984م.
97. فواز العاملي، زينب بنت علي بن حسين ابن يوسف، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، المطبعة الكبرى الأميرية، ط1، بولاق، مصر،1312هـ.
98. قجة، محمد حسن، محطات أندلسية، دراسات في التاريخ والأدب والفن الأندلسي، الدار السعودية للنشر، ط1، جدة، المملكة العربية السعودية، 1985م.
99. القيسي، فايز عبد النبي فلاح ، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، دار البشير، ط1، الأردن، 1989م.
100. كحالة، عمر رضا، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، مؤسسة الرسالة، ط5، بيروت لبنان،1984م.
101. الكزبري، سلمى الحفار، في ظلال الأندلس؛ محاضرات، الهيئة العامة السورية للكتاب دار البعث، دط، سورية، دت.
102. كولان، ج. س، الأندلس، تر، إبراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب اللباني والمصري، ط1، بيروت والقاهرة، 1980م.
103. كَنّون، عبد الله كنّون الحسني، النبوغ المغربي في الأدب العربي، دط، طنجة المغرب،1960م
104. الهاشمي، أحمد، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط، يوسف الصميلي، دار الكتب العلمية، دط، بيروت، لبنان، دت.
105. هيكل، أحمد، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة،،دار المعارف،دط، مصر،1979م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الاستهلال	**أ**
الإهداء	**ب**
شكر وعرفان	**ج**
المستخلص	**د**
Apstract	**ه**
المقدمة	**1**
الفصل الأول: الملامح العامة للحياة الأندلسية	**6**
المبحث الأول: الملامح الجغرافية والحياة السياسية	7
المبحث الثاني: ملامح عن الحياة الاجتماعية	32
المبحث الثالث: ملامح الحياة الحضارية والثقافية	45
الفصل الثاني:الشواعر الأندلسيات في العصر الأموي بالأندلس وعصر ملوك الطوائف	**62**
المبحث الأول: الشواعر الأندلسيات في العصر الأموي بالأندلس	63
المبحث الثاني: الشواعر الأندلسيات في عهد ملوك الطوائف 400-536هـ	86
الفصل الثالث:الشواعر الأندلسيات في عصر المرابطين والموحدين ودولة بني الأحمر	**112**
المبحث الأول: الشواعر الأندلسيات في عصري المرابطين والموحدين	113
المبحث الثاني: الشواعر الأندلسيات في عصري الموحدين ودولة بني الأحمر(سيادة قرطبة)	129
الفصل الرابع:الدراسة التحليلية والفنية وموسيقى الشعر في شعر الشواعر الأندلسيات	**152**
المبحث الأول: المضمون والمعنى	153
المبحث الثاني: دراسة الصور البلاغية	173

المبحث الثالث: الأسلوب وموسيقى الشعر 190
الخاتمة والنتائج والتوصيات 203
الفهارس 206
فهرس الرموز 207
فهرس المصادر والدواوين والمراجع 208
فهرس الموضوعات 215